دراسات في التربية

فقه التربية الإسلامية

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

تأليف
الأستاذ الدكتور/ أحمد حسين الصغير
رئيس قسم أصول التربية
كلية التربية – جامعة سوهاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٣٧١.٢ / ١. أ

الصغير ، أحمد حسين .

دراسات في التربية: فقه التربية الإسلامية/ أ.د. أحمد حسين الصغير -

ط١.- دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

٣٤٩ ص ؛ ١٧.٥ *٢٥

تدمك : 5-771 – 308 – 977 – 978

فقه التربية الإسلامية

أ - العنوان

رقم الإيداع : ١٤١٧٥.

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق – شارع الشركات– ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز

هاتف– فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥–٠٠٢٠١٠٩٧٥٦٤٧٥٧

E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع

تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر

هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣

محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣

E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

2021

"..... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"

(الآية 19 من سورة النمل)

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من تعلمت على أيديهم واستفدت من آرائهم وتوجيهاتهم

إهداء

إلى أبي وأمي رحمهما الله تعالى

إلى زوجتي وأبنائي إسلام وباسم وسلمى ويوسف

إلى الشرفاء الذين استقامت أقلامهم فكتبوا الحقيقة بلا نفاق

إلى الآباء الذين ربوا وانفقوا على أبنائهم من كسب حلال

إلى المربين الذين تحملوا مسئولية نشر العلم بأمانة وإخلاص

إلى المفكرين الذين أضاءوا عقول الناس بالعلم ومعرفة الله تعالى

أهدي هذا العمل المتواضع

الفهرس

مقدمة الكتاب:

الحمد لله الذي تفرد بالتعظيم تفصيلاً وإجمالاً، حمداً يليق بجماله وكماله، والصلاة والسلام على من أدبه ربه فأحسن تأديبه، محمد ﷺ خير نبي إجتباه وللعالمين أرسله، فكان بجميل أفعاله وحلو خصاله وعذب مقاله «قرآنا يمشي بين الناس» فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأخرج الناس من ظلام الشرك إلى نور الإيمان، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .. وبعد،،

منذ زمن طويل تراودني فكرة الكتابة في فقه التربية الإسلامية، وفي كل مرة أشرع في الكتابة يساورني شعور بأن مهمة الكتابة في هذا المجال مهمة شاقة، فأتردد وأحجم عن الكتابة، لأنه مجال يتناول منهج التربية الربانية، وهو أمر يحتاج إلى تريث عند الكتابة فيه، خوفاً من الله عز وجل، وحياء من الحبيب المصطفى ﷺ، والخوف والحياء مبعثهما أن كل كلمة تسطر في هذا الكتاب، تعرض على ميزان المنهج الذي نزل به جبريل من السماء، على خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وتوزن كل كلمة بميزان الإخلاص لله عز وجل، والرغبة في إفادة الناس في مجال يمثل القلب من حياتهم اليومية، ألا وهو مجال التربية الإسلامية المشتقة من القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية.

وأخيراً حسمت أمري ورحت أبحث في أمهات الكتب التي تناولت شرحاً وتفسيرا للقرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، ورحت أقرأ عن نماذج حية من هذه الكوكبة من السلف الصالح، التي تربت في المدرسة المحمدية، فجاء الكتاب معتمداً على النبع الصافي، المتمثل في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، والخبرات التربوية للسلف الصالح، وبالرغم من الكم الهائل من المراجع والكتب والدراسات التي تناولت الإسلام، إلا أن الكتابة في مجال فقه التربية الإسلامية محدودة، الأمر الذي شجعني على أن أكتب هذا الكتاب الذي جاء بعنوان: «فقه التربية الإسلامية: من القرآن الكريم والسنة النبوية»، وإن كنت قد وفقت فبفضل من الله ونعمة، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، وعلى الله قصد السبيل والحمد لله رب العالمين.

أهداف الكتاب:

لقد أعددت هذا الكتاب لأحقق مجموعة من الأهداف التي تسهم في بناء رؤية واضحة عن فقه التربية الإسلامية، من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والخبرات التربوية للسلف الصالح، وذلك للمساهمة في بناء الإنسان المسلم، الذي يعيد للمجتمعات الإسلامية مجدها السابق، ويتحقق الرقي والتحضر والتقدم المنشود، وفيما يلي تفصيل لأهم أهداف الكتاب:

١. يلبي هذا الكتاب حاجة ماسة لأولياء الأمور، فيساعدهم على فهم تربية أبنائهم تربية إسلامية، وفقا لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، من خلال تدبر آيات القرآن الكريم وبيان أحد أهدافها الهامة، وهي تربية البشر على منهج الله عز وجل، وكذلك فهم ما تضمنته سنة المصطفى ﷺ، والتعلم من المنهج التربوي في المدرسة المحمدية، فضلاً عن عرض نماذج حية من حياة الصحابة والسلف الصالح، الذين تربوا في المدرسة المحمدية.

٢. ينير هذا الكتاب الطريق لكل من له علاقة بالتربية، لما يتضمنه من موضوعات وأفكار وأساليب تربوية إسلامية، يمكن أن تسهم بدور إيجابي في رفع الوعي بأهمية التربية الإسلامية، وخاصة في هذا العصر، الذي يشهد فيه الإنسان ثورة صناعية رابعة تعج بالغث والثمين الذي يعايشه الإنسان يوميا، ومن ثم بيان أهمية التربية الإسلامية في بناء الإنسان المسلم.

٣. يقدم هذا الكتاب رؤية واضحة لعلاقة التربية الإسلامية بتقدم المجتمع المسلم، ويبين مدى الترابط الوثيق بين المجتمع المسلم من ناحية، وبين التربية الإسلامية من ناحية أخرى، فالمجتمع المسلم والتربية الإسلامية وجهان لعملة واحدة، ويؤثر كل منهما في الآخر، حيث يوفر المجتمع المسلم بيئة تربوية إسلامية، تسهم في تحقيق أهداف التربية الإسلامية، والتربية الإسلامية تبني الإنسان المسلم، الذي يمثل رأس المال البشري الذي يسهم في تقدم المجتمع.

٤. يناقش هذا الكتاب بعقل مفتوح مجموعة من الأصول التي تمثل أعمدة البناء الإنساني في المجتمع المسلم، والتي تقدم فقه متعمق للتربية الإسلامية التي تعيد بناء الإنسان المسلم من جديد، وفق أصول التربية العقدية والإيمانية والفكرية

والعلمية والتعبدية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية والجنسية، المشتقة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والخبرات التربوية التي لا تتعارض مع هذين المصدرين.

٥. يكشف الكتاب عن الأدوار التربوية، لمنظمات التربية الإسلامية في المجتمع، والتي يعيش في رحابها الإنسان، مع بيان كيف كانت هذه المنظمات تقوم بأدوارها في الأمة الإسلامية، التي تربعت على عرش الإنسانية فترة طويلة من الزمن، ويؤكد أهمية التناغم والانسجام بينها، حتى تتكاتف جهودها جميعا، في بناء الإنسان المسلم الذي يعد محور أي تطور وتقدم في المجتمع المعاصر.

٦. يقدم هذا الكتاب تأصيلاً تربوياً لمجموعة من الأساليب، المشتقة من القرآن الكريم والسنة النبوية، فضلاً عن تقديم بعض النماذج والمواقف التربوية من حياة السلف الصالح، بهدف الاستفادة من هذه النماذج، وما تضمنته من مواقف وأساليب تربوية بطريقة عملية، كتطبيق هذه الأساليب في تربية النشء وبناء جيل جديد، متفتح يحصل العلم الكوني، ويعض بالنواجذ على العلم الشرعي، فيصبح أداة فعالة في عجلة التنمية وتقدم المجتمع.

محتويات الكتاب:

يعد فقه التربية الإسلامية أو فهم التربية الإسلامية من الأهمية بمكان في هذا العصر لكل من يضطلع بمهمة التربية سواء في منظمات التربية والتعليم أو في الأسرة أو في المجتمع المسلم، ولتحقيق هذا الفهم جاء هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه خمسة فصول كلها تقدم للقارئ معارف ومهارات من القرآن الكريم أو السنة النبوية ونماذج من حياة السلف الصالح، حيث يقدم الفصل الأول تمهيداً لفقه التربية بتوضيح معنى ومفهوم التربية، ومعنى ومفهوم الإسلام، بهدف إدراك العلاقة بين التربية والإسلام، ليصل القارئ إلى فقه التربية الإسلامية، ثم تناول الكاتب أهمية التربية الإسلامية وخاصة في هذا العصر، وما يموج به من متغيرات في شتى مجالات الحياة، كما عمد الكاتب إلى توضيح أهداف التربية الإسلامية، واقتصر على بيان وتوضيح هدف تربية المجتمع وفق الفطرة البشرية التي خلق الله عز وجل الناس عليها، وهدف بناء وإعداد الإنسان الصالح، الذي يتحمل أمانة الدين ومسؤولية التعمير في الأرض، وهدف تحقيق العبودية

لله عز وجل، تحقيقا لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ، وهدف بناء الإنسان المتوازن، وهدف المحافظة على القيم الإسلامية، وأخيراً هدف احترام العقل وتربية الفكر، ثم قدم الكاتب رؤية واضحة لأهم خصائص التربية الإسلامية، والتي تضمنت أن التربية الإسلامية في جوهرها تربية ربانية وتربية شاملة وتربية متوازنة وتربية واقعية وتربية تجديدية وتربية عالمية، لأنها مشتقة من عالمة الإسلام.

أما الفصل الثاني من الكتاب فقد تناول موضوع «مصادر التربية الإسلامية»، وأوضح أن مصادر التربية الإسلامية، هي نفسها مصادر التشريع الإسلامي، والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع والقياس، إلا أن هذا الفصل قد اقتصر على المصدر الأول: القرآن الكريم ، حيث قدم فكرة مبسطة عن مفهوم القرآن الكريم، ونزوله وخصائصه التربوية، وأهم الأبعاد التربوية في القرآن الكريم، كما قدم نماذج لآثار القرآن الكريم على من عاصروه، واقتصر على المصدر الثاني: السنة النبوية، حيث تناول الكاتب معنى السنة النبوية، ومنزلتها بالنسبة للقرآن الكريم، والأهداف التربوية للسنة النبوية، كما قدم هذا الفصل نبذه مختصرة عن محمد ﷺ القائد والمربي، وكذلك بعض ملامح التربية في المدرسة المحمدية، والآثار التربوية لاتباع سنة المصطفى ﷺ، ثم أضاف الكاتب المصدر الثالث للتربية الإسلامية، وهو الخبرات التربوية للسلف الصالح، وتعني تربية السلف الصالح التي تتفق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ثم جاء الفصل الثالث ليطوف بنا في مجالات أصول التربية الإسلامية، فقدم الكاتب فكرة عامة عن أصول التربية، ثم تطرق إلى مفهوم أصول التربية الإسلامية، ثم تناول بشيء من التفصيل مجالات أصول التربية الإسلامية، حيث تناول بالشرح والتوضيح أصول التربية الإيمانية في الإسلام، ثم أصول التربية العلمية في الإسلام، يليها أصول التربية التعبدية في الإسلام، وهو ترتيب منطقي يبدأ ببحث أصول التربية الإيمانية وترسيخ عقيدة التوحيد وبيان أركان الإيمان وتربية الناس عليها، ثم أصول التربية العلمية نظراً للارتباط الوثيق بين العلم والإيمان، ثم تأتي بعد ذلك العبادة لبيان الدور التربوي للعبادة في الإسلام.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

ثم تناول الكاتب أصول التربية الخلقية في الإسلام، بهدف توضيح أهمية الأخلاق التي يطبقها الإنسان من منطلق ديني، بحيث يتقن عمله خالصا لوجه الله تعالى، ثم يأتي كنتيجة مباشرة لذلك المنطلق الدنيوي، ولأن الإنسان هو كائن اجتماعي بفطرته، فقد تناول الكاتب أصول التربية الاجتماعية في الإسلام، ليوضح علاقة الإسلام بالمجتمع، ودور التربية الإسلامية في بناء المجتمع المسلم، الذي أراده المولى عز وجل.

كما تطرق الكاتب إلى أصول التربية الجنسية في الإسلام، وهو من الموضوعات التي يتحرج المرء من الحديث فيها، ولأن الإسلام تناول هذه التربية في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى ﷺ، كان لابد من تناول أصول التربية الجنسية في الإسلام، بهدف إحاطة القارئ المسلم، بأهداف التربية الجنسية، وبأهم مداخل وآداب التربية الجنسية، وأخيراً تناول الكاتب أصول التربية النفسية في الإسلام، باعتبارها ضرورة لتحقيق الصحة النفسية، من خلال تربية النفس الإنسانية وفق منهج الله عز وجل، وللغوص في أعماق هذه النفس والتعرف عن قرب على خطوطها المتقابلة وحركاتها وسكناتها ووساوسها، وطرق تزكية هذه النفس ومحاسبتها، وتقديم مداخل العلاج المناسبة لها وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أما الفصل الرابع فقد طوف بنا في ربوع منظمات التربية الإسلامية، حيث بدأ بمنظمة الأسرة المسلمة، وتم تناول بناء الأسرة المسلمة، والتطرق لأهم الأبعاد التربوية لبناء الأسرة في الإسلام، وهي بناء الأسرة على حسن الاختيار، وعلى الطهارة والعفة، وعلى المساواة وعلى المودة والرحمة، وعلى العدالة وعلى أدب الاستئذان، وعلى التكافل الاجتماعي، ثم قدم الكاتب شرحاً لأهم الوظائف التربوية للأسرة في الإسلام، وهي وظيفة إنجاب النسل الصالح، ووظيفة تربية الأبناء، وإشباع حاجاتهم للمودة والمحبة، والعدالة وعدم التفرقة بينهم، ثم تطرق الكاتب للمرأة في الأسرة المسلمة، موضحاً أبعاد الدور التربوي للمرأة المسلمة، سواء داخل الأسرة أو خارج الأسرة، كما وضح أهم ضوابط الاختلاط للمرأة المسلمة عند أداء أدوارها التربوية، فضلاً عن شرح لأهم كفايات المرأة المسلمة حتى تقوم بأدوارها التربوية على أكمل وجه.

وتناول هذا الفصل منظمة المسجد في الإسلام، وبدأ بتعريف المسجد وتطرق إلى نشأت المساجد في المجتمع المسلم، ثم قدم شرحاً للرسالة التربوية للمسجد في الإسلام، والتي تمثلت في دور المسجد باعتباره مكان للعبادة والتعليم، وباعتباره جامعة تربوية وتعليمية، ومركز إشعاع ثقافي وتربوي، ومركز تربوي واجتماعي، ونادي تربوي سياسي،

فضلاً عن كونه مركز للتربية الصحية والنفسية، ثم أخيراً كمركز للقضاء والعدل، ثم تناول هذا الفصل منظمة المدرسة في الإسلام، حيث تناول نشأت المدرسة الإسلامية، وتنظيم المدارس الإسلامية، ثم الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية، منها وظيفة نقل التراث الثقافي ونشر الثقافة الإسلامية، ووظيفة الإبداع والتجديد، كما تناول الكاتب صفات المربي في المدرسة الإسلامية، والتي تمثلت في العلم والتعلم والأمانة والإخلاص والتواضع والعزة، وتناول كذلك الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية في الحاضر، والتي تمثلت في توفير خبرات تربوية إسلامية، واستثمار ميول ومواهب النشء، وبناء الهوية الإسلامية للنشء، وإعداد المربي المسلم للعمل في المدارس، فضلاً عن بناء مجتمع تعلم مسلم في المدرسة.

كما تناول هذا الفصل منظمات الإعلام التربوي الإسلامي، حيث تضمن تعريف الإعلام والإعلام التربوي والإعلام التربوي الإسلامي، وأصول الإعلام التربوي الإسلامي، وأهمية الإعلام التربوي الإسلامي، كما تم شرح بعض صور الإعلام التربوي في صدر الإسلام، وذلك من خلال بيان وشرح الإعلام التربوي في القرآن الكريم، والإعلام التربوي في السنة النبوية الشريفة، والإعلام التربوي في الخطبة النبوية، والاتصال الشخصي والجمعي، وعلاقتهما بالإعلام التربوي، وعلاقة التليفزيون بالإعلام التربوي الإسلامي، كما كان من الضروري التطرق لمقومات الإعلامي المسلم، والتي تضمنت المقوم الروحي، ومقوم المظهر، والمقوم العلمي والمقوم الفني للإعلامي المسلم، ثم تناول هذا الفصل تقديم فكرة موجزة عن المجتمع المسلم كمنظمة تربوية، باعتبار أن المجتمع المسلم والتربية الإسلامية وجهان لعملة واحدة، حيث تضمن المسؤوليات التربوية للمجتمع المسلم، والتي تمثلت في تربية النشء، والتربية بالنقد والتربية بالحرمان الاجتماعي، والتربية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم جاء الفصل الخامس والأخير كي يختم به الكاتب فصول هذا الكتاب، وليطلع القارئ الكريم على بعض أساليب التربية الإسلامية الهامة، حيث بدأ بأسلوب التربية بالقدوة، وهو أحد أهم أساليب التربية الإسلامية، وتضمن الآثار التربوية للقدوة، مباشرة كانت أو غير مباشرة، ثم تناول أسلوب التربية بالحوار، الذي تضمن مفهوم وأشكال الحوار التربوي، والمصطلحات ذات العلاقة بالحوار، وعناصر الحوار التربوي، ثم ثمرات الحوار التربوي، وأهم معايير وآداب الحوار التربوي، وكذلك أهم أساليب الحوار التربوي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

كما تناول الكاتب أسلوب التربية بالقصة، وهو من الأساليب التي تستهوي الإنسان عموماً، والأطفال خصوصاً، لما تتميز به القصة من إثارة، وتشويق وصور وأحداث، حيث عرض شرحاً مختصراً لمعنى القصة في الإسلام، مع توضيح أهم الأبعاد التربوية للقصص القرآني، والتي تضمنت التربية العقدية والتربية الأخلاقية والتربية الاجتماعية والتربية النفسية وتربية التثبيت والصبر، وتربية المرأة، كما تناول الكاتب الأهمية التربوية للقصص النبوي، حيث تم اختيار بعض القصص النبوية وبيان أهميتها التربوية، ثم تطرق الكاتب لأسلوب التربية بالموعظة، موضحاً المداخل التربوية للموعظة في الإسلام، والمتمثلة في التذكير، والنداء الحاني المؤثر، والقصة المعبرة والحوار الراقي.

وكذلك تضمن هذا الفصل شرحاً لأسلوب التربية بالأمثال، حيث تضمن شرحاً لأهداف التربية بالأمثال في القرآن الكريم، ولأهداف التربية بالأمثال في السنة النبوية، ثم تناول أسلوب التربية بالثواب والعقاب، موضحاً أهم الأبعاد التربوية في عقوبات الحدود الإسلامية، وأهم التطبيقات التربوية لأسلوب الثواب والعقاب، وأخيراً فضل الكاتب أن يختم هذا الفصل بمجموعة مختارة من الأساليب والنماذج التربوية، من حياة الصحابة والسلف الصالح، وهي تتناول بشكل أساسي مواقف ونماذج في تربية الأبناء، حتى يستفيد القارئ الكريم من هذه المواقف والنماذج، ويستنبط منها العبرة والمثل والقدوة التي تفيد في مجال تربية الأبناء، وهكذا تضمن هذا الكتاب خمسة فصول جاءت جميعها لتزود القارئ باسلوب علمي وعملي بفقه التربية الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية وخبرات السلف الصالح.

أ.د. أحمد حسين الصغير
رئيس قسم أصول التربية
كلية التربية – جامعة سوهاج

١

الفصل الأول

التربية الإسلامية

مقدمة

معنى التربية

مفهوم التربية

معنى الإسلام

مفهوم الإسلام

مفهوم التربية الإسلامية

أهمية التربية الإسلامية

أهداف التربية الإسلامية

خصائص التربية الإسلامية

مقدمة:

ظهرت التربية الإسلامية وسطع نورها مع مبعث محمد ﷺ، الذي تولى رعاية العرب وتربيتهم مع قسوة طباعهم وشدة خشونتهم وتنافر أمزجتهم، فساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه والتفوا حوله، وقاتلوا أمامه ودونه، أعز الناس عندهم آباءهم وأقاربهم، وآثروه على أنفسهم، وهجروا في طاعته ورضاه أحباءهم وأوطانهم وعشيرتهم وإخوانهم، وكان ذلك وأعظم منه، ومحمد ﷺ لم يمارس الكتابة والقراءة، ولا طالع كتب السابقين، إن من يتأمل ذلك يتحقق له بنظر العقل أن محمداً ﷺ هو المعلم الأول للبشرية (علي، ٢٠٠٨).

والتربية التي استخدمها محمد ﷺ، لم تكن تربية بالمفهوم الضيق، وإنما كانت تربية شاملة في المسجد والشارع وفي الأسرة وفي ميدان القتال وفي المجتمع كله، وكانت تربية تشمل الصغار والكبار، كما كانت تربية موجهة للرجال والنساء، وظلت التربية الإسلامية في البلاد الإسلامية قوية بفضل التمسك بالقرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، وبفضل قدرة المسلمين على التجديد الفكري واستخدام القياس كمنهج يعالج ما يستجد من أمور حياتية، واتفاق المجتهدين من الأمة، مما ساعد على بناء الشخصية المسلمة المتفتحة، المتفاعلة مع كل جديد والقادرة على تحديد الغث من الثمين، وهو ما أدى إلى رقي فكري وعلمي وأخلاقي، أسهم في بناء حضارة لم تدانيها حضارة في العصور الوسطى.

إلا أنه بمرور الزمن انشغل المسلمون بتوافه الأمور فتردى فكرهم، وابتعدوا كثيراً عن تعاليم القرآن الكريم، وسنة رسوله محمد ﷺ، وأُهملت التربية الإسلامية، وتضاءل الاهتمام بالعلوم التجريبية، واعتمدت العلوم الدينية على الحفظ والاستظهار، وانشغل المسلمون فترة طويلة من الزمن بالقضايا السطحية، وتوقف الاجتهاد في الفقه، وتركوا القضايا الجوهرية في الدين، والقضايا الفكرية والعلمية في الدنيا، فقل إيمانهم وتردى علمهم، وتضاءل دورهم وتوارى نورهم، في الوقت الذي شهد فيه الغرب صحوة علمية وفكرية ومعرفية وضعتهم في المقدمة، ومع الاحتكاك الثقافي بالغرب، دخلت المجتمعات الإسلامية في مرحلة الإنبهار بالثقافة الغربية، وسادت التربية الغربية وتوارت التربية الإسلامية، وهو ما أدى إلى ظهور أجيال جديدة بعيدة كل البعد عن تعاليم الشريعة الإسلامية، ولا علاقة لها بالأجيال التي أرادها الرسول محمد ﷺ للأمة التي جاهد لبنائها، والتي وعد بأنه سيباهي بها الأمم يوم القيامة.

ونظرا للأثر العظيم الذي تركته التربية الإسلامية، في الأمة الإسلامية في أزهى عصور الإسلام، وما خلفته وراءها من حضارة ومعرفة وازدهار وقوة ومجد، كنتيجة مباشرة للتمسك بالقيم الإسلامية الخالدة، فإن المجتمعات الإسلامية اليوم في أشد الحاجة إلى التربية الإسلامية، التي تستند إلى الإيمان والعقيدة والقيم والمعارف والأفكار والفضائل والأخلاق، من خلال النبع الصافي المتمثل في القرآن الكريم، وسنة محمد ﷺ، وخبرات العصور الإسلامية الزاهية التي شهدت صحابة رسول الله والتابعين والسلف الصالح، لتقدمها بأسلوب عصري، يعض بالنواجذ على الثوابت والأصول، ويفْقه الواقع ويرنو إلى المستقبل، بهدف بناء الأجيال الجديدة القادرة على التمسك بقيم ومبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية واتخاذها نبراسا يضئ لها الطريق.

معنى التربية:

تتعدد معاني التربية في القرآن الكريم وكذلك في معاجم اللغة العربية، حيث جاءت بمعنى الملكية والاستحقاق، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور، أن أصل التربية يعود إلى «ربَّه يرُبَّه ربًا» أي ملكه، ورب كل شيء مالكه ومستحقه، والرب له الربوبية على جميع الخلق، ويطلق الرب في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والمنعم، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، مثل رب البيت ورب الدابة ورب الدار. (ابن منظور، د.ت).

كما جاءت التربية بمعنى الزيادة والنمو، وهى تعود إلى فعل «ربا يربو» بمعنى زاد ونما، فهو راب وهي رابية، وورد في القرآن الكريم لفظ «ربت» بمعنى زادت ونمت، وهو ما يبدو من قول المولى عز وجل: ﴿..... وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾(١) ، كما ورد لفظ «يربو» و«يُربِي» بمعنى يزيد وينمو، في قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ ٱللَّهِۖ.. ﴾(٢) ، وقوله جل شأنه: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ... ﴾(٣)، واستخدم القرآن الكريم أفعل التفضيل «أربى» بمعنى أقوى في قول الله عز وجل:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

﴿... أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

وجاءت التربية بمعنى الرعاية والتنشئة، ويرجع أصل التربية هنا إلى «رَبِيَ يَرْبَى» على وزن خَفِيَ يَخْفَى بمعنى نشأ وترعرع، قال عز وجل: ﴿ ... وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرا﴾[2] ، وقال جل شأنه: ﴿ ... أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[3] ، وهنا إشارة إلى التربية بمعنى الرعاية والإعداد والتنشئة في فترة الطفولة، وأنشد ابن الإعرابي ليشير لهذا المعنى:

فمن يكن سائلاً عني فإني   بمكة منزلي وبها ربيت

كما جاءت التربية بمعنى سياسة القوم وإصلاح شؤونهم، ويرجع أصل التربية هنا إلى «رَبَّ يَرُبَّ على وزن مَدَّ يَمُدَّ» بمعنى ساس وأدب وأصلح قال عز وجل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] ، وقد أورد ابن منظور في لسان العرب قول حسان بن ثابت ليشير إلى هذا المعنى:

ولأنت أحسن إذ برزت لنا   يوم الخروج بساحة القصر

من درة بيضاء صافية   مما تربب حائر البحر

وكذلك يرجع أصل التربية إلى «ربيت» القوم بمعنى سستهم أي كنت فوقهم، والعرب تقول لأن يربني فلان أحب إليّ من أن يربني فلان، يعني أن يكون ربا فوقي وسيدا يملكني، وقد ورد في القاموس المحيط، ١٩٨٦ «ربها نماها وأصلحها، وربرب الرجل إذا ربى يتيما وربربت الأمر أصلحته وجعلته قويا، والربيبة الحاضنة لأنها تصلح الشيء وتقوم به»، وعليه فإن معاني التربية تعبر عن الملكية والاستحقاق والزيادة والنمو، كما تعني الرعاية والإعداد والتنشئة، وسياسة الناس وإصلاح أمورهم.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٨.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

مفهوم التربية:

تعددت معاني التربية، وتنوعت مفاهيمها وتلونت بلون الزمان والمكان والتخصص ومستوى التحضر، وأدلى الفلاسفة والسياسيون وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الدين وعلماء التربية بدلوهم في تعريف التربية، كل حسب الزاوية التي ينظر منها إلى التربية، فعرفت التربية بأنها عملية تلقين، وعرفت بأنها عملية تفتح وبناء من الداخل، وعرفت بأنها عملية اجتماعية تغرس في الإنسان ثقافة مجتمعه، وعرفت بأنها إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد الكمال، وعرفت بأنها عملية تهدف إلى تكيف الإنسان مع بيئته.

كما عرفت التربية بأنها عملية حفظ التراث الثقافي ونقله من جيل إلى جيل، وعرفت بأنها ترويض وتدريب للملكات العقلية وإستثمار للذكاء الإنساني، وعرفت بأنها عملية استثمارية اقتصادية، وعرفت بأنها خبرة تؤدي إلى مزيد من كسب الخبرة، وبأنها عملية إعداد للحياة، وللشخصية المتكاملة من جميع الجوانب، إلا أن القارئ المتفحص يجد أن هذه التعريفات جميعاً، لا تخرج كثيراً عن المعنى اللغوي للكلمة، فجميع التعريفات يكمل بعضها الآخر وتدور حول فكرة أساسية وهي تنمية وإعداد ورعاية الإنسان من جميع الجوانب، من أجل بناء شخصيته على نحو يمكنها من مواصلة حياة الجماعة وتطويرها.

معنى الإسلام:

تعود كلمة «إسلام» في اللغة إلى أسلم يسلم إسلاما بمعنى إظهار الخضوع والاستسلام، أما معنى الإسلام في القرآن فيشير إلى إسلام الوجه لله، والاستسلام له بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِن ...﴾[1]، وقال عز وجل:﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِن فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ...﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿ فَإِلَٰهُكُم إِلَٰه وَٰحِد فَلَهُۥ أَسلِمُواْ وَبَشِّرِ المُخبِتِينَ ﴾[3]، كما قال سبحانه: ﴿ أَفَغَيرَ دِينِ اللَّهِ يَبغُونَ وَلَهُۥ أَسلَمَ مَن فِي السَّمَٰوٰتِ وَالأَرضِ طَوعا وَكَرها وَإِلَيهِ يُرجَعُونَ﴾[4].

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

مفهوم الإسلام:

الإسلام هو الدين الذي أنزله الله على جميع رسله، قال عز وجل: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[2] ، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[3].

وهو النظام الذي ختم به الله تعالى الشرائع فأنزله على محمد ﷺ، وجعله نظاما كاملا شاملا لجميع نواحي الحياة، وارتضاه عز وجل لتنظيم علاقة البشر بخالقهم وتنظيم علاقتهم بالكون وببعضهم، تنظيما جوهره الخضوع لله وحده وإخلاص العبودية له، واتباع سنة الرسول ﷺ، قال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ... ﴾[5].

مفهوم التربية الإسلامية:

الإسلام شريعة الله للبشر أنزلها لهم، ليعبدوا الله وحده لا شريك له، وفي إطار هذه العبادة يعمرون الكون، ويحققون الخلافة في الأرض، وأن العمل بهذه الشريعة يتطلب تطوير وتنمية وتهذيب الإنسان، حتى يصلح لحمل هذه الأمانة وتحقيق هذه الخلافة، فلا تحقيق لشريعة الإسلام إلا بتربية النفس والجيل والمجتمع، على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده، الأمر الذي جعل التربية الإسلامية فريضة في أعناق جميع الآباء والمربين، وأمانة يحملها كل جيل للجيل الذي يأتي بعده، إنها تربية الإنسان على أن يحكِم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته، وينقاد مطيعاً لأمر الله ورسوله (النحلاوي، ٢٠٠٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

والتربية الإسلامية تقوم على تصور يؤمن بإله واحد خالق لهذا الكون، وهو تصور يقف في تناقض تام مع تصور آخر لا يرى في الوجود إلا الإنسان باعتباره هو سيد الكون، وهذا التصور الثاني وجد منذ قرون ومازال له أنصاره حتى الآن، أما التصور الذي تستند إليه التربية الإسلامية فهو يقوم على الإيمان بالله وحده لا شريك له، هو الخالق لكل ما في الكون، خلق الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له العديد من مخلوقاته (علي،٢٠٠١).

كما تستند التربية الإسلامية على مجموعة متناسقة، من المفاهيم والقيم الفاعلة في نفس المؤمن وروحه، حتى وإن كان على غير وعي كامل بها، فالمسلم الذي يمارس شعائر دينه، ويعيش بفكره وسلوكه على مستوى من الخلق، يكاد أن يكون فطرة له، فهو يؤمن أن الله سبحانه يراه ويسمعه في كل لحظة، ويؤمن أن الله أقرب إليه من حبل الوريد، ويؤمن أن الله رازقه، ويؤمن أن مسؤوليته عن أفعاله ونواياه مسؤولية أخلاقية كاملة محاسب عليها، كما يؤمن أنه وحده يحمل طائره في عنقه، فيحرص على كل ما هو حلال ويبعد عن الحرام، ويتوكل على الله ويصبر على الابتلاءات والشدائد، ويتوب إلى الله تعالى إذا أذنب طالبا العفو والصفح من خالقه، ويعترف بفضل الله عليه، وينتظر الثواب والأجر في الآخرة، بهذا يصل المسلم إلى درجة من التربية تسمى التربية الإسلامية (التويجري، ١٩٨٨).

وعُرفت التربية الإسلامية تعريفات متعددة، منها «التربية الإسلامية تمثل إطاراً فكريا ونظاما متكاملا، يتناول التربية في أسسها النظرية وفي طرائقها العملية من وجهة نظر الإسلام، فالتربية الإسلامية عملية تنمية مواهب الإنسان تنمية متزنة، ودعم الإيمان والعلم والخلق والعمل الصالح بصورة متلاحمة منسجمة تؤدي إلى إعداد الشخصية المسلمة العابدة التي تتجه بكل علمها وعملها وخلقها نحو الله سبحانه وتعالى» (متولي، ١٩٩٧). كما عرفت التربية الإسلامية بأنها «التنمية الشاملة لجميع جوانب شخصية الإنسان الجسمية والعقلية والعقدية والروحية والخلقية والاجتماعية والنفسية والجنسية والجمالية وغيره، في ضوء ما جاء به الإسلام، حتى يكون هذا الإنسان عابداً لله وحده، عبودية تحقق له الفوز بالدنيا والآخرة، وتجعله لبنة خيره في بناء مجتمعه وإسعاد البشرية» (القاضي، ٢٠٠٤).

وكذلك عرفت التربية الإسلامية بأنها: «منظومة من المفاهيم التربوية المتكاملة والمتصلة، التي تستند في اشتقاقها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والخبرة التربوية، وتصاغ من قبل جماعة من الخبراء والمتخصصين، بهدف بناء الشخصية الإنسانية القادرة على تحقيق العبودية والاستخلاف، حيث أنها ترسم عددا من الإجراءات والتطبيقات العملية، التي يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام» (علي، ٢٠٠٧)، كما عرفت التربية الإسلامية بأنها: «عملية تنشئة إسلامية تمكن الفرد المسلم من تحقيق أهداف الإسلام، وعلى رأسها عبادة الله تعالى وعمارة الأرض، مراعية الشمول والتكامل، وهي تربية تسعى إلى تنمية جوانب الشخصية الإسلامية، لترقى هذه الشخصية إلى مستوى يمكنها من تطبيق الإسلام في المجتمع، بما يكفل ازدهار الدنيا وسعادة الآخرة» (العياصرة، ٢٠١٠).

وقد جمعت التربية الإسلامية منذ ظهور الإسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، فهي تعني بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر، وتبدأ التربية الإسلامية في البيت عن طريق المحاكاة والتقليد، حيث ينشأ الطفل فيرى والديه يقرأون القرآن ويقيمون الصلاة ويصومون شهر رمضان وغيره من المشاعر التي تنطبع في ذهنه شيئا فشيئا فيتشربها منذ نعومة أظافره، ويكبر ويشق طريقه في الحياة محتكما في شئون حياته إلى شريعة الإسلام الذي تربى عليها.

استناداً إلى ما سبق يمكن القول، أن التربية الإسلامية هي منظومة من المفاهيم التربوية المتكاملة، المشتقة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والخبرات التربوية المرتبطة بهما والمتوافقة معهما، والتي يتم من خلالها إعداد الإنسان من جميع الجوانب العقلية والجسمية والروحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والجمالية والأخلاقية والجنسية والصحية، إعدادا شاملا بحيث يتضمن جميع جوانب الإنسان، ومتوازنا لا يطغى فيه جانب على آخر، ويقود الإنسان إلى خيري الدنيا والآخرة

أهمية التربية الإسلامية:

تبدو مؤشرات أزمة التربية في كل دول العالم، في الزيادة المطردة لنوازع الشر في الإنسان المتعلم، وفشله في فهم رسالته في هذه الحياة، وانتشار التحلل الأخلاقي وسط انفجار معرفي، لم يشهد له مثيل في تاريخ البشرية، إلا أن نظرة متعمقة وفاحصة لحياة الإنسان المعاصر على سطح المعمورة، توقف المتابع على صور متزايدة من التحلل الأخلاقي والسلوك غير المنضبط، والانخراط في العديد من صور الانحراف والشذوذ وإدمان المخدرات، بل وظهور جماعات تعبد الشيطان وترفض الدين، كما تطالعك صور التعري الفاضح، وانتشار العلاقات غير المشروعة، حتى في منظمات التربية والتعليم، فضلاً عما يتبع ذلك من أزمات نفسية واجتماعية، وضيق وقلق وضياع وحيرة وأنانية، يعاني منها الأفراد على كافة المستويات (النجار، ٢٠٠٦).

إن أنظمة التربية والتعليم المعاصرة اهتمت بالجانب المادي والعقلي على حساب الجانب الروحي والقيمي، وهو ما أدي إلى انهيار القيم وتفشي الزنا والشذوذ والإعلان بالفواحش، حتى أصبحت الفاحشة علامة التحضر، وبات الربا هو أساس الاقتصاد، وأصبحت التجارة عملاً مساويا للتكتلات المالية الكبرى، القائمة على الاستغلال والرشوة والتحكم في أقوات ومصالح الناس، وأصبحت السياسة مناورات غير أخلاقية، حيث اختلط العدل بالمصالح الشخصية، وتحولت الحرية إلى فوضى، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة، فاختلت الموازين وتحللت المجتمعات، حتى أصبح الحق والباطل لا معنى لهما في عالم تحكمه المادة والأطماع والهوى (النجار، ٢٠٠٦).

وهكذا فالمتأمل في الحضارة الحديثة، يراها ارتقت كثيراً في ميادين الكشوف الكونية، ومع هذا التقدم الكبير في المجال المادي، تفاحشت الشهوات والمظالم، وظهر الفساد في البر والبحر، واتسعت دائرة الإلحاد وتحكم الهوى في سلوك الإنسان، وصدق قول المولى عز وجل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، الأمر الذي يؤكد مدى حاجة البشرية في القرن الواحد والعشرين، إلى التربية الإسلامية التي تزكي نفس الإنسان، وتصفي المعدن الإنساني

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

من شوائبه، والتي تجعل الغرائز كلها تحت رقابة العقل المؤمن فلا تطغى ولا تجمح (الغزالي، ١٩٩٦).

وإذا كانت الأمة الإسلامية إنتفضت من الحضيض ومن تراب الأرض، فوصلت إلى أعلى المراتب لتناطح السحاب في السماء، وتحركت من بين قبائل لا تلتقي إلا على الصراع والتشرذم والتفرق، فإذا هي أمة قوية متناغمة ومتماسكة تختلف عن كل شعوب الأرض، تبني وتعمر وتصلح وتقيم نماذج أخلاقية لم يعهدها الناس من قبل، بل وإنتشرت وتوسعت في فترة وجيزة في أصقاع الأرض، تنشر بين الناس نور الإسلام وتعاليمه وقيمه، وتطبق أحكام القرآن الكريم وتعاليم المصطفى ﷺ ، إلا أن هذه الأمة على مدى أكثر من ألف عام، إبتعدت رويدا رويدا عن القرآن وسنة المصطفى ﷺ ، وهو ما أدى إلى العودة للبدء المتمثل في التشرذم والتكالب على الدنيا.

ودخلت المجتمعات الإسلامية القرن الواحد والعشرين تابعة للغرب في كل مجالات الحياة، متأسية بأفكاره وطرقه ومعارفه ومنتجاته، ومقلدة لقيمه البعيدة عن قيم الإسلام، معتبرة أن في ذلك طوق النجاة وطريق التقدم والازدهار، وغير مدركة أن الغرب يعيش في إطار نظام رأسمالي يبيح المظالم والمفاسد والقيم الهابطة وازدواجية المعايير، والربا والزنا وارتكاب الفواحش، وامتصاص دماء الفقراء من خلال الشركات العملاقة عابرة القارات، ومن خلال الاتفاقيات الجائرة التي لا ترى فيها سوى علاقة القوي المتسلط بالضعيف المغلوب على أمره.

بالرغم من وجه العلم المضيء الذي لا ينكره أحد على المجتمعات الغربية، إلا أن الغرب يملك حضارة عرجاء تسير على قدم واحد، وبات العرب والمسلمون ينهلون من حضارة مشوهة وغير مستقيمة الخطى، ومن غرائب الدنيا أن الأمة الإسلامية لديها هذا الوحي الإلهي، ولا تحسن صحبته ولا تستضيء بسناه، ولا تستعين به في تسيير أمور حياتها، الأمر الذي يجعل التربية الإسلامية في الوقت الراهن ضرورة حياة، لبناء جيل جديد بفكر جديد يربط بين الأصالة والمعاصرة ويملك القدرة على إعادة الأمة الإسلامية إلى سابق عهدها، فتكون لها الريادة والقيادة في إعادة التوازن من جديد للبشرية التائهة، فتقودها مرة أخرى إلى صراط الله المستقيم.

أهداف التربية الإسلامية:

الهدف هو وصف لتغير سلوكي، متوقع حدوثه في شخصية الإنسان المتعلم، بعد مروره بخبرة تعليمية ما، ولابد أن يشتق الهدف من مصدر بعينة، ومصادر اشتقاق أهداف التربية الإسلامية، هي نفسها مصادر التشريع الإسلامي، والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس.

ولم تكن أهداف التربية الإسلامية دنيوية محضة، وإنما كانت دينية ودنيوية معا، فالشريعة الإسلامية ترمي إلى تربية وإعداد المسلم للدنيا والآخرة، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ...﴾[1]، وتشير الآية إلى اعتدال المنهج الإلهي القويم الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه من أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا، لقد خلق الله تعالى طيبات الحياة ليستمتع بها الناس، وليعملوا في الأرض لتوفيرها، وتتحقق خلافة الإنسان في الأرض، على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة.

وإذا كانت أهداف التربية في المناهج البشرية قديما وحديثا، ترمي إلى إعداد المواطن الصالح، فإن الإسلام يرقى إلى ما هو أبعد من ذلك، ويجعل الغاية من التربية الإسلامية، هي إعداد الإنسان الصالح الذي يلتزم منهج القرآن، ويتأدب بأدب الإسلام، الإنسان العالمي الذي يعتقد أن الناس جميعاً هم خلق الله، لا يفرقهم الجنس أو اللون أو العصبية أو القبلية، فهم جميعاً خلقوا من نفس واحدة، يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفس وَٰحِدَة... ﴾[2]، وهم جميعاً راجعون إلى الله في النهاية، مصداقاً لقول المولى سبحانه: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾[3] (عميرة، ١٩٩١).

وكان نزول القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ، إيذاناً بوضع حجر الأساس لبناء التربية الإسلامية، التي من أهم أهدافها بناء الإنسان من جديد، وإيجاد شخصية إنسانية، تختلف عن الشخصيات التي عرفتها مختلف المجتمعات من قبل، ومن ثم فقد أودع القرآن الكريم المعالم الأساسية، والبذور الأولى التي ترسم لهذه الشخصية أبعادها وتشكل حدودها، وأصبح لزاما على كل من يتصدى لمسؤولية

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة النجم، الآية: ٤٢.

التربية في الإطار الإسلامي، أن يتخذ هذه الأبعاد وهذه الحدود منطلقا تنطلق منه العملية التربوية (علي، ٢٠١٠)، وفيما يلي توضيح لأهم أهداف التربية الإسلامية:

أولاً: تربية الأمة وفق الفطرة البشرية:

جاء الإسلام ومن بين أهدافه تربية أمة، تحمل هذا الدين الخالد إلى البشرية كلها، تربية توافق الفطرة البشرية، وتتلاءم مع النفس الإنسانية، ولا تحيد قيد أنملة عن الجبلة التي فطر الناس عليها، جاء الإسلام يربي الإنسان المسلم قلبا وروحا، ويربيه جسدا وعقلا، ويربيه أخلاقا وسلوكا، ويرتفع به إلى أفق الإنسانية، ويصنع منه طاقة كونية فعالة، تهيمن على الكون وتسخره لتحقيق الخلافة في الأرض، كما هدف الإسلام إلى تربية إنسان قوي عزيز لا يذل ولا يضعف ولا يجبن، بل يواجه الأحداث في إيمان وثقة من عون الله تعالى ونصره، يقول سبحانه: ﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1] (عميرة،١٩٩١).

ثانياً: بناء وإعداد الإنسان الصالح:

تهدف التربية الإسلامية إلى إعداد الإنسان الصالح «الأتقى»، يقول عز وجل: ﴿ ... إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ... ﴾[2] ، الإنسان الذي يعبد الله تعالى ويهتدي إليه، ويستمد من هذا الهدي منهج حياته، الذي يحقق الخلافة في الأرض، والفوز في الآخرة، والذي يرد الإنسان إلى ربه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحا فَمُلَٰقِيهِ ﴾[3] ، وهذا الرد إلى الله تعالى هو محور التربية الإسلامية، التي تربي الناس على أن الله واحد أحد فرد صمد لا ند له ولا ولد، هو المتحكم في هذا الكون والمسير له بيده الخلائق، وهو وحده صاحب القوة وصاحب السلطان، وهو المالك لكل ما في الأرض وكل من في الأرض، ﴿ ... بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[4].

إن حياة الإنسان على الأرض تنتهي بالموت، والموت لا يمكن أن يكون هدفا ولا غاية، فهل يرغب إنسان عاقل في حياة، يكد فيها ويشقى ويبني ويشيد، ثم

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.
(٤) سورة يس، الآية: ٨٣.

تنتهي بالموت، والموت وحده ولا شئ بعد الموت، لذلك جاء الإسلام ليؤكد أن الهدف ليس الموت وإنما الحياة، الحياة الأبدية السرمدية، في كنف واهب الحياة سبحانه وتعالى، في جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (الأسمر، ٢٠٠٤).

ثالثاً: تحقيق العبودية لله عز وجل:

تغرس التربية الإسلامية في المسلم، هدفا أسمى يستمر معه ما بقيت الحياة، وهو تحقيق العبودية لله وحده، فيوجه كل طاقاته ونشاطاته نحو ذلك الهدف، فيكون ولاؤه لله تعالى، وخوفه من الله عز وجل، ورجاؤه في الله جل شأنه، وكل أعماله ظاهرة وباطنه مقصودا بها وجه الله تعالى، وكل جوانب حياته موجهه بهدي الله تعالى ورحمته، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] (علي، ٢٠٠٧).

وعليه تهدف التربية الإسلامية إلى تخليص الإنسان من الضلال في العقيدة، والفساد في السلوك والأخلاق، وتدعوه إلى أن يكون ربانيا عابداً لله تعالى، لقد رضي الإنسان لنفسه أن يحمل أمانة عظيمة، عجزت السماوات والأرض والجبال عن حملها، ألا وهي العبادة الخالصة لله تعالى، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا ﴾[2]، فتعمل التربية الإسلامية على الانتقال بالإنسان المسلم من الاستسلام لله تعالى باللسان، إلى الاستسلام له سبحانه بالقلب والجوارح، وإلى مراقبة الله تعالى في كل الحركات والسكنات (الخوالدة وعيد، ٢٠٠٣).

رابعاً: بناء الإنسان المتوازن:

كما تهدف التربية الإسلامية إلى بناء الإنسان المتوازن، الذي يسلك باعتدال في حياته، فلا يُفْرط في جانب أو يُفَرِط في آخر، وإنما ينحو منحى الاعتدال والوسطية في حياته كلها، لأن التشدد والغلو ليس من الإسلام في شيء، بل يتناقض مع روح القرآن الذي يقول فيه سبحانه: ﴿ ... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ... ﴾[3]، والذي

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

يقول فيه جل شأنه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفا ﴾[1]، فلا إفراط ولا تفريط والفضيلة وسط بين الطرفين.

ولقد جاءت تكاليف الإسلام على قدر السعة والاستطاعة فقال جل شأنه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ...﴾[2]، كما تؤكد السنة النبوية تربية الإنسان المسلم على الاعتدال وعدم الغلو، ويتضح ذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم أما أنا فاني أصلي الليل أبدا، وقال آخر وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (البخاري) (الزهراني، ٢٠٠٣)، وهذا الحديث يؤكد أحد أهداف التربية الإسلامية الهامة، وهو تربية الإنسان المسلم على الوسطية والاعتدال، والابتعاد عن التنطع والغلو.

خامساً: المحافظة على القيم الإسلامية:

كما يأتي من بين أهداف التربية الإسلامية، المحافظة على القيم الإسلامية، وتربية الأفراد على الأخلاق والفضائل، حيث حدد محمد ﷺ مهمة رسالته فقال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وأجمل ما أثنى الله تعالى به على رسوله قوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم ﴾[3]، لذا تهدف التربية الإسلامية إلى تربية الإنسان على ضبط النفس، والصدق في القول، والإتقان في العمل، والأمانة في المعاملة، والشجاعة في الرأي، والعدل في الحكم، والصلابة في الحق، والعزم على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحرص على النظافة، واحترام النظام والتعاون على البر والتقوى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

سادساً: احترام العقل وتربيته على التفكر:

هذا وتعمل التربية الإسلامية على تربية وتدريب العقل، الذي لم يذكر في القرآن إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى ضرورة العمل به، ويأتي التفكر كأحد أهم خصائص العقل، التي ينظر من خلالها الإنسان بعمق للمواقف والخبرات ويستخرج أسرارها وبواطنها، ويبني عليها النتائج والأحكام والقرارات، يقول عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَذكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰما وَقُعُودا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضِ رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هَٰذَا بَٰطِلا سُبحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١)، ويقول عز وجل: ﴿ أَوَلَم يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَل مُّسَمّىۗ وَإِنَّ كَثِيرا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاي رَبِّهِم لَكَٰفِرُونَ﴾(٢)، وقال جل شأنه: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَل لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعا مُّتَصَدِّعا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣). وهي دعوة مستمرة للتفكر والتدبر لكي يصل الإنسان إلى عقيدة التوحيد، وعبادة الله سبحانه وتعالي على بصيرة وقناعة، فيعيش وفق منهج الله سبحانه وتعالى.

ويعد بناء الإنسان المسلم، هو نواة أساسية لبناء الأسرة المسلمة، التي ترجع كل أمورها الحياتية لله عز وجل، وتطبق أحكام الشريعة الإسلامية على نفسها، فتسلك وفقاً لمصادر التشريع الإسلامي، وتحرص على غرس عقيدة التوحيد في نفوس الأبناء، وتربيتهم على القيم الإسلامية والفضائل الخلقية، فتبني جيلاً من المسلمين يؤمنون بالتعاون على البر والتقوى والتراحم والتكافل والتصدق والعطاء، مع إخلاص النية لله عز وجل لينالوا رضوانه، الأمر الذي يؤدي إلى بناء مجتمع إسلامي متماسك.

مما سبق يمكن القول أن أهم **أهداف التربية الإسلامية** هي:

١. تربية الإنسان المسلم على عبادة الله وحده لا شريك له، وفق مفهوم واسع للعبادة، يؤكد أن كل عمل أو قول يقوم به الإنسان المسلم خالصاً لوجه الله تعالى هو عبادة لله عز وجل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢١.

٢. تربية الإنسان المسلم على منظومة من القيم الروحية والوجدانية والأخلاقية والعلمية الفردية والجماعية، التي تشتق من مصادر التشريع الإسلامي.

٣. تربية الإنسان المسلم ليبلغ الكمال الإنساني، ويحقق السعادة في الدنيا بالقناعة والرضا بعطاء الله بعد الجد والاجتهاد، والآخرة بفوزه بدخول الجنة، يقول سبحانه: ﴿ ... فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ... ﴾[1].

٤. تربية الإنسان الصالح المرتبط بالمسلمين والمتفاعل مع مجتمعه، والذي يحمل هم أمته الإسلامية، فيعمل جاهدا على نصرتها والارتقاء بها، والمساهمة بفاعلية في تطورها.

٥. تربية الإنسان المسلم الذي يسلك باعتدال ووسطية في حياته، يقول عز وجل: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2].

٦. تربية الإنسان المسلم الواعي صاحب الرأي والمشورة، القادر على التفكير والنقد والبحث والتفكر والتعلم المستمر، بهدف بناء نفسه وتطوير مجتمعه.

٧. تربية الإنسان المسلم الخالي من العلل والأمراض عضوية كانت أو نفسية، بقربه من الله ووصل روحه بخالقها، وبتبنيه لقيم النظافة والطهارة والجمال.

٨. تربية الإنسان المسلم النافع لغيره من المسلمين، والقادر على خدمة المحتاجين، والمجاهد في سبيل نصرة الحق والعدل والمستضعفين.

خصائص التربية الإسلامية:

مر الإنسان عبر تاريخه الطويل بأنواع شتى من التربية، حيث كانت تأتي التربية معبرة عن عقيدة المجتمع وفلسفته وثقافته، فكانت التربية الإغريقية معبرة عن عقيدة وفكر وفلسفة وثقافة المجتمع الإغريقي، وكانت التربية الرومانية معبرة عن

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

عقيدة وفكر وفلسفة وثقافة المجتمع الروماني، وهكذا كانت التربية المسيحية واليهودية والاشتراكية وغيره.

أما التربية الإسلامية فهي ذات خصائص تميزها عن غيرها من أنواع التربية الأخرى، حيث ترتبط التربية الإسلامية وتنسجم مع خصائص الإسلام ذاته، فسماتها تنبع من سماته وخصائصها تشتق من خصائصه، وعلاقتها بالإسلام كعلاقة الضياء بالشمس والنور بالقمر، ولولا الشمس والقمر ما كان الضياء ولا النور، ولأن الإسلام منهج حياة، ونظام يجمع بين النظرية والتطبيق وبين العقيدة والتشريع وبين الدنيا والآخرة، فإن منهجه التربوي في تنشئة الفرد وتكوين المجتمع، اتصف بصفات الإسلام وخصائصه (الجلاد، ٢٠٠٤).

وقد تلتقي التربية الإسلامية مع أنواع التربية الأخرى في الوسائل وبعض الأهداف، إلا أن البشرية لم تعرف في تاريخها كله، منهجاً تربوياً بهذا الشمول وهذه السعة وهذه الإحاطة، بحيث لا يغيب عنه شيء في حياة الإنسان، سواء المادية أو الروحية أو النفسية أو الإجتماعية أو الأخلاقية أو الإقتصادية أو الترويحية أو الجمالية أو الإنسانية بشكل عام، فمنهج التربية الإسلامية منهج له طريق واحد وغاية واحدة، وهي تربية الإنسان الصالح الذي يعمر الكون في إطار عبادة الله تعالى، وبما يحقق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة.

فالتربية الإسلامية ليست في جوهرها إلا تجسيداً وتمثيلاً لمنهج الإسلام في تكوين الفرد والمجتمع، مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنهما تتشكل تصوراتها التربوية، التي توضحها الرؤية الإسلامية للكون والإنسان والحياة، والمعرفة وارتباط ذلك بحقيقتي الإلوهية والعبودية، ولتحقيق هذه الرؤية رسمت التربية الإسلامية منهجاً علميا اشتمل على أبعاد التربية كافة، وصولا لتحقيق الهدف الاسمى من وجود الإنسان، ألا وهو عبادة الله سبحانه وتعالى، يقول عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وما يرتبط به من عمارة الأرض وترسيخ معاني الاستخلاف، ويأتي من بين أهم خصائص التربية الإسلامية ما يلي:

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

أولاً: تربية ربانية:

التربية الإسلامية تربية ربانية المصدر بمعنى أن مصدرها الوحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما يشكلان المرجع الذي يحكم تفاعل العقل الإنساني ويضبط منهجيته في التعامل مع عوالم الأشياء والأفكار، بحيث يكون عمل الإنسان التلقي والإدراك والتطبيق، أي أن مصدر التربية الإسلامية الأول هو رب العالمين، وهو مصدر رباني الغاية بمعنى أنه مستقل لا يتدخل فيه البشر، فهو المصدر الاعتقادي الوحيد الباقي بأصله الرباني وحقيقته الربانية، وصدق وعد الله في شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

وهو مصدر رباني الوجهة، حيث يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، فهذه غاية الإنسان ووجهته ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحا فَمُلَٰقِيهِ﴾[2]، ويعتقد المسلم في قرارة نفسه أن توجيهات هذه التربية الربانية هي أعدل التوجيهات وأكملها وأوفاها بتحقيق كل خير، ودرء كل شر، وأقدرها على إقامة بنيان إنساني على أعلى درجة من الصحة والسلامة والصلاح، لذا يقوم بتطبيقها عن قناعة تامة بضرورتها وخيريتها. (على، ٢٠٠٧).

كما أن التربية الإسلامية هي تربية ربانية لأن عمادها إعداد القلب الحي الموصول بالله عز وجل، الموقن بلقائه وحسابه، والراجي لرحمته والخائف من عقابه، فتؤكد التربية الإسلامية على روح الإنسان التي تسمو به، وتصله بأعماق الحياة وأسرار الوجود، وتنقله من تراب الأرض إلى عنان السماء، ومن عالم الفناء إلى عالم الخلود، فهي تربية تعمد إلى إحياء القلوب حتى لا تموت وعمارتها حتى لا تخرب، وترقيتها حتى لا تقسو، فيصبح القلب عامراً بالإيمان ومشرقاً باليقين ومطمئنا بذكر الله، ﴿ ... أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

والتربية الإسلامية تربية ربانية لأنها تهدي الإنسان إلى الإيمان بالغيب، ليستضئ قلبه بمعرفة الحق، فالقلب الحي هو موضع نظر الله تعالى، وهو المستند الذي يقدمه العبد كوسيلة للنجاة يوم القيامة، يقول عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَال وَلَا

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْب سَلِيم ﴿٨٩﴾ ﴾[1]، ويمثل الإيمان بالغيب المهمة الكبرى التي يجتازها الإنسان، لينتقل من مستوى المحسوسات إلى مستوى المجردات، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك بعقله أن الوجود لا يقتصر على ما في دائرة حواسه فحسب، وإنما هو أوسع وأرحب من ذلك بكثير.

وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان للوجود وحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس من يعيش في الحيز المحدود الذي تدركه الحواس، كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بصيرته، ويشعر أن مداه أوسع في الزمان والمكان، من كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود، وأن وراء الكون حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها واستمد من وجودها وجوده، حقيقة الذات الإلهية، التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول.

ولعل من أبرز الأمثلة التي تؤكد قيمة ربانية التربية الإسلامية، ما تقرره وقائع الصدر الأول من تاريخ الإسلام في دائرة التربية الجهادية، ففي الوقت الذي لم تكن فيه قوانين جندية تجبر الأفراد على الخدمة العسكرية، وتقرر العقوبات الرادعة على من يتخلف عنها، تسابق المؤمنون على المجاهدة بأنفسهم وأموالهم، رغبة وشوقا في كسب رضي الله تعالى، فكان الرجل وابنه يتنافسان على الغزو، فيقترعان أيهما يخرج للجهاد، وأيهما يبقى لشؤون الأسرة، فإذا فاز الإبن بالقرعة، قال له أبوه: آثرني بها يا بني، فيقول له: يا أبت إنها الجنة ولو كان شيء غيرها لآثرتك، وكان عمرو بن الجموح الأنصاري شيخا أعرج مع أن الله عذره في كتابه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَج وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَج وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ... ﴾[2]، ومع أن له أربعة من البنين يشهدون المعارك خلفا له مع رسول الله ﷺ ولكنه يسعى للمشاركة في غزوة أحد ليفوز بأمنية غالية هي الشهادة وتحققت له بفضل الله عز وجل (على، ٢٠٠٧).

وهذا هو عبد الله بن أم مكتوم كان أعمى، ولكنه يحرص على ألا تفوته غزوة وحدد لنفسه وظيفة جهادية، فكان يقول: أوقفوني بين الصفين وحملوني اللواء

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨-٨٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٧.

أحفظه لكم، فأنا أعمي لا أستطيع الفرار، واستشهد في معركة مع الفرس في السنة الرابعة عشرة للهجرة، في عهد عمر بن الخطاب، وانتصر فيها المسلمون نصرا مؤزرا، ووجد عبد الله بن أم مكتوم مضرجا بدمائه وهو يعانق راية المسلمين.

كما تتضمن ربانية التربية الإسلامية تربية الضمير في الإنسان، الذي يمثل جوهر الإنسان، فإذا صلح الضمير صلح الإنسان كله، وإذا فسد لم يكن للإنسان ثمة سبيل إلى الإصلاح، ولما كان القلب مستقر الضمير، فقد أشار الرسول ﷺ إلى صحة القلب وسلامته كي يصح الإنسان ويسلم، فقال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

ولقد استطاع الإسلام بهديه القويم، وتعاليمه الرشيدة وتربيته الحكيمة، أن يقدم للإنسانية نماذج ومثل عليا، تحمل هذا الضمير الحي اليقظ، ومن بين هذه النماذج نموذج «ماعز بن مالك» بدوي خرج من بطن الصحراء، والتقى بدين الله وعاش في مدرسة النبوة، واستضاء بنور القرآن، فكان ماعز هذا المثل المضروب للناس في مقام التسامي والعظمة، وقد ضعف ماعز أمام شهوته فوقع في الزنا، وكان من الممكن أن ينفرد بجريمته ويرجع إلى الله تائبا، حيث لم يره أحد على تلك الفاحشة، ولكنه أبى إلا أن يطهر نفسه، وهنا فزع ماعز إلى رسول الله ﷺ، وقال «يا رسول الله...طهرني ».

فقال له الرسول الرحيم: «ويحك... ارجع فاستغفر الله وتب» فرجع غير بعيد ثم عاد وقال: «يا رسول الله طهرني»، فقال محمد ﷺ «ارجع واستغفر الله وتب» ثم رجع وعاد ليقول: «يا رسول الله طهرني» ويجيبه الرسول ﷺ «ارجع واستغفر الله وتب إليه»، وعاد للمرة الرابعة ليقول:« يا رسول الله طهرني» وهنا يقول الرسول «مم أطهرك؟».. فيقول من الزنا فيقول ﷺ «أزنيت؟» فيجيب نعم فقال الرسول ﷺ: أبه جنون؟ فيقول أصحابه: ليس بمجنون.. أشرب خمراً؟ فقالوا: لا، وهنا أمر ﷺ بماعز فرجم (الخطيب، ١٩٨٢).

أما النموذج الثاني فهو لامرأة بدوية من غامد ضعفت أمام شهوتها ووقعت في الزنا، وجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله إني زنيت فطهرني» فردها ﷺ فلما كان الغد جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت: «والله إني حبلى» فأمرها أن تذهب حتى تضع حملها، فلما ولدت جاءت إلى النبي الكريم وبين يديها وليدها، ثم قالت:«هذا وقد

ولدته.. فطهرني» فقال ﷺ: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه، فلما فطمته جاءت إلى الرسول ﷺ ومعها الصبي وفي يده كسرة، ثم قالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فطهرني، فدفع النبي ﷺ بالصبي إلى رجل من المسلمين ليكفله، ثم أمر بها فرجمت (الخطيب، ١٩٨٢).

إنها عظمة إنسانية تقف دونها كل عظمة عرفها الناس، وإنها لشهادة مشرقة للإسلام، الذي يرتفع بضمير الإنسان إلى هذا المقام الرفيع، ولا تستطيع الإنسانية في ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها، أن تقدم امرأة أخرى تقف إلى جوار هذه المرأة، التي تقف هذا الموقف العظيم في حساب ضميرها، هذا الحساب المتوقد الذي لم يتأثر بفعل الزمن، ولا بعواطف الأمومة وحنانها ولا بحب النفس والحرص على الحياة.

فلقد مضى على ما فعلته هذه المرأة ثلاث سنوات، يتحرك وليدها في أحشائها ثم تحمله بين يديها وترضعه من ثديها، ومع هذا فإن جرح الجريمة لم يلتئم ووخز الضمير لم يهدأ، وإصرارها على التطهير من الذنب مستمر مع الأيام، فأي شهادة أصدق وأعظم من تلك الشهادة على ما تفعله التربية الإسلامية من تربية الضمير الإنساني، فهي تربية ربانية المرجع، تستمد أصولها ومبادئها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

خلاصة:

- التربية الإسلامية تربية ربانية بمعنى أن مصدرها الوحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.
- التربية الإسلامية تربية ربانية بمعنى أن هدفها البعيد وغايتها النهائية هو حسن الصلة بالله تعالى.
- التربية الإسلامية تربية ربانية لأن عمادها إعداد قلب ونفس وروح الإنسان الموقن بلقاء الله تعالى.
- التربية الإسلامية تربية ربانية لأنها تهدي الإنسان للإيمان بالغيب ليستضئ قلبه بمعرفة الحق.
- التربية الإسلامية تربية ربانية لأنها تربي ضمير الإنسان، الذي بصلاحه ويقظته ومراقبته لله تعالى، يصلح عمله في الدنيا والآخرة.

ثانياً: تربية شاملة

التربية الإسلامية تربية شاملة لأنها تربي الإنسان تربية شاملة، لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، حياته الدنيا والآخرة، وكل نشاطه على الأرض، فهي تشمل جميع جوانب الإنسان، وتعطي صورة شاملة ومفصلة عن طبيعته، وحقيقة تكوينه والهدف من وجوده، ورسالته في الحياة ومصيره في الآخرة، فحياة الإنسان لها بداية معلومة ورسالة واضحة ونهاية محتومة، وتقرر التربية الإسلامية أن الإنسان وحدة واحدة، تتكون من جسم خلقه الله تعالى من الطين وصوره فأحسن تصويره، وهو الخلق الأول خلق سيدنا آدم ثم جاءت ذرية سيدنا آدم من التزاوج، وعقل مفكر مدبر هو مناط التكليف ومستقر التعلم والبيان، وروح فيها سر الحياة والتكريم الإلهي (الجلاد، ٢٠٠٤).

كما تعمل التربية الإسلامية على إعداد الشخصية المتكاملة، من جميع الجوانب العقلية والأخلاقية والنفسية والجسمية والاجتماعية والروحية والصحية والاقتصادية والسياسية والجنسية والجمالية والإنفعالية وغيره من جوانب الشخصية الإنسانية، حيث تشمل التربية الإسلامية الجانب الروحي والجانب المادي، مراعية خلق الإنسان من المادة وهي طين الأرض، وما يرتبط بها من شهوات وغرائز، وخلق الإنسان من نفخة من روح الله عز وجل، وما يرتبط بهذه الروح من وظيفة كبرى هي الاتصال بالله تعالى، يقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[١]، ومن ثم تهتدي الروح إلى خالقها على طريقتها حيث يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ...﴾[٢]، فتهتدي الروح إلى خالقها كما يهتدي كل شيء من خلق الله بفطرته دون كد أو تعب.

كما تنظر التربية الإسلامية للحياة، من منظور شامل يتضمن الحياة الدنيا وحياة البرزخ والحياة الآخرة، فهي تبين أن الإنسان يعيش الحياة الدنيا وهي حياة فيها لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، يقول عز وجل: ﴿ اعلَمُوا أَنَّمَا الحَيَوٰةُ الدُّنيَا لَعِب وَلَهو وَزِينَة وَتَفَاخُرُ بَينَكُم وَتَكَاثُر فِي الأَموَٰلِ وَالأَولَٰدِ...﴾[٣]، وهي متاع مؤقت وغير دائم، وهي دار فناء، وبالرغم

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

من ذلك فهي دار العمل وعلى قدر هذا العمل يكون الجزاء، حيث يكد فيها الإنسان ثم يتركها لا محالة يقول جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحا فَمُلَٰقِيهِ﴾[1] .

ثم يحيا الإنسان حياة البرزخ بعد الموت، وهي الزمن الذي يقضيه الإنسان في اللحد وهي مقدمة للآخرة، ومن الأدعية الواردة عند زيارة الموتى في القبور، عن النبي ﷺ «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم ما أغفر لأهل بقيع الغرقد» (أخرجه مسلم)، ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه، فوقف عند رأسه وأنشد يقول:

مـــالي مـــررت علـــى القبـــور مســـلما   قبـــر الحبيـــب فلـــم يـــرد جـــوابي
أحبيـــب مالـــك لا تجيـــب مناديـــا   أمللـــت بعـــدي خلـــة الأصـــحاب

قال فهتف بي رجل من جانب القبر يقول:

قـــال الحبيـــب وكيـــف لـــي بجـــوابكم   وأنـــــا رهـــــين جنـــــادل وتـــــراب
أكـــل التـــراب محاســـني فنســـيتكم   وحجبـــت عـــن أهلـــي وعـــن أصـــحابي
وتمزقـــت تلـــك الجلـــود صـــفائحا   يـــا طالمـــا لبســـت رفيـــع ثيـــاب
وتســـاقطت تلـــك الأنامـــل مـــن يـــدي   مـــا كـــان أحســـنها لخـــط كتـــاب
وتســـاقطت تلـــك الثنايـــا لؤلـــؤا   مـــا كـــان أحســـنها لـــرد جـــواب
وتســـاقطت تلـــك العيـــون علـــى الثـــرى   يـــا طالمـــا نظـــرت بهـــم أحبـــابي

وبعد حياة البرزخ، وعندما يأذن المولى سبحانه، تقوم القيامة ويبدأ الحساب في الحياة الآخرة، وهي دار البقاء والخلود، ويحيا فيها الإنسان حياة سرمدية أي خلود بلا موت، وفيها النعيم المقيم في الجنة، وفيها العذاب الأليم في النار، يقول عز وجل: ﴿ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَة وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴿٨٢﴾﴾[2].

كما يشمل تصور التربية الإسلامية الزمان والمكان، فالتربية الإسلامية غير محصورة بزمن محدد، فهي ليست تربية تاريخية، جاءت لتلبي مرحلة محددة من

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨١-٨٢.

تاريخ البشرية، بل هي تربية للماضي والحاضر والمستقبل، بما تتضمنه من مبادئ وأصول تربوية سامية صالحة لكل زمان، وهي تربية تتجاوز المكان ولا تنحصر في بقعة بعينها من هذه البسيطة، وإنما هي صالحة لكل مكان، لأن مصدر التربية الإسلامية هو الله عز وجل، خالق الكون والإنسان والحياة (الجلاد، ٢٠٠٤).

هكذا تعالج التربية الإسلامية الإنسان في كليته وشموله، فتربط بين الجسم والعقل والروح وتمزج بينهم في كيان واحد، لتصل إلى الإنسان الصالح، القادر على استثمار طاقته الحيوية في عمارة الأرض، واستثمار طاقته الروحية في التعرف على الله والاتصال به، واستثمار طاقته العقلية في التعرف على أسرار الكون وقوانينه، والتعرف على سنن الله في الكون المادي، والاستفادة من ذلك في تنظيم حياته على الأرض.

خلاصة:

- ❖ التربية الإسلامية تربية شاملة لأنها تتضمن تربية جميع جوانب الإنسان العقدية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية والجمالية وغيرها.
- ❖ التربية الإسلامية تربية شاملة لأنها تهتم بكل من الجانب الروحي الذي يسمو بروح الإنسان لتتصل بخالقها، والجانب المادي المرتبط بإشباع حاجات وشهوات الإنسان، وفق منهج الله عز وجل.
- ❖ التربية الإسلامية تربية شاملة لأنها تتضمن إعداد الإنسان للحياة الدنيا ليعمرها، وللحياة الآخرة ليرقى إلى جنات النعيم.
- ❖ التربية الإسلامية تربية شاملة لأنها تشمل الزمان والمكان، فهي تربية تستغرق الزمن كله، الماضي والحاضر والمستقبل.

ثالثاً: تربية متوازنة

التوازن يعني الاعتدال والوسطية، وهو عملية شاقة يصعب على المناهج والفلسفات البشرية أن تتناوله بصورة يمكن تحقيقها في حياة الإنسان، ولقد عرف الفكر التربوي نظريات وفلسفات متعددة على مر التاريخ، إلا أنها عجزت عن تحقيق

التوازن والوسطية في تربية وإعداد الأفراد والمجتمعات، ووقفت عند أحد الجانبين المتباعدين المتضادين، ما بين مادية وروحية، ودنيوية وأخروية، وواقعية ومثالية، وفردية وجماعية، وبشرية وربانية.

فلقد آمنت بعض النظم المعاصرة بالجانب المادي من الإنسان والحياة، وأهملت كل ما لا تدركه الحواس، أهملت وجود الله والعقيدة، وكانت النتيجة أن استمتع الناس بحياتهم الأرضية أعظم متاع، ثم انهار المتاع كله نتيجة خواء الروح من الإيمان وخواء الحياة من العقيدة، وانقلب المتاع السهل الحلو إلى تكالب على شهوات الأرض، وصراعات لا تنتهي بين أنظمة ومجتمعات، تبحث كل منها على المصالح المادية الخاصة، وإن كان فيها جور على الآخرين، فلقد غابت القيم التي تحكم علاقات الناس وفق ضوابط عادلة للجميع.

أما التربية الإسلامية فتقدم منهجاً فريدا من نوعه، يشمل كل جوانب الإنسان المادية والروحية والمعنوية، والبشرية والنفسية والواقعية والمثالية، والفردية والجماعية والدنيوية والأخروية مجتمعة، في إطار من التوازن والتناغم والإنسجام التام بينها، وهي عملية تستغرق حياة الإنسان وتشمل كل لحظة من لحظات وجوده، الأمر الذي يؤدي إلى إعداد الشخصية الإنسانية المتكاملة والمتوازنة، التي تتسم بالتوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، والتوازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته، وبين الحياة في الواقع والحياة في الخيال، والتوازن بين الإيمان بالواقع المحسوس، والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، والتوازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، والتوازن في كل شيء، يقول عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا... ﴾[1] وسطاً في كل شيء، وفي كل ما يقوم به الإنسان.

كما تنظر التربية الإسلامية إلى الإنسان، نظرة متوازنة آخذة بعين الإعتبار جميع مكوناته، الجسمية والعقلية والروحية، والنفسية والجمالية والصحية، معترفة بكل من البعد المادي والبعد الروحي في الإنسان، يقول عز وجل: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ... ﴾[2]، حيث تهتم التربية الإسلامية، بتحقيق التوازن بين هذه المكونات، فلا يطغى فيها جانب على أخر،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

وتحرص على إعداد الإنسان بشكل متوازن حتى تبعده عن الصراعات، فلا يجد صراعا بين روحه وجسده، ولا يجد نفسه منحازة للمادة فحسب، فتورثه الطغيان والفساد والغرور والتكالب على متع الدنيا وشهواتها، كما لا يجد نفسه منحازة إلى الروح فحسب، فيهمل الحياة الدنيا ويحرم الطيبات وينعزل عن الناس، ويقصر في إعمار الكون، وهذا التوازن الذي تحرص عليه التربية الإسلامية في إعداد الإنسان، ما هو إلا مثالاً للتوازن في الكون الذي خلقه المولى عز وجل، فقد خلق سبحانه كل شيء بمقدار وميزان.

ومن بديع الوصايا النبوية الشريفة الداعية إلى ضرورة التوازن، تلك التوجيهات النبوية التي قدمها الرسول ﷺ، للنفر الثلاثة الذين غالوا في العبادة، وظنوا أن إهمال الجسد يسمو بالروح، فلم يحسنوا فهم المنهج النبوي، حتى حذرهم الرسول من ذلك المسلك، ورغبهم في التزام منهجه القويم، والوقوف عند حدود الشرع بلا تشدد أو إفراط، عن أنس بن مالك قال: «جاء ثلاثة رهط يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا، كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال احدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما – والله- إني لأخشاكم لله وأتقاكم لله، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (رواه البخاري).

كما أن التعلق بالحياة الدنيا والاغترار بمفاتنها، والطمع فيها وقصور الآمال والغايات عليها، وعدها المبدأ والمنتهى، له آثار تربوية خطيرة مدمرة، تبدأ من الفرد لتصل إلى المجتمع، فينتشر الحرص على جمع المال، والانكباب على الكسب بالطرق المشروعة وغير المشروعة، ويظهر التقاتل والتخاصم والشح، والجشع والطمع والتحايل والسرقة، ثم يعقب ذلك التخاذل والجبن والخوف والاضطراب، والقلق الشديد من المستقبل، وبالمقابل حرصت التربية الإسلامية على التوازن في إعداد المسلم للحياة الدنيا والحياة الآخرة، فجعلت الدنيا مطية الآخرة، فلا تعارض بين السعي لهما والعمل من أجلهما، وأن كل عمل يقوم به الإنسان، يخلص فيه النية لوجه الله تعالى هو عبادة، وعليه يكون الإنسان في عبادة دائمة، متى نوى بأعماله وتصرفاته ابتغاء مرضاة الله سبحانه (الزحيلي، ١٩٩٢).

كما يبدو توازن التربية الإسلامية، في نظرتها للفرد والمجتمع، فإذا كان الإسلام دين الجماعة أي الأمة، فإن ذلك لا يعني الإجحاف بحقوق الأفراد، والتكاليف في الإسلام منها الفردي (فروض العين)، ومنها الاجتماعي (فروض الكفاية)، وجميعها ينتظمها نسق واحد، هو نسق التكاليف الدينية والرباط بينها عضوي، يجعل من الصعب على الفرد النهوض بالتكاليف الفردية إذا أصاب الخلل والفساد النظام الاجتماعي، فالتربية الإسلامية تنهج نهجاً لا يميل بها إلى طرف ضد آخر، لأن الفردية حقيقة لا يمكن إنكارها، والمجتمع حقيقة أخرى يعيشها الناس، ومن ثم تنظر التربية الإسلامية بشكل متوازن لكل من الفرد والمجتمع (علي، ٢٠٠٧).

رابعاً: تربية واقعية

التربية الإسلامية تربية واقعية، حيث تستمد واقعيتها من واقعية تصور الإسلام للإنسان، فهي تأخذ بعين الاعتبار حدود طاقاته، ومطالبه وضروراته، يقول سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ...﴾[١]، وكذلك مراعية ضعفه إزاء المغريات، يقول جل شأنه: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوٰتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَٰطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنعَٰمِ وَالحَرثِۗ ...﴾[٢].

كما تستمد التربية الإسلامية واقعيتها من واقعية رؤية التشريع الإسلامي للعبادة، التي جاءت ميسرة فالصلوات خمس في اليوم والليلة، والصوم شهر في السنة، والحج لمن استطاع، والزكاة جزء محدد معلوم عند المقدرة، وتتنوع العبادات إلى عبادات بدنية ومالية، لتعطي لكل إنسان فرصة ليأخذ حظه منها، كما تبدو الواقعية في أن الإسلام لم يفترض في الإنسان الملائكية والتنزه عن الذنب والمعصية، فالطبيعة البشرية معرضة للخطأ والوقوع في الذنب والفاحشة، يقول عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ...﴾[٣]، لذلك شرع المولى عز وجل التوبة والإنابة والاستغفار، رحمة بالإنسان الذي قد يضعف أمام الشهوات فيرتكب الذنوب والأخطاء (موسى، ٢٠٠٧).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

وتستمد التربية الإسلامية واقعيتها من واقعية تصورها لحياة الإنسان، فحياة الإنسان على هذه الأرض حياة مؤقتة لها نهاية محتومة بالموت، ولها غاية تتمثل في اختبار الإنسان وابتلائه بعمله، قال جل شأنه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴿٢﴾﴾(١)، وحياة الإنسان وما فيها من صور الإبتلاءات بالخير والشر، والسعادة والشقاء، والغنى والفقر، لا تنتهي إلى زوال، فلم يخلق الإنسان عبثاً وإنما هي مرحلة تنتهي إلى حياة البرزخ ثم إلى الحياة الآخرة، حيث يحاسب الإنسان على عمله ويؤول إما إلى خلود في جنة عرضها السماوات والأرض، وإما إلى خلود في نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (الخوالدة والجلاد، ٢٠٠٦).

خلاصة:

١. التربية الإسلامية تربية واقعية انطلاقاً من واقعية التشريع الإسلامي نفسه، الذي يقدم المنهج الواقعي الذي يحيط بكل خصائص الإنسان، وبكل ما يصلح له أمور حياته.
٢. التربية الإسلامية تربية واقعية لأنها تساير فطرة الإنسان، وتتجاوب مع طبيعته الإنسانية، وما تتعرض له من لحظات ضعف، باعتبار أن الإنسان ليس معصوم من الخطأ.
٣. التربية الإسلامية تربية واقعية لأنها تأخذ بعين الاعتبار حدود طاقات الإنسان ومطالب حياته.
٤. التربية الإسلامية تربية واقعية لأنها تستمد مادتها من واقعية تصورها لحياة الإنسان، على هذه الأرض وهي حياة مؤقتة نهايتها واضحة ومحتومة.

خامساً: تربية تجديدية

تتصف التربية الإسلامية بالتجديد والتطوير، استناداً إلى دعوة القرآن للتجديد والتطوير، حيث يؤكد القرآن الكريم أن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه، فمن ربي على التسليم بغير عقل والعمل بغير فقه، فهو غير مؤمن، فليس القصد من الإيمان أن يُذَلل الإنسان للخير، كما يُذَلل الحيوان، بل

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ١-٢.

القصد منه أن يرتقي عقله ونفسه بالعلم والعرفان، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع الذي يرضي الله تعالى، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده، ولقد كان التقليد على مر العصور، يمثل العقبة الكبرى أمام التغيير والتجديد (علي، ٢٠١٠).

ولعل أبرز عوامل رفض مجتمع الجاهلية للإسلام، أنه جاء بما يخالف ما كان عليه الآباء أو الأجداد، أي جاء بما هو غير مألوف لديهم، علاوة على أن الإسلام – في رأي مجتمع الجاهلية- لم يرع السنن والأعراف الاجتماعية، عندما اختار محمداً بن عبد الله، نبياً له وليس له لدى قومه رصيد، من جاه أو مال أو سلطان، ولم يشفع للنبي محمد ﷺ أنه كان من أشرف العرب نسبا وأكثرهم أمانة وصدقا وحسن سمعة، واستطاع الإسلام أن يغير هذا الفكر، بالمنهج التربوي التطويري والتجديدي، الذي أعاد تشكل عقول الناس بما يتفق وروح الإسلام التجديدية.

ويقول الله سبحانه في محكم التنزيل: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآء وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، ولقد صرف القرآن الكريم القلوب عن التعلق بما عليه الآباء وما توارثه عنهم الأبناء، وهو ما تجلى بشكل قوي بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحي، وظهور قضايا وأحداث تحتاج إلى اجتهاد، حيث لجأ الصحابة رضوان الله عليهم، إلى الأخذ بالقياس وإجماع المسلمين، والاستحسان والمصالح المرسلة، وهو ما يؤكد أن وظيفة التربية الإسلامية، لا تقف عند حد النقل، من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، وإنما تتجاوز ذلك إلى ضرورة تطوير وتجديد الواقع، وفقاً لمتطلبات الزمان والمكان والأحداث، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم، كمصدر جوهري من مصادر التربية الإسلامية.

سادساً: تربية عالمية

يؤكد القرآن الكريم والسنة النبوية أن أصل البشر واحد، وهو آدم عليه السلام، فجاء الخطاب عالمياً يناسب الناس جميعاً، ومنذ اللحظة يقرر القرآن الكريم عالمية الدعوة الإسلامية وإنسانيتها، فيقول تعالى:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْر لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، وتتبنى التربية الإسلامية رؤية الإسلام التي تنادي بعالمية الدعوة الإسلامية وبأن الناس جميعاً

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٢) سورة التكوير، الآية: ٢٧.

أمة واحدة، فيقول عز وجل: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّة وٰحِدَة فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزلَ مَعَهُمُ الكِتَٰبَ بِالحَقِ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُوا فِيهِۚ...﴾[1].

وتلك هي الإنسانية الواحدة التي جاء بها الإسلام ليربي الناس عليها، فإذا كان بعث رسول إلى كل أمة هو الخطوة الأولى، فإن بعث رسول عالمي للناس كافة هو الخطوة الأخيرة، يقول جل شأنه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[2]، كما يقول سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3]، فالتربية الإسلامية تربية عالمية، تؤكد أن الناس جميعاً أمة واحدة، تعبد الله وحده لا شريك له، وتتبع منهجاً واحداً.

ويؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبرٰهِمَ وَإِسمَٰعِيلَ وَإِسحَٰقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِم لَا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَد مِّنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾[4]، وتؤكد هذه الآية الوحدة بين الرسالات والرسل جميعاً، وهي تجعل من النظام الإسلامي النظام العالمي و من المجتمع الإسلامي مجتمعا مفتوحا، للناس جميعاً في مودة وسلام، والتي تجعل من التربية الإسلامية منهجاً عالميا، يدعو الناس جميعاً إلى عبادة رب واحد.

ولقد جاءت النصوص القرآنية تخاطب الناس جميعاً، قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[5]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرا لَّكُمۡۚ﴾[6]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[7]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَة مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآء لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدى وَرَحۡمَة لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[8]، حيث قرر المفسرون أن كل نص قرآني ابتدأ النداء فيه بأيها الناس يكون الخطاب فيه للناس جميعاً، فالتصور الإسلامي الذي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٠.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٨) سورة يونس، الآية: ٥٧.

تقوم عليه التربية الإسلامية تصورا عالمياً يؤكده القرآن الكريم الذي يخاطب الناس جميعاً، كما تؤكده السنة النبوية، حيث يقول محمد ﷺ مخاطبا قومه «إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، واني لنذير لكم بين يدي عذاب شديد» (علي،٢٠٠٧).

وتتوافق التربية الإسلامية مع متطلبات هذا العصر الذي يحتاج إلى الإنسان العالمي الذي يجوب الأرض معلما ومتعلما ومؤثرا ومتأثرا، ولابد للتربية أن تسعى لتكوين هذا الإنسان فكرا وثقافة وروحا وخلقا، وإن الإسلام لم يحكم أجزاء واسعة من الأرض في الماضي إلا بما يملكه من رؤية ومبادئ عالمية سامية، والذي ينظر في أدبيات التربية في القرون الإسلامية الأولى يجد أنها كانت ترميإلى تكوين شخصية عالمية في التفكيروالرؤية والتعامل (بكار، ٢٠١١).

وهكذا فإن عالمية التربية الإسلامية، تنبع من عالمية الإسلام الذي عالج جميع المشكلات البشرية، فوضع أساس ثابت الدعائم لنظام السلام العالمي، بأن خلق ثقة في الله سبحانه، وبأن جعل الشعور بالله يتغلغل في قلوب البشر، وبأن قرب بين العناصر البشرية المتنافرة، وألف بين الشعوب والأجناس فأصبحوا جنساً بشرياً واحداً، وشعباً إنسانياً واحداً، كما بين السبل التي تؤدي إلى نظام اجتماعي يسوده العدل والمساواة والحرية والتكافل، ويخلو من الإنحرافات بكل أشكالها، ونظام إقتصادي يوفق بين رأس المال والعمل، ويقاوم حبس الثروات ويمنع الديون الربوية، ونظام سياسي عادل يؤكد فكرة وحدة الإنسانية جنساً وطبيعة ونشأة، ويؤكد فكرة أن الإسلام هو الدين العالمي الخالد في مستقبل البشرية (محمود، ١٩٩٢).

خاتمة الفصل الأول

وأخيراً لقد قدم هذا الفصل تمهيداً يوضح معنى ومفهوم التربية، ومعنى ومفهوم الإسلام، بهدف إدراك العلاقة بين التربية والإسلام، ليصل القارئ إلى مفهوم التربية الإسلامية، ثم تناول الكاتب أهمية التربية الإسلامية وخاصة في هذا العصر، وما يموج به متغيرات في شتى مجالات الحياة، كما عمد الكاتب إلى توضيح أهداف التربية الإسلامية، واقتصر على بيان وتوضيح هدف تربية المجتمع وفق الفطرة البشرية التي خلق الله عز وجل الناس عليها، وهدف بناء وإعداد الإنسان الصالح، الذي يتحمل أمانة الدين ومسؤولية التعمير في الأرض، وهدف تحقيق العبودية لله عز وجل، تحقيقا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وهدف بناء الإنسان المتوازن، وهدف المحافظة على القيم الإسلامية، وأخيراً هدف احترام العقل وتربية الفكر، ثم قدم الكاتب رؤية واضحة لأهم خصائص التربية الإسلامية، والتي تضمنت أن التربية الإسلامية، تربية ربانية وتربية شاملة وتربية متوازنة وتربية واقعية وتربية تجديدية وتربية عالمية، لأنها مشتقة من عالمة الإسلام.

---

(١) سورة الذاريات، الآية:٥٦.

قائمة مراجع الفصل الأول

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

الأسمر، أحمد رجب (٢٠٠٤). القدوة في السيرة النبوية. الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

التويجري، علي بن محمد (١٩٨٨). من إعلام التربية العربية الإسلامية. المجلد الثاني، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.

الجلاد، ماجد زكي (٢٠٠٤). تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

الخطيب، عبد الكريم (١٩٨٢). الحدود في الإسلام حكمتها وأثرها في الأفراد والجماعات والأمم. القاهرة: دار الفكر العربي.

الخوالدة، ناصر أحمد والجلاد، ماجد زكي (٢٠٠٦). تدريس التربية الإسلامية. العين: جامعة الإمارات.

الخوالدة، ناصر وعيد، يحيى (٢٠٠٣). طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية. الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.

الزحيلي، محمد (١٩٩٢). الاعتدال في التدين. دمشق: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.

الزهراني، عبد الله بن محمد علي (٢٠٠٣). الوسطية في التربية الإسلامية «دراسة تحليلية ناقدة». مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء.

بكار، عبد الكريم (٢٠١١). حول التربية والتعليم. دمشق: دار القلم.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٧). أصول التربية الإسلامية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٨). التربية الإسلامية والنهوض بالأمة. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠١). فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية. سلسة المراجع في التربية وعلم النفس، الكتاب الحادي والعشرين. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠١٠). نشأة التربية الإسلامية. موسوعة التطور الحضاري للتربية الإسلامية. الجزء الثاني، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

عميرة، عبد الرحمن (١٩٩١). منهج القرآن في تربية الأجيال. بيروت: دار الجيل.

العياصرة، وليد توفيق (٢٠١٠). التربية الإسلامية واستراتيجيات تدريسها وتطبيقاتها العملية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

الغزالي، محمد (١٩٩٦). تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. القاهرة: دار الشروق.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد (١٩٩٦). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاضي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٤). التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.

متولي، مصطفى محمد (١٩٩٧). مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية. الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع.

محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٢). عالمية الدعوة الإسلامية. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

موسى، مصطفى إسماعيل (٢٠٠٧). الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الإسلامية. العين: دار الكتاب الجامعي.

النجار، زغلول (٢٠٠٦). نظرات في أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية. القاهرة: مكتبة وهبة.

النحلاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٥). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. ط٢٣، دمشق: دار الفكر.

٢

الفصل الثاني

مصادر التربية الإسلامية

مقدمة

مصادر التربية الإسلامية

أولاً: القرآن الكريم

- **تعريف القرآن الكريم**
- **نزول القرآن الكريم**
- **الخصائص التربوية للقرآن الكريم**
- **الأبعاد التربوية للقرآن الكريم**
- **الآثار التربوية للقرآن الكريم**

ثانياً: السنة النبوية

- **معنى السنة النبوية**
- **منزلة السنة بالنسبة للقرآن الكريم**
- **الأهداف التربوية للسنة النبوية**
- **محمد ﷺ القائد المربي**
- **ملامح التربية في المدرسة المحمدية**
- **الآثار التربوية لاتباع سنة محمد ﷺ**

ثالثاً: الخبرات التربوية للسلف الصالح

مقدمة:

إن فهم التربية لا يكتمل إلا بالرجوع إلى مصادرها الأساسية، فالتربية البرجماتية مثلاً لا تفهم إلا من خلال البحث في مصادرها الأساسية، التي شكلت هذا النوع من التربية في المجتمع الأمريكي وما يترتب عليها من سلوكيات، ومن ثم لابد من الرجوع إلى الفكر الذي شكل هذه التربية، والبحث في الكتابات التي أبدعها رواد التربية البرجماتية ومفكريها، وهكذا بالنسبة للتربية الماركسية والتربية المثالية والتربية الوجودية والتربية الطبيعية وغيرها من أنواع التربية الأخرى.

وعليه يمكن القول أن أي نظام تربوي، يستند على مصادر تشتق من المجتمع، وما يؤمن به من معتقدات وما يتبناه من فلسفة وقيم، وما يؤثر فيه من قوى وعوامل ثقافية، وإذا كانت أنظمة التربية التي تسود المجتمعات المعاصرة، تشتق من المعتقدات والنظريات البشرية، وما يرتبط بها من فلسفات متنوعة، فإن التربية الإسلامية تتميز عنها بأنها تربية ربانية، تشتق من مصادر التشريع الإسلامي، متمثلة في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، فضلاً عن الاستعانة بالخبرات التربوية للسلف الصالح.

ولفهم التربية الإسلامية وما يترتب عليها من تطبيقات عملية لها أبلغ الأثر على الإنسان والمجتمع، لابد من دراسة وتحليل المعين الأساسي الذي تستقي منه التربية الإسلامية أصولها، ألا وهو القرآن الكريم، ثم سنة المصطفى ﷺ، ثم الخبرات التربوية للسلف الصالح، والتي تتفق مع كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وفيما يلي توضيح مصادر التربية الإسلامية:

مصادر التربية الإسلامية:

أولاً: القرآن الكريم:

تمهيد:

أعطى الله تبارك وتعالى كل نبي من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات، الدالة على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه، ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث إليهم، وهذه المعجزات كانت وقتية، انتهى زمانها في حياتهم ولم يبق إلا خبرها، وأما محمد ﷺ فكانت معجزته العظمى، التي اختص بها دون غيره هي القرآن العظيم، الحجة المستمرة الدائمة القائمة في زمانه وبعده إلى يوم القيامة، كتاب خالد لا ينضب معينه ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي فوائده محفوظ بحفظ الله من التغيير والتبديل والتحريف. (حميد وآخرون، ١٩٩٨).

والقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله بلسان عربي مبين على نبيه محمد ﷺ، ليكون معجزة خالدة تصدقه وتؤيده، ويجد فيه المسلمون إلى أن تقوم الساعة تحديداً وتجديدا لعقيدتهم، وتوجيها دقيقا لعباداتهم ومناسكهم ومعاملاتهم، ويحرص المسلمون على حفظه وتعلمه ومدارسته وتلاوته ليحققوا وعد الله في شأنه، إذ قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[١].

وعليه فالقرآن الكريم هو كتاب هداية وتربية، أنزله الله تعالى على النبي محمد ﷺ للناس كافة، ويخاطب فيه عقل الإنسان، ووجدانه وعواطفه، ويربيه على عقيدة التوحيد، ويزكيه بالعبادات، ويهديه إلى ما فيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية، ويرشده إلى الطريق الأمثل لتحقيق ذاته، ونمو شخصيته، ومن ثم ترقى نفسه في مدارج الكمال الإنساني، حتى يستطيع أن يحقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة (أبو شهبة، ٢٠٠٧).

ويتبوأ القرآن الكريم من رفعة القدر، وسعة العطاء في كلماته التي لا تنفد، المنزلة التي لم يبلغها كتاب آخر، يقول عز وجل: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدا﴾[٢]، كما يتبوأ من عظيم

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

المكانة التي لا تجارى في قيمه وحقائقه ومعانيه الناطقة بها معالمه، فضلاً عن أسلوبه وفصاحته، فسبحان من أنزله تبصرة وذكرى لأولي الألباب، وجعله مهيمناً على ما سبقه من الكتب، وأغزرها علما وأجلها منزلة وقدرا (الصالح،٢٠٠٧).

فالقرآن الكريم كالكائن الحي، الكلمة فيه أشبه بالخلية، حيث تتكرر الخلايا وتتشابه في الكائن الحي، ومع ذلك لا تتكرر أبدا، وإنما تتنوع وتختلف، وكذلك الكلمة القرآنية فهي تتكرر في السياق القرآني مرات عديدة، ثم تجد أنها لا تتكرر أبدا، إذ هي في كل مرة تحمل مشهدا جديدا، فتتحرك كلمات القرآن من الإجمال إلى التفصيل، وتتفرع تفرعا عضويا، تماما مثل البذرة التي تعطي جذرا وساقا ثم أغصانا وأوراقا، ثم براعم وأذهارا ثم ثمارا، وهي في كل مرة لا تخرج عن كونها نبات، وذلك هو الترابط العضوي أو المعمار الحي، فالكلمة القرآنية تشبه كائنا حيا، وتتفرع عبر التكرار الظاهر لتعرض مشاهد تكمل بعضها بعضا، تماما كما تنقسم خلية الجنين لتعطي خلايا الرئتين والقلب والكبد والجهاز التنفسي والجهاز العصبي، إلى أن تعطي في النهاية الإنسان (محمود، ١٩٩٩).

وقد تلقى الصحابة القرآن الكريم مدركين مدى الشرف الذي حباهم الله تعالى به، فأقبلوا عليه يرتلون آياته، ويتلونه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، حتى أن الذي يمر ببيوتهم ليلا ليسمع لهم دويا كدوي النحل من تلاوة القرآن، لأنهم عرفوا فضل القرآن في تربية وتهذيب نفوسهم، وتقويم طبائعهم وسكينة قلوبهم، قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1].

فالقرآن الكريم هو بحر العلم، ومعدن الحكمة، ومنبع المعرفة، وهو حبل الله الممدود وصراطه المستقيم، هو الواضح سبيله، والراشد دليله، من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنه زل وهوى، حجة الله وعهده، وعده ووعيده، به يعلم الله الجاهل، ويعمل العاقل، فيه شفاء الصدور وذهاب الهموم، والمسلم مأمور بتدبره، يقول سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[2]، وفي تدبر القرآن الكريم تربية للروح وتزكية للنفس، وارتقاء في جنات الخلد، يوم لا ينفع مال ولا بنون(شعبان، ٢٠١٠).

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

تعريف القرآن الكريم:

هو كلام الله المعجز المنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، والمنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، والمبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس.

نزول القرآن الكريم:

من الثابت أن القرآن الكريم له تنزلات ثلاثة هي: نزول القرآن إلى اللوح المحفوظ: وحكمة هذا النزول ترجع إلى الحكمة من وجود اللوح المحفوظ نفسه، وهو السجل الجامع لما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَان مَّجِيد﴿21﴾ فِي لَوۡح مَّحۡفُوظِۭ ﴿21﴾﴾[1]. ثم نزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا: حيث نزل القرآن جملة واحدة وفي ليلة واحدة« ليلة القدر» إلى السماء الدنيا، فيقول عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[2]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَة مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[3]، ثم النزول من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب محمد ﷺ وهي المرحلة الأخيرة التي شع منها النور على البشرية جمعاء، حيث نزل القرآن منجما، حسب الوقائع والحوادث ومقتضيات الأحوال(لاشين، ٢٠٠٢) و(العياصرة، ٢٠١٠).

ونزل القرآن الكريم بلغة قريش، وهي أفصح لغات العرب، وما إن نزل القرآن حتى ملأ الخافقين علما، فأنتقل العرب بفضله من جهل إلى علم، لقد كانوا قبل نزوله في ضلال مبين، كان الجهل قد خيم على عقولهم، وكانوا في فرقة دائمة، فما إن تنزلت آيات السماء، حتى عم فجاج الأرض نوراً وإشراقاً، لقد رسم لهم معالم الحياة الفاضلة، فجمعهم على الحب إخوانا في الله، وألف بين قلوبهم ووحد كلمتهم، وصاروا على الحق أعوانا، بعد أن زال ما ران على أفئدتهم من جهل، لقد أصبحوا بفضل القرآن في محبة وأمن بدل الكراهية والخوف(عبيد، ١٩٩٧).

(١) سورة البروج، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٢) سورة القدر، الآية: ١.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٣.

الخصائص التربوية للقرآن الكريم:

ينفرد القرآن الكريم بمجموعة من الخصائص، التي يتميز بها عن غيره من الكتب السماوية الأخرى، وفيما يلي أهم الخصائص التربوية للقرآن الكريم (علي، ٢٠٠٧) و(الرومي،١٩٩١).

- ❖ أنه كتاب الله الذي نزل على خاتم رسله محمد النبي الأمي الأمين، ليبلغه للناس.
- ❖ أنه نقل إلينا بالتواتر الذي يفيد اليقين بصحة نقله وثبوته، فقد حفظ في القلوب والصدور، ودون في المصاحف، وانتقل إلى المسلمين في جميع البلاد جيلاً بعد جيل من غير خلاف.
- ❖ أنه نزل باللغة العربية، وقد عبر سبحانه وتعالى عن ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين (١٩٥)﴾(١)، ولهذا لا تسمى ترجمة القرآن إلى غير اللغة العربية قرآنا، وذهب بعض الأئمة إلى أن العاجز عن النطق بالعربية، يصلي ساكناً مستحضراً معاني العبادة والطاعة والمناجاة، ويسقط عنه ركن القراءة.
- ❖ أنه كتاب محفوظ تولى الله سبحانه وتعالى حفظه بنفسه، ولم يترك حفظه للبشر، يقول عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٢).
- ❖ أنه كتاب ميسر للفهم والذكر، فجاء يخاطب الكيان الإنساني بكلمات الله عز وجل، يخاطب في الإنسان عقله وقلبه، حسه ووجدانه، فيضئ العقل ويهز القلب، ويمتع الوجدان ويحرك الإرادة ويدفع إلى العمل، ومن ثم يربي الإنسان، فإذا قرأه العامي أو سمعه شعر بجلاله وتذوق حلاوته، وخشع له قلبه، ودمعت عيناه، ويقرأه العالم فيدرك فصاحته وبلاغته وحسن بيانه، وتنجلي له علومه ومعارفه، وتشده أخباره وأنباؤه، فيخشع له قلبه، وينقاد له ويذعن.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢-١٩٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

- أنه كتاب كرَم الإنسان، فالإنسان في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول بين جميع المخلوقات، وهو كائن كريم على الله ذو مركز عظيم في تصميم الوجود، على الرغم من كل ما في طبيعته من استعدادات للضعف والقصور، لكن استعداده لحمل الأمانة، جعله كائناً فريداً، يستحق كل هذه العناية الالهية، فأرسل له الرسل وكرمه بالعقل.
- أنه كتاب ينظر بواقعية للإنسان، بمعنى أنه يراعي واقع الإنسان برغباته وغرائزه وانفعالاته فلا يكبته أو يقهره، وإنما وضع هذا الواقع في إطار يسمو بالإنسان.
- أنه كتاب معجز تحدى به الله الناس على مر الزمان، فلم يأتوا بمثله، فهو معجزة خالدة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض ظَهِيرا﴾[1]، ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة، منه الإعجاز البياني وهو موجه للعرب أصحاب البلاغة والبيان، ومنه الإعجاز بما اشتمل عليه من أخبار السابقين، وهو معجزة لكل الأجيال، ومنه الإعجاز التشريعي، ومنه الإعجاز العلمي.
- أنه كتاب اشتمل على الدين كله، فالقرآن عمدة الملة، وروح الوجود الإسلامي، منه تستمد العقيدة، وأصول التشريع والأحكام، وتؤخذ العبادة والأخلاق ومنه تشتق تربية سلوك الإنسان وبناء شخصيته.
- أنه كتاب الزمن كله، فالقرآن كتاب خالد، وليس كتاب عصر أو جيل بعينه، فأحكام القرآن ونواهيه وأوامره ومن ثم تربيته للإنسان ليست مؤقتة بوقت معين، بل هو كتاب باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

الأبعاد التربوية في القرآن الكريم:

إذا كان الإنسان هو محور العملية التربوية، فإن الإنسان هو محور اهتمام القرآن، فالقرآن الكريم كله إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان، ليربيه ويزكي نفسه ويرقي روحه ويربطه بفطرة التوحيد، ويبين له سر وجوده والغاية المرجوة من حياته، وقد يسأل سائل ماذا يعني وجود الإنسان في هذا الكون؟ وهو على هذا القدر من الضآلة والصغر، والكون بهذا الإتساع والإمتداد، ولماذا تكون للإنسان كل هذه الأهمية ليصبح محط نظر الإله وإهتمامه، فيرسل له الرسل يبشرونه بالثواب وينذرونه بالعقاب، إليس هذه مبالغة كبيرة بقيمة الإنسان الضئيل في هذا الكون؟

والحقيقة أن قيمة الإنسان لا تقتصر على القيمة المادية الصرفة ولو كان الأمر كذلك لصح القول بأن هناك مبالغة كبيرة بهذا المخلوق الضئيل مقارنة بهذا الكون الشاسع، لكن هذا الإهتمام نفسه يدعو للتأمل في معنى القيمة الحقيقية للإنسان، أهي كيانه المادي فحسب؟ إن كل شواهد الوجود تدل على مقياس آخر يتجاوز الكيان المادي الصرف إلى الوجود الواعي العاقل ذي الإرادة والقدرة على التعلم والتفكر والتحليل والإستنباط، وبدون العقل الذي يجتاز حاجز المحسوسات إلى عالم الغيب ما كان للإنسان الأهمية والميزة عمن سواه من الكائنات والمخلوقات في هذا الكون (الطائي،١٩٩٨)

ولا غرابة في ذلك فالإنسان بوجوده الواعي قد جعله الله تعالى خليفته في الأرض، وفضله على سائر المخلوقات، وميزه بالعقل والإرادة والإدراك، وحمله أمانة عمارة الأرض، بل ويوجه القرآن الكريم حياة الإنسان في الدنيا، لتكون مقدمة لحياته السرمدية في الآخرة، ويبين له أنه مخلوق سرمدي العمر، ورحلته ممتدة وغير منتهية، ولكنه يمر عبر هذه الرحلة بمحطات. أولها محطة الحياة الدنيا، وهي دار العمل والأجر، ثم محطة حياة البرزخ، وهي دار أهل القبور وهي مقدمة للآخرة، ثم محطة الحياة الآخرة، وهي دار القرار والجنة أو النار، وهنا يبين القرآن الكريم للإنسان الهدف من وجوده وما ينتظره في دار الخلود، والمتفحص لآيات الذكر الحكيم يجد أن الإنسان، ذكر صراحة في القرآن الكريم نيف وستين مرة، وذكر ضمناً في آيات أخرى كثيرة ومتنوعة، وهو ما يؤكد العلاقة الوثيقة بين القرآن وتربية الإنسان.

بل تبدو علاقة القرآن الكريم بتربية الإنسان، واضحة جلية من خلال آياته المعجزة، وأول ما نزل منها هو آيات تربوية، يقول تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ(١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ(٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ(٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ(٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ(٥)﴾[1]، وهي دعوة منذ اللحظات الأولى لالتقاء السماء مع الأرض، بالقراءة والتعلم والملاحظة، ثم توالت الآيات القرآنية التي تربي الإنسان، من الناحية العقدية والإيمانية، والاجتماعية والنفسية، والاقتصادية والأخلاقية، والجمالية والجسمية، والعقلية والصحية، وغيره من الجوانب المرتبطة بحياة الإنسان.

والقرآن الكريم معين لا ينضب، يخاطب عقل وقلب وروح ونفس الإنسان، ويقدم له إلى أن تقوم الساعة، القيم والضوابط والأفكار والمعارف التي تربيه على الإيمان وتهديه إلى الصراط المستقيم، يقول عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيما فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2]، كما يسهم القرآن الكريم في بناء الشخصية الإنسانية على الأخلاق والفضائل والآداب، وفي هذا قال عبد الله بن مسعود «إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته».

وأول ما يتعلمه الإنسان من مأدبة القرآن الكريم هو توحيد الله عز وجل، وهو قصد تربوي تؤكده آيات القرآن الكريم، حيث أعتبر القرآن الشرك أعظم جريمة يقترفها الإنسان في حق نفسه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ...﴾[3]، والقرآن الكريم بهذه التربية على التوحيد يحرر الإنسان من عبادة البشر أو المال أو الحجر أو غيره، كما أن القرآن بهذه التربية على التوحيد يضع أساس المساواة بين الناس، لأنهم جميعاً يعودون لأصل واحد، ويعبدون إله واحد.

كما تربي مأدبة القرآن الكريم الإنسان على تزكية النفس، يقول سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[4] كما يقول تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾[5]، والتزكية

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

تعني الطهارة والنماء، لذا تضمنت التربية القرآنية تطهير النفس من الشرك بالله تعالى، وتطهير القلوب من قسوة الجاهلية، وتطهير الإرادة من الشهوات البهيمية، كما تضمنت تنمية العقول بالمعرفة والعلم، والقلوب بالإيمان، كما يربي القرآن النفس الإنسانية لتتحلى بآداب متنوعة تسمو بأخلاق المؤمنين، فيقول عز وجل: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(١).

كما يربي القرآن الكريم الإنسان المسلم، على التطوير والتجديد، واعتبر أن التقليد هو العقبة الكبرى أمام التغيير، فيقول سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآء وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٢)، فالآية صريحة بأن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين، وأن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه وأقتنع به، فمن ربي على التسليم بغير عقل، فهو غير مؤمن لأن القصد من الإيمان هو أن يرتقي عقل الإنسان ونفسه، بالعلم والعرفان فيعمل الخير لأنه يعرف الخير نافع للناس ومرض لله تعالى، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده (علي، ٢٠١٠).

وهكذا تعمل مأدبة القرآن الكريم على بناء وإعداد أمة متميزة تؤسس حياتها على العقيدة الإسلامية، وتربي أجيالها على هدي هذه الشريعة، لتحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا كلها، فتحمل معها الرحمة والنور والخير للبشرية، أمة ربانية أنشأها وحي الله تعالى، فهي أمة مصدرها رباني، لأنها تعيش بمنهج الله سبحانه، ولعبادة الله تعالى، وتعمل على تطبيق منهج الله في أرض الله، كما قال تعالى لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

وتتعدد صور وأساليب التربية في القرآن الكريم، فتارة يربي الإنسان بالحوار، وأخرى يربيه بالموعظة، وثالثة يربيه بالترغيب والترهيب، ورابعة يربيه بالعادة، وخامسة يربيه بالعمل، وسادسة يربيه بالعبرة، وسابعة يربيه بالقصة وثامنة يربيه بالقدوة، وهكذا لم يترك القرآن وسيلة تربوية إلا ويعمل على استثمارها لبناء وتربية

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

الإنسان، الذي كرمه الله على جميع خلقه، والذي خلق كل الأشياء من أجله.

فيشير أسلوب القصص القرآني كيف أن تربية الإنسان وإعداده تتطلب جهودا ضخمة وصبرا طويلا، وذلك بهدف تعليم الإنسان أن التربية تحتاج إلى صبر وجهد، ووقت كاف حتى تؤتي ثمارها، وهو منهج الرسل والأنبياء، الذين جاهدوا وصبروا وقاموا بحركة هائلة لبناء وتربية النفوس، حتى تنهض البشرية برسالة السماء في خلافة الأرض، وإقامة المجتمع الإنساني الذي يوحد الله ويعبده، فيغرد مع أنشودة الكون كله« لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وليشهد الإنسان في هذا القصص رعاية الله وتثبيته للمؤمنين، فيقول عز وجل: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ويربي القرآن الكريم الإنسان بالقدوة، التي تحول المنهج العلوي المعجز والمتضمن في القرآن الكريم إلى واقع، فلابد من قلب إنسان يحمل المنهج ويحوله إلى حقيقة، ليعرف الناس أنه حق، لذلك بعث الله محمد ﷺ ليكون قدوة للناس، قال جل شأنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرا﴾[2].

ويربي القرآن الكريم الإنسان على تحمل المسئولية عن أعماله، وذلك على أساس الأهلية المتمثلة في العقل وبلوغ سن الرشد، وأنه بمقدار أهلية الإنسان لتحمل المسئولية تكون حريته، ففاقدوا الأهلية من المجانين تصادر حريتهم، وناقصوا الأهلية من السفهاء يحجر عليهم، وأكد سبحانه وتعالى على هذه المسئولية في آيات محكمات منها قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٩٣) ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[5].

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٢-٩٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

الآثار التربوية للقرآن الكريم:

القرآن الكريم وإن كان سماوي المطلع علوي المتنزل، إلا أن من يقرأه يشعر أنه يقرأ سر نفسه الطاهرة، ومن استمع إليه كأنما يسمع همس خاطره النقي، وكان لسمو المعنى الذي يهدف القرآن إليه، وشرف الغرض الذي يدعو إليه، وصفاء الحكمة التي أبرزها، ومراعاة مقتضى الحال، ما جعل العرب يعترفون بأنه في الذروة العالية فوق كلام البشر، فأثر في سلوكهم على اختلاف طبائعهم وتوجهاتهم، فتحولوا في فترة وجيزة من الزمن، من قبائل متناحرة متفرقة لا أثر لهم ولا رسالة، إلى أمة ذات رسالة، تنشر التوحيد والعدل والرحمة والعلم في ربوع الأرض، وهذه هي التربية الحقيقية التي تغير سلوك الإنسان.

وأثَّر القرآن الكريم لم يقتصر على الإنسان فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى الجن، فقد أخبر القرآن الكريم عن نفر من الجن سمعوا القرآن، فتجاوبت معه أفئدتهم، وتفاعلت معه عواطفهم وعقولهم، فأعلنوا إيمانهم بهذا القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا(١) يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا(٢)﴾[١]، فالكلمة لا تعطي مدلولها الحقيقي إلا للقلب المفتوح لها، والعقل الذي يستشرفها ويتقبلها، وإن هذا القرآن لا يفتح كنوزه، ولا يكشف أسراره، ولا يعطي ثماره إلا لقوم يؤمنون، ولقد ورد عن بعض صحابة رسول الله ﷺ: «كنا نؤتى الإيمان قبل أن نؤتى القرآن»، وهذا الإيمان هو الذي كان يجعلهم يتذوقون القرآن الكريم، ويدركون معانيه وأهدافه (شعبان، ٢٠١٠).

وفيما يلي نماذج تبين الأثر التربوي للقرآن الكريم، وكيف استقبل صحابة رسول الله ﷺ هذا القرآن، وكيف أثَّر في عقولهم وسلوكهم، وكيف اعترف المشركون بسمو القرآن الكريم ورقيه، إلا أن العناد حال بينهم وبين الإيمان به:

(١) القرآن الكريم وعمر بن الخطاب:

في البداية لابد من التأكيد على أن التربية الحقيقية هي التي تعمل على تعديل السلوك الإنساني إلى الأفضل، وهذا ما أحدثه القرآن الكريم في نفوس الناس على مر العصور، وهذا هو عمر بن الخطاب، العربي القرشي الذي لامس

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ١-٢.

القرآن الكريم قلبه، ووقعت كلماته الربانية في نفسه، وأثرت توجيهاته وإرشاداته في سلوكه، فكان القرآن الكريم بحق هو المربي الحقيقي الذي أشعل نور الهدى في قلب عمر بن الخطاب، خرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ، ورهطا من أصحابه، قد ذكروا له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها وعاب دينها فأقتله.

فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم، قال وأي أهل بيتي؟ قال ابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته وابن عمه، وعندهما خباب بن الارت، معه صحيفة فيها «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا صوت عمر، اختبأ خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له ما سمعت شيئا، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، فقال له سعيد أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على سعيد فضرب به الأرض ثم جلس على صدره، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فضربها فأدمى وجهها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وهي غضبى يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله؟ ما كنت فاعلا فأفعل، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، لقد أسلمنا رغم أنفك.

فندم عمر على ما صنع، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة، قالت: إنك نجس على شركك و﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[1]، فقام عمر وأغتسل وأعطته الصحيفة وفيها «طه» فقرأها، وأثر بيان وبلاغة القرآن فيه فقال ينبغي لمن يقول هذا ألا يعبد معه غيره، فلما سمع ذلك خباب خرج عليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر، فقال عمر: دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأُسلم.

وعمد عمر إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وضرب عليهم الباب، فلما سمعوا

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

صوته قال أحدهم هذا عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه، قال حمزة بن عبد المطلب، إفتحوا له فإن يرد الله به خيراً يُسلم، وإن كان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا، ففتحوا له وأخذ حمزة ورجل آخر بعضديه، حتى أدخلاه على رسول الله ﷺ، فقال: أرسلوه وأخذ ﷺ بحجزته، وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ والله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة»، فقال عمر يا رسول الله جئتك أومن بالله وبرسوله وبما جئت به من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ، فعرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر بن الخطاب قد أسلم (ابن هشام، ١٩٩٤).

(٢) القرآن الكريم والطفيل بن عمرو الدوسي:

الطفيل بن عمر الدوسي هو سيد قبيلة دوس في الجاهلية، وهو واحد من أشراف العرب، وواحد من أصحاب المروءات، وهو إلى ذلك أديب أريب لبيب، وشاعر مرهف الحس، رقيق الشعور، بصير بحلو البيان ومره، حدَّث الطفيل قال: قدمت مكة فما إن رآني سادة قريش، حتى أقبلوا عليّ فرحبوا بي أكرم ترحيب وأنزلوني فيهم أعز منزل، ثم اجتمع إليّ سادتهم وكبراؤهم وقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قد أفسد أمرنا ومزق شملنا، وشتت جماعتنا، ونحن إنما نخشى أن يحل بك وبزعامتك في قومك ما قد حل بنا، فلا تكلم الرجل ولا تسمعن منه شيئا، فإن له قولاً كالسحر، يفرق بين الولد وأبيه، وبين الأخ وأخيه وبين الزوجة وزوجها.

قال الطفيل: فوالله مازالوا بي يقصون علي من غرائب أخباره، ويخوفونني على نفسي وقومي بعجائب أفعاله، حتى أجْمَعْت أمري على ألا أقترب منه، وألا أكلمه أو أسمع منه شيئاً، ولما غدوت إلى المسجد للطواف بالكعبة، والتبرك بأصنامها التي كنا إليها نحج وإياها نعظم، حشوت في أذني قطناً خوفاً من أن يلامس سمعي شيء من قول محمد، لكني ما إن دخلت المسجد حتى وجدته قائماً يصلي عند الكعبة صلاة غير صلاتنا، ويتعبد عبادة غير عبادتنا، فأسَرني منظره وهزتني عبادته، ووجدت نفسي أدنو منه شيئاً فشيئا على غير قصد مني حتى أصبحت قريبا منه، وأبى الله إلا أن يصل إلى سمعي بعض مما يقول.

فسمعت كلاماً حسناً، وقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا طفيل.. إنك لرجل لبيب شاعر، وما يخفى عليك الحسن من القبيح، فما يمنعك أن تسمع من الرجل، فإذا

كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، قال الطفيل: ثم مكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل داره، دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي عنك كذا وكذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونني من أمرك حتى سددت أذني بقطن لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني شيئاً منه، فوجدته حسنا، فأعرض عليّ أمرك، فعرض عليّ أمره، وقرأ لي سورة الإخلاص والفلق، فوالله ما سمعت قولاً أحسن من قوله، ولا رأيت أمراً أعدل من أمره، عند ذلك بسطت يدي له، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ودخلت في الإسلام (الباشا، ١٩٩٢).

هكذا تلقى العرب بلاغة القرآن الكريم، بالتسليم والدخول في الإسلام، لأنهم استقبلوا القرآن الكريم، بكل حواسهم ومشاعرهم، فملك عليهم قلوبهم ونفوسهم وعقولهم، إلا أن البشر ليس لهم جميعاً نفس القلوب والعقول، فمنهم من اهتدى تأثراً ببلاغة القرآن الكريم وعظمته، ومنهم من عاند وجحد وتكبر وكفر، حتى وإن استشعر بلاغة وعظمة القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم صادف قلوباً مغلقة مليئة بالوساوس والكبر والهوى ومنقادة للشيطان، ولأن الله عز وجل يهدي من يشاء من عباده، وفيما يلي نموذج يبين استشعار وإدراك حلاوة وعظمة القرآن الكريم، وبالرغم من هذا فلم يدخل في الإسلام.

(٣) الوليد بن المغيرة وحلاوة القرآن:

كان الوليد بن المغيرة من أشد المشركين عداوة لرسول الله ﷺ، روى ابن عباس رضي الله عنهما، أن الوليد بن المغيرة بعد أن استمع إلى محمد ﷺ، إجتمع مع نفر من قريش، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم ووفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، فقالوا: أنت قل وأتم لنا به رأياً نقول به، قال: لا بل أنتم قولوا لاسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم، قالوا: نقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، قالوا: نقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: نقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنفثة ولا بعقدة، قالوا: فماذا نقول؟ قال: «والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى

عليه وما هو بقول بشر» (الحاكم النيسابوري، ٢٠٠٧)، هذا هو الوليد بن المغيرة الذي عرف مكانة القرآن وحلاوته، ولكن قلبه لم يكن مستعداً للإيمان.

ثانياً: السنة النبوية:

القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي تستقي منه التربية الإسلامية أصولها، وهو الينبوع الأول الذي تستند إليه تربية الإنسان، ثم تأتي السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني الذي تستقي منه التربية الإسلامية أصولها، وهو مصدر مكمل ومفسر وموضح للمصدر الأول وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية تمثل منهجاً متكاملا، لما تتضمنه من سيرة المصطفى ﷺ وهي مصدر لا يمكن الاستغناء عنه للتربية الإسلامية، وملازمة السنة النبوية للقرآن في تربية الإنسان ضرورة ماسة، لأن السنة ما جاءت بأمر إلا وكان له دلالة إجمالية أو تفصيلية في القرآن الكريم.

معنى السنة:

السنة في اللغة تطلق على السيرة أو الطريقة، حسنة كانت أو قبيحة، قال ﷺ «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب له مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء» (رواه مسلم)، أما السنة اصطلاحا فعرفت بأنها "كل ما نقل بالسند الصحيح عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو نهي، وما أحب وما كره، وغزواته وأحوال حياته" (علي، ٢٠٠٧).

منزلة السنة بالنسبة للقرآن الكريم:

السنة هي المعين الثاني الذي تستقي منه التربية الإسلامية أصولها، وهي تالية للقرآن الكريم، لأن القرآن هو كلام الله المتعبد بتلاوته، وهو وحي بلفظه ومعناه، ومقطوع به جملة وتفصيلاً، وهو أصل التربية الأول، أما السنة فلفظها غير متعبد به، وهي وحي بمعناها وليس بلفظها، ومقطوع بها جملة لا تفصيلا، وهي أصل التربية الثاني، وهي شارحه ومفسرة للقرآن، فضلاً عن أنها تثري حياة الإنسان المسلم بآداب وتشريعات أخري.

وللسنة أنواع ثلاثة هي السنة القولية وهي الأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ، والسنة الفعلية وهي الأفعال التي صدرت عن النبي ﷺ باعتباره بشراً، والسنة التقريرية وهي ما صدر عن أصحاب النبي ﷺ من أقول أو أفعال في حضرة النبي ﷺ وسكت عنها ولم ينكرها بموافقة صريحة أو ضمنية.

الأهداف التربوية للسنة:

أهداف السنة النبوية متنوعة ومتعددة، إلا أنها من الناحية التربوية تهدف إلى إيضاح وتفسير المنهج التربوي في القرآن الكريم، كما أن السنة المطهرة تقدم للإنسان أسلوباً تربوياً متميزاً من خلال حياة الرسول محمد ﷺ.

محمد ﷺ القائد المربي:

في يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول، في ذلك اليوم الأغر المبارك ازدانت الدنيا وأشرق الكون بخير مولود، إنه السيد القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، نخبة بني هاشم المنتخب من خير بطون العرب، وأعرقها في النسب، وأشرفها في الحسب، وأفصحها لسانا، وأوضحها بيانا، وأرجحها ميزانا، وأصحها إيمانا، وأعزها نفرا، وأكرمها معشرا، ومن أكرم بلاد الله على الله تعالى وعلى عباده، لقد اختاره الله تعالى من مشكاة الأنبياء، ومن صفوة النجباء ومن أطيب الأجداد وأشرف الآباء، وأنشد أحمد شوقي يقول في مدح الرسول ﷺ:

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ ... وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ
الروحُ وَالمَلَأُ المَلائِكُ حَولَهُ ... لِلدينِ وَالدُنيا بِهِ بُشَراءُ
وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي ... وَالمُنتَهى وَالسِدرَةُ العَصماءُ

وقال محمد ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (ابن حنبل، ١٩٩٩)، وقال ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ: آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأنا أول شافع وأول مشفع» (الطبراني،١٩٨٣)، وقال ابن الخطيب:

أنت الذي من نورك البدر اكتسى … والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذي لما رفعت إلى السما … بك قد سمت وتزينت لسراكا
وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا … بصفات حسنك مادحا لعلاكا

يسأل الإنسان نفسه من ألهم محمد الأمي ﷺ رسالة تفخر العقول الذكية بالتفقه فيها، وتؤلف في شرح دقائقها وبيان وجوه حكمتها وغرائب أسرارها، مكتبات فيها ألوف الرسائل والمجلدات والبحوث، مكتبات لا تزال مدائن العالم الكبرى تقتنيها وتحرص عليها، وتتضافر كلها على خدمة الرسالة، التي بُعث بها النبي الأمي ﷺ الذي لم يدخل مدرسة، ولم يجلس إلى أستاذ في جامعة، ولكنه هو الذي شاد دور العلم.

كما يقف الإنسان كذلك حائرا إزاء عبادة المصطفى ﷺ التي كان فيها يصل الليل بالنهار حتى تورمت قدماه، يكبر للصلاة فإذا بأبواب السماء تتفتح لمحمد ﷺ، فيقرأ في الركعة الواحدة ما شاء من سور القرآن الكريم، فإذا خر ساجداً حسبته زوجه أنه قُبض من طول السجود، وهو يقول في ذلة وتواضع «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة»، وذهب الرسول ﷺ ليحج، فخرج على رحل رث، ثم قال: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»، وعندما حضره الموت قال بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى، وكان يغمى عليه ثم يفيق من سكرات الموت، ليوصى بتقسيم بعض الدراهم كانت في بيته، على الفقراء والمساكين.

كان ﷺ أوفى الناس بالعهود وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبا، وأبسط الناس خلقا، وأبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحدا يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده في مأكل ولا ملبس، وكان يخدم من خدمه، ويحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرا لفقره، وكان يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، وقد ترك نفسه من ثلاث: الرياء والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يزم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤسهم الطير، وعلى الجملة كان محمد ﷺ محلى بصفات الكمال أدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيا عليه فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيم ﴾[1] (المباركفوري، ٢٠١٠).

وتعكس شخصية محمد المربي ﷺ صور التواضع المقترن بالمهابة، والحياء المقترن بالشجاعة، والكرم الصادق البعيد عن حب الظهور، والأمانة المشهورة بين الناس، والصدق في القول والعمل، والزهد في الدنيا عند إقبالها، وعدم التطلع إليها عند إدبارها، والإخلاص لله تعالى في ما يصدر عنه، مع فصاحة اللسان وثبات الجنان، وقوة العقل وحسن الفهم، والرحمة للكبير والصغير ولين الجانب، ورقة المشاعر وحب الصفح عن المسيء، والبعد عن الغلظة والجفاء والقسوة، والصبر في مواطن الشدة، والجرأة في قول الحق، فكان محمد ﷺ نموذجاً تربوياً يُحتذى على مر الأجيال إلى أن تقوم الساعة (حميد وآخرون، ١٩٩٨).

فلقد كان حديثه ﷺ كما يقول الجاحظ، هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة الكلام، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلام محمد ﷺ، فقد أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغها، وأنشد الإمام البوصيري يقول في المصطفى ﷺ:

محمدٌ سيدُ الكونينِ والثَّقَلَيْنِ	والفريقينِ من عُربٍ ومن عجمِ
نبينَّا الآمرُ الناهي فلا أحدٌ	أبَرَّ في قَوْلِ لا مِنْهُ وَلا نَعَمِ
هُوَ الحَبيبُ الذي تُرْجَى شَفاعَتُهُ	لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ
دعا إلى اللهِ فالمستمسكونَ بهِ	مستمسكونَ بحبلٍ غيرِ منفصمِ
فاقَ النبيينَ في خلْقٍ وفي خُلُقٍ	ولمْ يدانوهُ في علمٍ ولا كَرَمِ
وكلهمْ من رسولِ اللهِ ملتمسٌ	غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وقد لقَّبه أهل مكة قبل البعثة بالصادق الأمين، والصدق والأمانة ذروة سنام الأخلاق، فشهد له الأعداء قبل الأصدقاء بصدق القول، وعظم الأمانة ورجاحة

(١) سورة القلم : الآية ٤.

العقل ولطف المعاشرة، فأصبح مثالاً للأخلاق الحميدة والفضائل الرشيدة، وعرف الناس من حوله أن هذه الشمائل المحمدية ليست طارئة ولا مفتعلة، وإنما هي سجايا طبيعية من سجاياه، تحكم سلوكه وتوجه تصرفاته، وعلم الناس أن محمداً ﷺ لم يكذب قط ولم يخن مطلقا ولم يظلم أحداً، ولم يهتك حرمة ولم يهضم حقاً ولم يغتب إنسانا، ولم يخلف وعدا، ولم يشرب خمراً ولم يعبد صنماً ولم يقطع رحماً، فكان صاحب الرسالة ﷺ مربياً عظيماً وصاحب أخلاق حميدة لم يرق إليها بشر، فوصفه ربه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم ﴾[1] (الأسمر، ٢٠٠١).

كما كانت لمحمد ﷺ بلاغة وفصاحة مع صباحة ودماثة، تجعلان منه مربياً يحبه من يراه ويسمعه، وكان ﷺ المربي الأول في دار الأرقم بن أبي الأرقم أعظم مدرسة للتربية عرفتها البشرية، وكان قائدها وقدوتها محمد ﷺ أستاذ البشرية كلها، وتلاميذها هم الدعاة والهداة، والقادة الربانيون، الذين حرروا البشرية من رق العبودية وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، وفي دار الأرقم وفق الله تعالى رسوله ﷺ إلى تكوين الجماعة الأولى من الصحابة، حيث قاموا بأعظم دعوة عرفتها البشرية، وحملوا راية التوحيد، والجهاد والدعوة فدانت لهم الجزيرة العربية، وقاموا بالفتوحات العظيمة في نصف قرن، وبنوا حضارة حقيقية استندت إلى الأخلاق المنبثقة عن عقيدة التوحيد من ناحية، وإلى العلم في شتى مجالات الحياة من ناحية أخرى، فسادوا الدنيا لأكثر من ألف عام (الصلابي، ٢٠٠٠).

كان محمد ﷺ طاقة من النور الشفيف، بعثها الله لتنير للناس السبيل، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدا وَمُبَشِّرا وَنَذِيرا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجا مُّنِيرا (٤٦)﴾[2]، ولقد فاض هذا النور في القلوب وفاض في الوجود، وكشف الطريق للناس فساروا فيه مهتدين، وبهر النور نفوس الناس، فتعلقت به وأحبته كما لم يحب أحداً في العالمين، ولقد قامت المعركة بين الحق والباطل، وانتصر الحق، فانزاحت الظلمة التي كانت تحجب النور عن الناس، وبقي هذا النور محمد بن عبد الله ﷺ ساطعاً وسراجاً منيراً كما أراده الله تعالى.

فكان محمد ﷺ روح شفيفة وقوة حيوية فياضة، يحارب كالعاصفة، ويتزوج

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥-٤٦.

ويستمتع بطيبات الأرض، ورجل سياسة يشيد أمة من الفتات فإذا هي بناء ضخم، ويعطي هذا البناء وقته وفكره وروحه، ورجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش، وأب وزوج ورب أسرة، وصديق وقريب وصاحب للناس تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، ويعودهم ويعينهم في مودة وعطف، وعابد متحنث لربه كرجل منقطع للعبادة، ذلك محمد بن عبد الله النور الكوني الذي بهر العالمين، وحق للناس أن يحبوه ويتبعوه، ولقد كانت حكمة المولى سبحانه من بعثه على هذه الصورة المتكاملة، كحكمته في إنزال القرآن على هذا النهج الشامل المعجز (قطب، ١٩٨٩).

ملامح التربية في المدرسة المحمدية:

يعد العمل التربوي للرسول الكريم ﷺ كاف كل الكفاية ليتبوأ المكان الأسمى من التعظيم والإعجاب والثناء، فلقد نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله، ومن الظلام والجهل إلى النور والعلم، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية، فجاء بمنهج تربوي يقوم على الوسطية والاعتدال، وكان يحذر أصحابه من مغبة الإفراط أو التفريط، فبالرغم من درجة إيمانه وتقواه التي لا يصل إليها بشر، إلا أنه كان يمارس حياته بصفته إنسانا، وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أصلح ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر» (رواه مسلم)، فكان عمله يكفي أن يبوئه المكان الأعلى بين صفوة المربين الخالدين (علي، ٢٠٠٧).

وكانت دار الأرقم مدرسة تربوية من أعظم مدارس الدنيا، إلتقى فيها الرسول المربي ﷺ بالصفوة المختارة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فكان ذلك اللقاء تربية عملية لتلاميذ المدرسة المحمدية، على ترسيخ أركان العقيدة والإيمان، وعلى مفهوم السمع والطاعة، وكان محمد ﷺ يربي أصحابه على الثقة بالله والعزيمة والإصرار والتضحية، ويأخذهم بالتزكية والتهذيب، وتربية نفوسهم وطباعهم على الفضائل والإخلاص للدين، فكان هذا اللقاء المنظم تحت قيادة المربي العظيم محمد ﷺ يشحذ العزائم، ويقوي الهمم، ويدفع إلى البذل والتضحية والإيثار.

كما كان رسول الله ﷺ يؤكد على تلقي العلم النافع، ولا يترك فرصة إلا وينبه الصحابة إلى أهمية التعلم والتفقه في الدين، ويقدم لهم أمثلة عملية تحثهم على الإختلاف إلى موائد العلم، مبينا إرتباط التعلم برضى الله تعالى، فعن أبي وافد الليثي

قال:« بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل نفر ثلاثة، فأقبل إثنان إلى رسول الله وذهب واحد، فلما وقعا على مجلس الرسول سلما، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، ولما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة. أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا من الله فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه».

كما تبدو شخصية الرسول المربي ﷺ في مواقفه مع أصحابه ورعايته وتربيته لهم، عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: ما شانكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ دعاني، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن الكريم، ما أعظم هذا المربي، وما أحسن قوله الذي يلامس قلوب الناس، والذي وصف لفظه وبيانه الشاعر بقوله:

بـالله لفظـك هـذا سـال مـن عسـل	أم قـد صـببت على أفواهنـا العسـلا
أم المعـاني اللـواتي قـد أتيـت بهـا	أرى بهـا الـدر واليـاقوت متصـلا

والتربية في المدرسة المحمدية للأجيال الجديدة، تستند إلى طاعة الرسول المربي ﷺ فيما أمر به، فهو ﷺ لا يأمر إلا بخير، وتصديقه فيما أخبر، وإخباره ﷺ على ثلاثة أقسام (القرني، ٢٠٠٢):

خبر ما مضى من القرون السابقة، فنصدقه ﷺ، فإذا أخبر عن أمة نوح أو عن قوم فرعون أو غيرهم، صدقناه ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى، ولا يكذب على الله جل شأنه. وإخبار بالأمور المستقبلية، مثل علامات الساعة وخروج الدجال وطلوع الشمس من المغرب، وغيرها من الآيات صدقناه ﷺ يقيناً. وإخبار عن الغيب، كاليوم الآخر والميزان والصراط والكرسي والجنة والنار، صدقناه ﷺ، ومن لم يفعل هذا لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

ولم تقتصر تربية الرسول ﷺ على الرجال، بل اهتم ﷺ كذلك بتربية النساء،

حيث كان الرجال يلازمون محمداً ﷺ ويحيطون به للتعلم، فلا تستطيع النساء مزاحمتهم، وكن يجلسن في آخر الصفوف، فلا يتمكن من تمام السماع والتعلم، عن أبي سعيد الخدري قال: قالت النساء للنبي ﷺ: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن بما عليهن من أمر الدين». وذلك بهدف تفقيه المرأة في أمور دينها ودنياها، ولا غرابة في ذلك فالمرأة هي التي تضطلع بمهمة تربية الجيل المسلم.

ليس هذا فحسب بل عاهد محمد ﷺ النساء، بعدما فرغ من بيعة الرجال، وقد حضرت هند بنت عتبة، إمرأة أبي سفيان بن حرب بيعة النساء، وهي متنقبة متنكرة، قال رسول الله ﷺ «أبايعهن على ألاّ يشركن بالله شيئا» فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وكان بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد، فقال النبي ﷺ «ولا يسرقن»، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا؟، فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: «إنك هند بنت عتبة؟» قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال« ولا يزنين» فقالت: أو تزني الحرة؟ فقال «ولا يقتلن أولاً دهن» فقالت هند: ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ فقال: «ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن»، قالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا الرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «ولا يعصينك في معروف»، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، فأقر النسوة بما أخذ عليهن (الزحيلي، ١٩٩٦) و(محمد، ٢٠٠٦).

وعليه فإن محمد ﷺ هو المربي والمثل والقدوة لكل المسلمين، وجاءت تربيته تأكيدا لتربية القرآن الكريم، الذي يربي المسلم على عقيدة التوحيد وعبادة الله الفرد الصمد، فيلتزم بقيم وضوابط الشريعة الإسلامية، فلا يركن إلى التواكل أو الكسل وإنما يبذل الجهد ويكد ويكدح في الحياة، ويستحضر النية خالصة لوجه الله في كل عمل يقوم به، ولا يركن إلى الخرافة والجهل، وإنما يأخذ بأسباب العلم النافع المفيد له ولأمته في الدنيا والآخرة، وكان المصطفى ﷺ مثلاً ونموذجاً في الرحمة ورقة القلب والعفو والصفح، ويشعر دائماً بالمسؤولية والالتزام تجاه نفسه وأسرته وأمته

الإسلامية، ويعمل جاهدا على أن ينال حظه من الدنيا ليحقق خلافته في الأرض فيعمرها، بهدف الحصول على الفوز الحقيقي، ألا وهو حسن الخاتمة والخلد في جنة الفردوس.

الآثار التربوية لاتباع سنة محمد ﷺ:

إن اتباع سنة المصطفى ﷺ، يغرس في المسلم مجموعة من الآداب والقيم والأخلاقيات التي توجه سلوكه منها (الخن ومستو، ١٩٩٦):

المحبة: تعد المحبة ثمرة من ثمار هدي المصطفى ﷺ، وهي شاملة تبدأ بمحبة الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، ثم تنتهي بحب المسلمين جميعاً، حيث يقول محمد ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (رواه البخاري).

الطاعة: وتتضمن هذه الثمرة، طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وطاعة الوالدين وأولي الأمر، ولا تكون الطاعة لغير الله إلا في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ...﴾(١).

الأسوة الحسنة: محمد ﷺ هو القدوة والأسوة والمثل الأعلى الذي يحتذي، والاقتداء بالمصطفىﷺ ثمرة تعود على الإنسان بالفلاح والصلاح، لأنه يرقى بالنفس الإنسانية التي ترى ما وراء الحس، فتصفو وتشف، ولا تفكر إلا في الخير، يقول تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾(٢).

الدعوة: إن اتباع سنة محمد ﷺ، يغرس في نفس المسلم روح الدعوة إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، والتمثل بما تحلى به محمد ﷺ من صبر وتضحية، من اجل تبليغ الدعوة التي اختاره المولى سبحانه وتعالى لها، قال جل شأنه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ...﴾(٣).

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الإصلاح: إن من أهم الثمار التربوية لاتباع سنة المصطفى ﷺ، هو أن يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه، ثم يبذل النصيحة للأقربين، وضمن حدود استطاعته، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، قال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (البخاري).

وقد وحد محمد ﷺ العرب فجعلهم وحدة واحدة تنضوي تحت أمة الإسلام، بعد أن كانوا مجموعة من القبائل المتفرقة، كما أصلح ﷺ سلوكيات الناس، فبعد أن كان العرب يُشركون بالله ويعبدون الأصنام، ويشربون الخمر ويزنون، ويأدون أطفالهم ويتناحرون ويتقاتلون، ويبغي بعضهم على بعض، هذا فضلاً عن الغلظة والفظاظة التي كانت تغلب على طباعهم، فجاء محمد ﷺ وغيَّر كل هذه السلوكيات، التي نبتت في بيئة تعج بالظلم والفساد، ليصبح هؤلاء الناس قادة للدنيا في مكارم الأخلاق، يعلمون الناس الفضيلة والأدب القرآني الراقي في شتى بقاع الأرض، وانتشر خبرهم وما يتميزون به من صدق وأمانة وإخلاص في كل الأمصار، وأصبح لهم دور فاعل في الحياة، هذا التغيير الجوهري في سلوكيات الناس هو ما نسميه بالتربية، وهذا التغيير يحتاج إلى صبر وجهد ووقت، ولا يقوم به إلا مُربٍ عظيم، وهذا المربي هو محمد ﷺ، فكان جديراً بأن يكون قدوة للبشر جميعاً.

ثالثاً: الخبرات التربوية للسلف الصالح

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» (أخرجه البخاري)، فمن حيث الزمان فإن مصطلح السلف يستخدم للدلالة على خير القرون وأولاها بالاقتداء والاتباع، وهي القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية، على لسان خير البرية محمد ﷺ، إلا أن التحديد الزمني تخرج منه الفرق الضالة التي أطلت برؤوسها في تلك الفترة الزمنية، لذلك فإن وجود الإنسان في ذلك العصر لا يكفي للحكم عليه بأنه على منهج السلف، ما لم يكن موافقا للصحابة رضي الله عنهم في فهم الكتاب والسنة، ولذلك يقيد العلماء هذا المصطلح بالسلف الصالح(الهلالي، ٢٠٠٢).

السلف الصالح هو لقب لأهل السنة والجماعة، وهم الصحابة رضوان الله عليهم، وتابعوهم وأتباعهم من أئمة الإسلام العدول، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم في الدين، وعظم شأنهم فيه، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول، كالأئمة الأربعة والسفيانين والليث بن سعد، وعبد الله بن المبارك، وإبراهيم النخعي، والبخاري، وسائر أصحاب السنن، ودون من رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي، مثل الخوارج والروافض، والمعتزلة والجبرية (حسن، ١٩٩٢).

وتذخر حياة - الصحابة الكرام ومن تبعهم من السلف الصالح، والذين ساروا على نهج المصطفى ﷺ - بالعديد من الخبرات التربوية، التي تعد النبراس الذي يضيئ للأجيال المتتابعة طريقهم في التربية الإسلامية، ليأخذوا من واقع خبراتهم أساليبهم في التفكر والتعلم، وطرقهم في التعامل وتحمل المسؤولية، واقتدائهم بسنة المصطفى ﷺ، وما اتصفوا به من فضائل وأخلاق وقيم، وما أثر عنهم من فضل أدب في الحوار، ومن ثم يمكن تربية الأجيال المتتابعة بالاستفادة من خبرات السلف الصالح، وطرق تعاملهم مع مجريات الحياة من حولهم،ومواقفهم التربوية التي يمكن الاقتداء بها في الواقع المعاصر.

كما يحتل السلف الصالح منزلة سامية في المجتمع الإسلامي، وبالبحث في طرق حياتهم وأفعالهم وأقوالهم، نجد هناك كثير من الأفكار والنظريات التربوية التي تفيد في تربية النشء تربية إسلامية، ويعد الصحابة رضوان الله عليهم الجيل الأول الذي شهد مواضع تنزيل القرآن الكريم، وعايش أقوال الرسول ﷺ، لذا فإن أفعالهم وأقوالهم جديرة بالدراسة والتحليل، حتى يمكن الإستفادة من خبراتهم في تربية الأجيال الجديدة تربية إسلامية، تساعدهم على البناء والتطوير والارتقاء بمستوى المجتمع الذي يعيشون فيه، وسوف نستعين بخبرات السلف الصالح التربوية، ومواقف من حياتهم وأقوالهم وأفعالهم، كلما كانت هناك حاجة لذلك، في الفصول التالية من الكتاب.

خاتمة الفصل الثاني

مما سبق يتبين أن الفصل الثاني في هذا الكتاب، تناول مصادر التربية الإسلامية، وبيَّن أن مصادر التربية الإسلامية هي نفسها مصادر التشريع الإسلامي، والمتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والإجماع والقياس، إلا أن هذا الفصل قد اقتصر على المصدر الأول: القرآن الكريم، حيث قدم فكرة مبسطة عن مفهوم القرآن الكريم، ونزوله وخصائصه التربوية، وأهم الأبعاد التربوية في القرآن الكريم، كما قدم نماذج لآثار القرآن الكريم على من عاصروه، واقتصر على المصدر الثاني: السنة النبوية، حيث تناول الكاتب معنى السنة النبوية، ومنزلتها بالنسبة للقرآن الكريم، والأهداف التربوية للسنة النبوية، كما قدم هذا الفصل نبذه مختصرة عن محمد ﷺ القائد والمربي، وكذلك بعض ملامح التربية في المدرسة المحمدية، والآثار التربوية لاتباع سنة المصطفى ﷺ، ثم أضاف الكاتب المصدر الثالث للتربية الإسلامية، وهو الخبرات التربوية للسلف الصالح، وتعني تربية السلف الصالح التي تتفق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتي سننهل منها كلما دعت الحاجة في الفصول القادمة.

قائمة مراجع الفصل الثاني

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد هلال الشيباني (١٩٩٩). مسند أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن هشام البصري، جمال الدين أبو محمد عبد الملك (١٩٩٤). السيرة النبوية. بيروت: دار الفكر.

أبو شهبة، هناء يحيى (٢٠٠٧). الإسلام وتأصيل علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي.

الأسمر، أحمد رجب (٢٠٠١). النبي المربي. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

الباشا، عبد الرحمن رأفت (١٩٩٢). صور من حياة الصحابة. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (٢٠٠٧). بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

المباركفوري، صفي الرحمن (٢٠١٠). الرحيق المختوم. ط٢١، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر.

حسن، عثمان (١٩٩٢). منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. مكتبة الرشد.

حميد، صالح عبد الله (١٩٩٨). موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ. المجلد الأول، المملكة العربية السعودية: دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

الخن، مصطفى سعيد ومستو، محي الدين ديب (١٩٩٦). العقيدة الإسلامية أركانها- حقائقها - مفسداتها. بيروت: دار ابن كثير.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (١٩٩١). خصائص القرآن الكريم. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة.

شعبان، مروان وحيد (٢٠١٠). محاضرات دعوية هادفة. ج ١، لبنان: دار الإعجاز.

الصالح، محمد أديب (٢٠٠٧). شفاء القرآن..وجيل البناء. الرياض: العبيكان للأبحاث والتطوير.

الصلابي، على محمد (٢٠٠٠). السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. الجزء الأول، بيروت: دار المعرفة للنشر والتوزيع.

الطائي، محمد باسل(١٩٩٨). خلق الكون بين العلم والإيمان. لبنان : دار النفائس.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (١٩٨٣). المعجم الكبير. العراق: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

عبيد، منصور الرفاعي (١٩٩٧). مكانة المسجد ورسالته. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.

على، سعيد إسماعيل (٢٠٠٧). أصول التربية الإسلامية. القاهرة: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠١٠). نشأة التربية الإسلامية. موسوعة التطور الحضاري للتربية الإسلامية. الجزء الثاني، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة.

العياصرة، وليد رفيق (٢٠١٠). التربية الإسلامية واستراتيجيات تدريسها وتطبيقاتها العملية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

القرني، عائض عبد الله (٢٠٠٢). هذه عقيدتي.بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

قطب، محمد (١٩٨٩). منهج التربية الإسلامية. الجزء الأول، ط١٢، القاهرة: دار الشروق.

لاشين، موسى شاهين (٢٠٠٢). اللآلئ الحسان في علوم القرآن. القاهرة: دار الشروق.

موسى، مصطفى إسماعيل (٢٠٠٧). الاتجاهات الحديثة في طرائق تدريس التربية الدينية الإسلامية. العين: دار الكتاب الجامعي.

الهلالي، سليم بن عيد (٢٠٠٢). بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف،ط٣. الإمارات: مكتبة الفرقان.

الزحيلي، وهبة (١٩٩٦). الفقه الإسلامي وأدلته.. ج١، ط٣، . دمشق: دار الفكر.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٩٣). صحيح البخاري. شرح مصطفى ديب البغا، ط٥، بيروت: دار ابن كثير.

محمد، محمد عبد المنعم (٢٠٠٦)، منهج حياة رؤية معاصرة للسيرة النبوية، الرياض: براعم للتجارة والتسويق.

محمود، مصطفى (١٩٩٩). القرآن كائن حي. القاهرة: دار الدعوة.

٣

الفصل الثالث

أصول التربية الإسلامية

أصول التربية

أصول التربية الإسلامية

أولا: أصول التربية الإيمانية في الإسلام

ثانيا: أصول التربية العلمية في الإسلام

ثالثا: أصول التربية التعبدية في الإسلام

رابعا: أصول التربية الخلقية في الإسلام

خامسا: أصول التربية الاجتماعية في الإسلام

سادسا: أصول التربية الجنسية في الإسلام

سابعا: أصول التربية النفسية في الإسلام

أصول التربية:

يتألف مصطلح أصول التربية من مقطعين هما أصول وتعني الأسس والمبادئ، والتربية وتعني إعداد الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب، بحيث لا يطغى فيها جانب على آخر، وعليه فإن مصطلح أصول التربية يعني الأسس والمبادئ التي يبنى عليها تطبيق تربوي سليم، والذي يسهم في إعداد الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب، وهذه الأسس والمبادئ تشتق من الأديان السماوية أو الفلسفات أو النظريات البشرية أو خبرات وتجارب المفكرين في مجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيره.

وتستمد التربية بشكل عام أصولها من مختلف فروع المعرفة، فالتربية علم وفن في آن واحد، لذا فهي تستوحي المجتمع في تحديد أهدافها ثم تطبق وتصوغ محتواها لتحقيق هذه الأهداف، وإذا كانت التربية فن يعتمد على المعرفة العلمية، فالمربي حين يمارس عمله، لا يعتمد فقط على المعرفة، ولا يحتاج إلى المادة الدراسية وحدها، أو معرفة الأصول التربوية فحسب، ولا يعتمد على طرق التدريس وأساليبها فقط، وإنما المربي هو كل ذلك في آن واحد، فالمربي فنان يمنح جزءاً من ذاته، فيأتي الأداء ممثلاً لشخصية المربي ومزاجه، وهذا الفن يعتمد في جوهره على الأصول والمبادئ التي تتضمنها العلوم التربوية والنفسية (مطاوع، ١٩٨٠).

أصول التربية الإسلامية:

إذا كانت التربية تستمد أصولها من مختلف فروع المعرفة، وتختلف من مجتمع لآخر حسب طبيعة المجتمع، والقوى والعوامل الثقافية التي تشكله، فإن التربية الإسلامية تُشتق من مصادر التشريع الإسلامي، وعليه يمكن تعريف أصول التربية الإسلامية بأنها الأسس والمبادئ التي يبنى عليها تطبيق تربوي سليم، والمشتقة من مصادر التشريع الإسلامي، والتي تسهم في بناء الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب الإيمانية والعقلية والجسمية والروحية والنفسية والجمالية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والجنسية، وغيره من جوانب الشخصية الإسلامية.

حيث يتضمن القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وكذلك حياة السلف الصالح، مجموعة من الآداب والمعارف والقيم والأفكار والمهارات والسلوكيات، الكفيلة ببناء وتربية الشخصية المسلمة من جميع الجوانب، تربية متوازنة تستوعب المادة والروح، وحاجات الفرد ومطالب المجتمع، والدنيا والآخرة، وتؤهل المسلم لأن يقوم بحق الخلافة في الدنيا، فيعمر الكون وفق ما شرع المولى عز وجل، ويسعد بجنة الخلد في الآخرة، وفيما يلي شرح لأهم مجالات أصول التربية الإسلامية.

أولاً: أصول التربية الإيمانية في الإسلام

تعد التربية الإيمانية بمثابة القلب من أنواع التربية الأخرى، لأنها تكسب صاحبها رؤية واضحة عن الهدف من وجوده، وتساعده على الاضطلاع برسالة سامية في حياته، فالإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه، ذلك أن الإنسان هو أشرف وأكرم مخلوق على سطح المعمورة، يقول عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴾[1]، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان، ومن ثم كانت التربية الإيمانية التي تهدي الإنسان إلى عقيدة التوحيد، هي أجل نعم الله تعالى على الإنسان.

وقد عني القرآن الكريم عناية كبيرة بعقيدة التوحيد في السور المكية، باعتبارها نقطة الخلاف الأولى بين دعوة الإسلام وأوهام الجاهلية، يقول سبحانه: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ(٤) أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ(٥)﴾[2]، ومن هنا أقام القرآن الدليل الناصع على فساد عقيدة الشرك، ونادى البشر جميعاً، ليعبدوا إلها واحداً في ذاته وصفاته لا ند له ولا شريك، ولا صاحبة له ولا ولد، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ(١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ(٢) لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ(٣) وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ(٤)﴾[3] (عبد الواحد، ١٩٨٦).

وهي عقيدة تملأ القلب ولها آثارها التربوية على الإنسان، الذي يصبح الله ورسوله أحب إليه من كل شيء، يقول المصطفى ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة ص، الآيتان: ٤-٥.

(٣) سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤.

أحب إليه من والده وولده ونفسه التي بين جنبيه والناس أجمعين» (رواه البخاري)، وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ وقال يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: والذي بعثك بالحق لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال ﷺ «الآن يا عمر، أي الآن تم إيمانك»

وقد انتصر الإسلام في عصوره الأولى، مع قلة عدد المسلمين وقلة عتادهم، لقوة إيمانهم بالله تعالى، ورسوخ العقيدة الإسلامية في نفوسهم، وتغلغلها في دمائهم، فكانت عقيدتهم راسخة كرسوخ الجبال، فانتصروا بالإيمان والعقيدة والعمل والإخلاص والشجاعة والإقدام، فكانوا أصحاب أعمال مجيدة وهمم عالية وأخلاق سامية ونفوس أبية، فخضعت لهم الأمم القوية، ودانت لهم الأمصار، وكان النصر حليفهم، لأنهم تربوا في مدرسة محمد ﷺ، فدافعوا عن دينهم وعقيدتهم وإيمانهم بكل غال ونفيس، بالنفس والمال والأهل والولد، وكان هدفهم إعلاء كلمة الله عز وجل (علي،٢٠٠٧)

وقوة الإيمان ورسوخ العقيدة الإسلامية، في نفوس المسلمين صغارا كانوا أو كبارا، يتطلب فهما صحيحا لهذه العقيدة، وهو مجال عمل المربي الذي يضطلع بمسؤولية التربية الإيمانية، فيعمد إلى النبع الصافي المتمثل في القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ، لبناء عقيدة صحيحة، فضلاً عن تقديم نماذج من حياة السلف الصالح، باعتبارهم القدوة والمثل الذي يضرب من أجل الإقتداء بهم، في رسوخ عقيدتهم وقوة إيمانهم، وتحملهم الصعاب من أجل المحافظة على دينهم، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

كما لا تقتصر التربية الإيمانية على العقيدة فحسب وإنما أيضا لابد من تربية النشئ على الشريعة باعتبارها فرع العقيدة، فكل من العقيدة والشريعة لهما دور في إعداد الإنسان المسلم ولابد من أن تأخذ العقيدة والشريعة حظهما من التحقق والوجود في عقل وقلب وحياة الإنسان، حيث تمثل العقيدة الجانب النظري، وتمثل الشريعة الجانب العملي الذي ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بغيره من الناس أو

الكون من حوله، وقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة بالايمان وعن الشريعة بالعمل الصالح، حيث يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا (١٠٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلا (١٠٨)﴾[1]

وينطلق المربي في بناء عقيدة الأبناء أو المتعلمين، وغرس لبنة الإيمان في نفوسهم، بتوضيح معنى الإيمان الذي يشير إلى التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة، ويبين لهم أنه اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، وأنه إيمان بأن الله تعالى حي قيوم عليم حكيم سميع بصير قوي عزيز، وأنه تعالى الرزاق ذو القوة المتين، وأنه فعال لما يريد، وأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وهو إيمان بالملائكة وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، وإيمان بالكتب السماوية وأنها منزلة من الله تعالى، وإيمان بالرسل وبأنهم بشر يبلغون رسالات ربهم، وإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب ونعيم وعذاب، وإيمان بالقدر وأنه من عند الله تعالى (القرني، ٢٠٠٢).

ومن المهم أن يبين المربي، أن هذا المفهوم للإيمان، يمثل العقيدة التي أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله، وجعلها وصية في الأولين والآخرين، وهي عقيدة واحدة، لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام، يقول سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...﴾[2]، كما يبين المربي أن أصول العقيدة وقواعد الإيمان واحدة في جميع الأمم، بينما فروع الدين والتشريعات العملية، هي التي تختلف من أمة لأخرى، وفقاً للظروف والأحوال، يقول جل شأنه: ﴿... لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَة وَمِنۡهَاجاۚ ...﴾[3] (سابق، ١٩٩٢).

وإذا كان الأبناء في سنوات عمرهم الأولى يسألون الأسئلة الفلسفية الكبرى، كأن يقولون من هو الله وأين يعيش وما هو العرش ومن أين جئنا، وغيره من الأسئلة التي تشير إلى أن الأبناء يتلمسون طريقهم في معرفة الهدف من وجودهم، كما أنهم يعبرون عن الفطرة الكامنة في أعماقهم والمرتبطة بوجود الله سبحانه، ولأن معرفة

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧- ١٠٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

الله هي التي تقود إلى معرفة سر الوجود الإنساني، فلابد من إجابات مقنعة للأبناء وخاصة في مراحل عمرهم الأولى، ولأن حقيقة الذات الإلهية لا يمكن للعقل البشري معرفتها، لأنه لم يعط أدوات إدراكها، فالذات الإلهية لا تحيط بها الأفكار، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[(١)]، إلا أن قصور العقل وعجزه عن إدراك حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها، كما أن عجز الإنسان عن إدراك حقيقة الذات الإلهية لا يعني أنها غير موجودة.

وإذا كان كل شيء في هذا الكون، شاهد على وجود الله تعالى، إلا أن التربية الإيمانية للإنسان تحتاج إلى أساليب مقنعة، تقوده إلى حقيقة وجود الله عز وجل، حيث يستخدم المربي أساليب الحوار والمناقشة ودعوة الأبناء إلى استخدام عقولهم، والتفكر في الكون من حولهم، ويبين لهم أن ثمة فروض ثلاثة في تفسير الأصل الذي صدر عنه الكون، وهي إما أنه صدر من العدم، أو أنه صدر صدفة، أو أن هناك خالق وموجد لهذا الكون، ويعمد المربي مع ابنائه إلى تحليل كل فرض على حدة، وفيما يلي توضيح ذلك (سابق، ١٩٩٢).

(١): يناقش المربي مع ابنائه، فرض أن الكون صدر من العدم، ويعرض عليهم أن الأسباب لابد أن ترتبط بالمسببات، وأن النتائج ترتبط بالمقدمات، ويناقشهم ليصل معهم إلى أنه لا مسبب دون أن يسبق بسبب، ولا نتيجة من غير أن يكون لها مقدمات، ومن ثم فإن وجود الكون من العدم، يعني وجود المسبب دون سببه، والنتيجة دون مقدماتها، ووجود الأشياء من نفسها منقطعة عن أسبابها محال عقليا وواقعيا، لأنه يشير إلى أن العدم سبب الوجود، وهذا لا يقبله العقل وهو غاية البطلان، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

(٢): يحاور المربي المتعلمين عن مدى صحة الفرض الثاني، الذي يرى أن الكون صدر عن الصدفة، ويستعرض معهم الكون بكل مافيه من مخلوقات، وبكل ما فيه من نظام دقيق، ويسألهم هل الصدفة يمكن أن تخلق ذكر وأنثى وتؤلف بينهم، هل الصدفة قادرة على خلق الأرض، وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

وهل الصدفة هي التي وضعت الأرض في مدارها المحدد حول الشمس، والتي إذا ما اقتربت قليلا من الشمس لاحترقت وأحترق من عليها، والتي إذا ما ابتعدت قليلا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

لتجمدت وتجمد من عليها، وهل الصدفة هي التي أوجدت المجرات بهذه الدقة المتناهية، وهنا يخرج المربي بنتائج الحوار، التي تقر بأن الصدفة لا يمكن أن تخلق هذا الكون، بكل ما فيه من دقة ونظام، وبهذا يصل المربي مع أبنائه أو تلاميذه إلى رفض الفرض الأول وكذلك رفض الفرض الثاني، ومن ثم يصل بهم ومعهم إلى الإيمان بحقيقة الخلق، وأن لهذا الكون خالق مدبر هو الله سبحانه وتعالى.

ويتوجب على المربي هنا أن يحذر الأبناء من أن يكونوا من الذين يشبهون الله تعالى بالحوادث، لأن الله سبحانه لا يشبهه أحد في ذات ولا في صفات، يقول جل شأنه: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، وعلى المربي أن يعلم الأبناء قول الشاعر:

هــو أول هــو آخــر هــو ظــاهر	هــو بــاطن لــيس العيــون تــراه
حجبتــه أســرار الجــلال فدونــه	تقــف الظنــون وتخــرس الأفــواه
صــمد بــلا كــفء ولا كيفيــة	أبــدا فمــا النظــراء والأشبــاه
ســبحان مــن عنــت الوجــوه لوجهــه	ولــه ســجود أوجــه وجبــاه
مــا كــان يعبــد مــن الــه غيــره	والكــل تحــت القهــر وهــو إلــه

وعلى المربي أن يسوق لابنائه المتعلمين من القرآن الكريم، الأدلة العقلية والكونية على وحدانية الله عز وجل، ويناقشهم فيها ويسمع لآرائهم، ويبين لهم فقه الآيات الدالة على عقيدة التوحيد، لترسيخ أركانها في نفوس المتعلمين والأبناء، وذلك من خلال قول الله عز وجل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَة كَمَا يَقُولُونَ إذا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلا ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَد وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إذا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾[4] (عبد الواحد، ١٩٨٦).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١-٩٢.

وعليه فإن التربية الإيمانية تغرس في المسلم، بذور العقيدة والإيمان الحق، الذي يدفع إلى السلوك القويم، وذلك باستثمار ما وهبه الله لكل إنسان من فطرة سليمة نقية، مهيأة لقبول الخير والحق، يقول عز وجل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، (هاشم، ١٩٩٧)، ويحذر المصطفى ﷺ من انحراف الفطرة عن طريقها المستقيم، وذلك من خلال ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» (رواه البخاري).

ومن ثم فإن كل مولود يولد على الفطرة الإيمانية، وهي الفطرة التي عرفها أبو هريرة بقوله: أنها الاستعداد للتوحيد، وذلك مصداقاً لقول المولى عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[2]، وهي شهادة للإنسان على نفسه عندما كان في عالم الذر، بأن الله تعالى وحده لا شريك له هو الرب، وهي حجة على الإنسان يوم القيامة، وبعد هذا الاستعداد الفطري للتوحيد، يأتي دور البيئة المربية، والتي ينبغي أن تحافظ على هذه الفطرة، طاهرة نقية على دين التوحيد.

هذا ويقدم القرآن الكريم أدلة عملية، من خلال عرض عناية الرسل والأنبياء بتربية أبنائهم على الإيمان، ومن ذلك قول المولى عز وجل:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[3]، بل ويحرص يعقوب على التأكد من ثبات عقيدة التوحيد لدى أبنائه، في قول الله عز وجل: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰها وَٰحِدا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[4]، وهذا لقمان يرعى إبنه فيوصيه: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّة مِّنْ خَرْدَل فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِير﴾[5]، الأمر الذي

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٦.

يتطلب الاقتداء بهم في تربية الأبناء على عقيدة التوحيد، والتأكد من حقيقة إيمانهم ومدى تأثيره على سلوكهم.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه تحفة المودود في أحكام المولود، أنه إذا كان وقت نطق الأبناء يجب تلقينهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيكون أول ما يقرع أسماعهم توحيد الله عز وجل، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا، وعليه فالمربي المسلم لابد أن يهتم بتربية أبنائه على عقيدة التوحيد، ويعلمهم قول الله عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيك فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[1] (سويد، ١٩٩٤).

وتقتضي التربية الإيمانية تدريب الأبناء والمتعلمين على ذكر الله، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2] ، ويعتب الله سبحانه على الذين آمنوا تأخر استجابتهم، وعدم خشوع قلوبهم لذكر الله تعالى، كما يحذرهم من الغفلة وقسوة قلوبهم، وما يترتب عليها من فسوق وعصيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِير مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3] (علي، ٢٠٠٧).

كما يكون على المربي أن ينمي لدي المتعلمين، القدرة على الإستقصاء، والنظر إلى السماء وارتفاعها، والشمس وشعاعها، والأرض وأقطارها، والبحار وأمواجها، والفصول وأزمانها، وما هو ظاهر وكامن، وما هو متحرك وساكن، وما هو مستيقظ وراقد، وما هو راكع وساجد، ويدعوهم للتفكّر في قول الشاعر:

قل للطبيب تخطفته يد الردى	يا شافي الأمراض من أرداكا؟
قل للمريض نجا وعوفي بعدما	عجزت فنون الطب من عافكا؟
قل للصحيح يموت لا من علة	من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة	فهوى بها من ذا الذي أهواكا؟

(١) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.

بـل سـائل الأعمى خطـا بـين الزحـام ... بـلا اصـطدام مـن يقـود خطاكـا؟
وإذا تـرى الثعبـان ينفـث سـمه ... فاسـأله مـن ذا بالسـموم حشـاكا؟
واسـأله كيـف تعـيش يـا ثعبـان أو ... تحيـا وهـذا السـم يمـلأ فاكـا؟
وأسـأل بطـون النحـل كيـف تقـاطرت ... شـهدا وقـل للشـهد مـن حلاكـا؟
بـل سـائل اللـبن المصـفى كـان بـين ... دم وفـرث مـا الـذي صـفاكا؟

كما تشتق التربية الإيمانية من سنة المصطفي ﷺ، الذي سار على نهج الرسل من قبله، فراح يغرس العقيدة في نفوس أصحابه، بتوجيه الأفكار ولفت الأنظار وإيقاظ العقول وتنبيه الفطرة، وتعهد هذه الغراس بالتربية والإرشاد حتى بلغ الغاية من النجاح، ونقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله إيمان ألوهية، لا إيمان ربوبية فحسب، واستطاع محمد ﷺ، أن يجعل أصحابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير، وقد أفلح في بناء جيل من الفاتحين الذين كانوا يعتزون بعقيدتهم، فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية للناس.

فقدم هذا الجيل نموذجاً عملياً، فكانوا قادة الإيمان للبشرية، وكانوا أعلام الهدى ومصابيح الدجى وخير مثال يحتذى، تصاغرت أمامهم قوى الأرض وأقبلت عليهم الدنيا صاغرة، فأخذوها بحق الله تعالى، وما أخذت من إيمانهم شيئا، فهذا الصحابي الجليل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، يقول للدنيا مخاطباً لها وقد أقبلت عليه بزينتها وزخرفها، وقد جاءته أموال الغنائم من كل البلاد، يقول: «يا دنيا أبي تعرضت أم لي تشوفت؟ هيهات هيهات غري غيري، قد بنتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق» (الجوزي، ١٩٩١).

الآثار التربوية لغرس عقيدة التوحيد:

إن حكمة الله واضحة جلية، من جعل الإيمان عاماً خالداً، في كل الأجيال، وفي كل العصور، فما من أمة خلت إلا وبعث الله عز وجل لها نبياً، يدعوها لعقيدة التوحيد والإيمان الخالص لله عز وجل، وكانت تأتي هذه الدعوة في معظم الأحيان، بعد الشرك وانحراف الإنسان عن عبادة الله عز وجل، وبعد فساد الضمير الإنساني،

وانتشار الرذيلة واختفاء الفضيلة، وتفشي الظلم، وتحطم كل القيم والمثل والفضائل، ويصبح الإنسان أحوج ما يكون إلى معجزة تعيده إلى فطرته السليمة، ليعبد الله تعالى ويعمر الكون وينشر الخير، فيبعث الله تعالى الأنبياء والرسل، لإعادة تربية الناس من جديد على عقيدة التوحيد، ومن ثم إعادتهم مرة أخرى إلى الطريق المستقيم، فيهتدي الناس وتعود لهم الحياة من جديد، ويشرق نور الإيمان في نفوسهم، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِج مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

ولقد جعل الله عز وجل، عقيدة التوحيد عامة للبشر على مر الدهور، لما لها من آثار تربوية متنوعة، تعود بالنفع على الأفراد والمجتمعات، ذلك أن معرفة الله وتوحيده والإيمان به، يفجر طاقات الإنسان ويوقظ لديه حواس الخير، ويربي فيه ملكة المحاسبة والمراقبة لسلوكه، ويبعث على طلب معالي الأمور، وينأى به عن الانحرافات، كما أن الإيمان بالملائكة يزيد من تحمل الإنسان للمسؤولية، فلا يصدر منه إلا ما هو حسن، والمعرفة بالكتب السماوية تطلع الإنسان على المنهج الرباني فيلتزم طريق الإستقامة والرشاد، فيعمل وفقاً لمنهج الله، ويربي نفسه على طاعته، أما المعرفة بالرسل والإيمان بهم، يجعل الإنسان يترسم خطاهم ويتأسى بأخلاقهم، كما أن الإيمان باليوم الأخر باعث للإنسان على فعل الخير والعمل لهذا اليوم، والإيمان بالقدر خيره وشره، يزود الإنسان بطاقات من الأمل وعدم اليأس وحسن الظن بالله تعالى، فتهون في عينة الأحداث الجسام، ويتحدى بإيمانه الصعاب (سابق، ١٩٩٢).

وعليه فإن التربية الإيمانية تسهم في بناء جيل صالح، لديه فهم عميق للعقيدة، التي تبعث فيه جملة من المعاني والقيم الإيجابية، فعندما ترتبط النفس الإنسانية بخالقها، رغبة ورهبة وإجلالا، فإنها تستمد منه سبحانه أسباب القوة والعزة، والأمن والطمأنينة والشجاعة، فيتحرر من الخوف والجبن والطمع والاستكانة، فلا يخشى إلا الله ولا يرجو سواه، وهذا الإيمان هو الذي يجعل حركة الإنسان وسلوكه في مضمار الكون محراب عبادة، لأنه يتوجه في كل عمل يقوم به لمرضاة الله سبحانه، فيعطي العمل قيمته الحقيقية من حسن الأداء وسلامة القصد، فتنعكس ثماره على واقع المسلم حياة طيبة مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ مَنْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

عَمِلَ صَٰلِحا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِن فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰة طَيِّبَةۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1] (الشلول،٢٠٠٥).

بل ومن ثمار التربية الإيمانية، أنها تُحي في روح الإنسان المسلم إرادة التغيير والتطوير، من خلال العمل الجاد المثمر، فالعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، لأن الإيمان حقيقة إيجابية متحركة، ما أن تستقر في الضمير حتى تسعى إلى التطوير والتعديل والتغيير، وتصبح النفس المؤمنة في حالة حركة مستمرة، لتطوير ذاتها وتحسين حال الآخرين.

وكذلك من الآثار التربوية لعقيدة التوحيد، أنها تحرر الإنسان من كل عبودية إلا لله سبحانه وتعالى، كما تحرر الإنسان من الخوف، إلا من الخالق سبحانه، لأن الإيمان الصادق يجعل الإنسان آمنا إذا خاف الناس، مطمئنا إذا قلق الناس، هادئا إذا اضطرب الناس، كما تمنح عقيدة التوحيد للمسلم قوة نفسية هائلة، لما تمتلئ به نفسه من الرجاء في الله تعالى والثقة به سبحانه، والتوكل عليه والرضا بقضائه، كما ترسم عقيدة التوحيد دائرة كاملة للمجتمع والفكر الإنساني، قوامها سيادة الإنسان للكون، وفق شرع الله عز وجل، وفيها تلتقي القيم الروحية مع القيم المادية، ويرتبط القلب بالعقل، والدنيا بالآخرة، كل ذلك في إطار من الوحدة والتناغم وفق ما جاء به التشريع الإسلامي. (علي،٢٠٠٧).

ويأتي من بين الآثار التربوية لعقيدة التوحيد، غرس محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، في نفوس الكبار والصغار، فبها تستقيم عقيدة التوحيد، وبها تتحقق شهادة أن «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ولقد كان الصحابة يربون أطفالهم على محبة الرسول ﷺ، فكانوا يشجعونهم على مبايعة الرسول ﷺ، أخرج مسلم عن عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، أنهما قالا: خرجت أسماء بنت أبي بكر، حين هاجرت وهي حبلى، فقدمت قُبا فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ ليحنكه، فأخذه الرسول ﷺ منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة، قالت عائشة: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها ثم وضعها في فمه، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله ﷺ، ثم مسحه وصلى عليه وسماه عبد الله، ثم جاء ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره الزبير بذلك، فتبسم رسول الله ﷺ

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

حين رآه مقبلا إليه ثم بايعه». (شرح مسلم)، وهي مبايعة تبريك وتشريف لا بيعة تكليف فإنه دون سن التكليف.

واستناداً على ما سبق فإن تربية الأبناء على عقيدة التوحيد، وإحساسهم بأن الله سبحانه معهم لا يفارقهم، تغرس في نفوسهم محبة الله، ومراقبته تعالى في السر والعلن، وتبغض إليهم المعصية، وقد ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين، أن سهل بن عبد الله التستري، قال: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوما: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت كيف إذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، «الله معي، الله ناظري، الله شاهدي».

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنه قال لي خالي احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوما: يا سهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، فبعثوا بي إلى الكتاب فحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة (الغزالي، ١٩٩٤).

وأورد الرازي في تفسيره صوراً تربوية من رؤية الإنسان للحياة من حوله، وإيمانه بوجود الله تعالى، فقال: هجم بعض الناس على أبي حنيفة يريدون قتله، فقال لهم: أجيبوني عن مسألة ثم أفعلوا معي ما شئتم فقالوا له: هات ما عنك، فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأثقال وقد احتوشها في لجة البحر، أمواج متلاطمة ورياح مخيفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟، قالوا هذا شئ لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر، مستوية من غير متعهد ولا مُجر، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا، على إختلاف أحوالها وسعة أطرافها، وتباين أكفافها من غير صانع حافظ؟ فبكوا جميعاً وتابوا وقالوا صدقت. (الرازي، ١٩٩٠)، وهذه الصورة التربوية يمكن أن يستخدمها المربي ليدلل بها على وجود الخالق سبحانه.

ومن آثار التربية الإيمانية، أن المؤمنين بالله إيماناً حقيقياً، أعلى من غيرهم علماً، وأكثر أدباً وأزكى نفساً، وأطيب قلباً وأكثر تضحية، وأعظم إيثارا وأنفع الناس للناس، وهنا يتساءل المربي ليثير اهتمام أبناءه وتلاميذه، ما الذي غير طباع المؤمنين ونفوسهم؟ وما الذي جعلها تتجه نحو العدل والحق والخير والجمال؟ ويعطي لهم فرصة الحوار ليكتشفوا، إنه نور الإيمان بالله، الذي يمدهم بقوى تصحح إنسانيتهم، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يقول سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم ﴾[(١)]، وهو نور يرتبط بالقوى الروحية الخفية، التي تعمل عملها في صمت، وتظهر آثارها جلية في سلوك المؤمنين، فيبسطوا الخير والفضيلة للناس جميعاً.

إنه نور الإيمان الذي يخلص النفس من البخل والحرص والطمع، ويمدها بالجود والعزة والعفة والإيثار، ويوقن المؤمن أن واهب العمر هو الله تعالى، وأنه لا ينقص بالإقدام ولا يزيد بالإحجام، إنه نور الإيمان الذي يقود المؤمنين إلى برد الراحة وحلاوة اليقين والثبات عند الخطوب، لأنهم يرون يد الله ممدودة إليهم، فلا يتسرب إلى قلوبهم الجزع ولا يعرفون اليأس، يقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[(٢)]، بل وتنعم نفوسهم بالسكينة والهدوء مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيما ﴾[(٣)] (سابق، ١٩٩٢).

ثانياً: أصول التربية العلمية في الإسلام

مقدمة:

تأتي أصول التربية العلمية في الإسلام، مباشرة بعد أصول التربية الإيمانية، انطلاقاً من الترابط الوثيق بين التربية الإيمانية والتربية العلمية، حيث يلتقي كلاهما في المستوى الروحاني، فالإيمان بالخالق سبحانه يضيء للإنسان طرائق العلم، والعلم بالكون وأسراره وقوانينه وما به من مخلوقات، يضيء للإنسان طريق الإيمان بالله

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٤.

تعالى، وإذا غاب أحدهما ضل الآخر، فالعلم الذي يقوم على معرفة الكون، دون إيمان بخالق هذا الكون ومدبره، يطلع الإنسان على عالم مادي لا يدرك مقاصده، كما أن الإيمان بدون علم، هو في جوهره مجرد تقليد، لا يرتضيه الإسلام الذي أكد على أهمية العلم وضرورته للإنسان.

حيث جعل الإسلام معيار وجود الإنسان وتقدمه ونهضته مرتبط بالعلم، وبيَّن في القرآن الكريم أن الإنسان القوي هو الإنسان العالم الحكيم، والإنسان الضعيف هو الإنسان الذي لا يملك العلم، والدنيا بأسرها لم تعرف دينا ولا نظاما عني بالعلم ورفع من شأنه مثل الإسلام، متمثلا في القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ وحياة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، حيث وردت كلمة العلم ومشتقاتها في القرآن الكريم، نحو أربعمائة مرة، وكلمة الكتابة ومشتقاتها نحو ثلاثمائة مرة، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو خمسين مرة، فضلاً عن تكرار أو جود كلمات الفقه والفكر والتفكر والتدبر والعقل(رسلان، ٢٠٠٠) .

التربية العلمية في القرآن الكريم:

إن المتأمل لأول آيات نزلت على محمد ﷺ والتي يقول فيها المولى سبحانه: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ(١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (٥)﴾[(١)]، يجد أن الآيات تخاطب المصطفى ﷺ بالقراءة والتعلم، وهو أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، في أول لقاء مع الوحي، وفي أول درس من دروس الإيمان، وهو درس يربط بحبل متين بين الإيمان والعلم، فيجعل القراءة والكتابة أساساً لصلة البشر بخالقهم، وهذا الأمر بالقراءة وضع الأساس للتربية العلمية، التي بها يعرف الإنسان مكانه في هذا الكون، ويعرف قدر خالق الكون سبحانه، والإيمان والعلم لا يكتملان إلا إذا ارتبطا باسم الله تعالى، الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفضله بالعقل على سائر المخلوقات.

وتؤكد آيات القرآن الكريم على بناء وتربية عقل الإنسان، فيدعوه للتفكر مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰما وَقُعُودا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَ ٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَـٰذَا بَـٰطِلا سُبۡحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

ٱلنَّارِ ﴾[1]، ويدعوه للنظر فيقول تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ... ﴾[2]. ويدعوه إلى التبصر فيقول سبحانه وتعالى في محكم آياته: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[3]، وهكذا تتوالى الآيات القرآنية داعية عقل الإنسان للنظر والتدبر والتفكر في مظاهر الحياة والكون وأسراره، مستخدما حواسه في التعلم، ليصل ببصيرته إلى وجود الله تعالى، لذلك ينعي سبحانه على هؤلاء الذين لم ينتفعوا بحواسهم فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾[4].

ولقد رفع الله جل شأنه درجات أهل العلم، كما رفع درجات أهل الإيمان، فقال سبحانه: ﴿... يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[5]، كما يجعل سبحانه العلم أخص صفات كتابه، فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[6]، بل ويشير سبحانه إلى العلماء بأنهم أشد خشية وأعظم إجلالا لله تعالى بفضل علمهم، فيقول تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا يَخۡشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ العُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[7]، كما قدر الإسلام العلم وعظم أهله لدرجة أن الله يقرن شهادة أهل العلم فيما يخص وحدانية الله جل شأنه، إلى شهادته لنفسه وشهادة الملائكة له، يقول سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[8] (رسلان، ٢٠٠٠).

التربية العلمية في السنة النبوية:

وللعلم في سنة المصطفى ﷺ مكانة سامية ودرجة رفيعة، فجعل ﷺ العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقال ﷺ: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٢.

(٧) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة» (رواه أحمد)، كما قال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (رواه الترمذي)، وقال ﷺ: «منهومان لا يشبعان، صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان» (رواه الدارمي)، وقال ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم)، كما قال ﷺ : «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم» (رواه ابن ماجة)، ثم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم).

كما يشبِه المصطفى ﷺ العلم بالغيث، فإذا كان الغيث يحيي الأرض، فالعلم يحيي القلوب، فيقول «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا منها نقية قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، كذلك مثل من فقه ونفعه ما نفعني الله به فعلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (رواه البخاري).

ودعا الرسول ﷺ لمستمع العلم وحافظه ومبلغه، عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه وبلغه غيره، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله تعالى، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، وقال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له» (القرطبي، ١٩٦٨).

وكان ﷺ يحث أصحابه على نشر العلم وتبصير الآخرين به، فعن علقمة بن سعد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن أبزى قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فحمد الله وأثني عليه، ثم ذكر طوائف من المسلمين فأثنى عليهم خيرا، ثم قال «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم؟ ولا يعلمونهم ولا يفطنونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا

يتفطنون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويتفقهون ويتفطنون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا».

ثم نزل ودخل بيته فتساءل القوم: من ترونه عني بهؤلاء؟ قالوا نراه عني الأشعريين فهم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من الأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرت قوما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال ﷺ: «ليفقهن قوم جيرانهم وليفطننهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفطنون ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا»، فقالوا يا رسول الله أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم، فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً، فقالوا أمهلنا سنة فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويفطنوهم (أبو غدة، ١٩٩٧).

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه الترمذي).

وهذا علي بن أبي طالب يؤكد فضيلة العلم، عن كميل النخعي قال: أخذ بيدي على بن أبي طالب كرم الله وجهه، فخرج بي إلى ناحية الجبانه فلما أصحر تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون، لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق، يا كميل محبة العلم دين يدان، به تكسب الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر (الأندلسي، ١٩٩٠).

وأنشد علي بن أبي طالب يقول:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لأن إستهدى أدلاء
وقدر كل إمرئ ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا   الناس موتى وأهل العلم أحياء

والعلم المقصود هنا هو العلم الشرعي والعلم الدنيوي معا، أي هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق من شيء، ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون، يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ... ﴾[1]، فالعلم في الإسلام يتناول كل موجود، فهو علم أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر، لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام، إذ أن خير عبادة لله أن يهتدي الإنسان إلى سر الله في خلقه، وأن يعرف حقائق الوجود في نفسه ومن حوله، ولهذا قال الرسول ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»، كما قال ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (العقاد، ١٩٩٨).

وعليه فإن العلم بمفهومه المعاصر وهو العلم المادي، القائم على المشاهدة الحسية والتجربة، هو علم له قيمته والناس في حاجة ماسة إليه، ولكنه مطلوب طلب الوسائل وليس طلب الغايات، فهو يعين الإنسان على الحياة، وييسر له سبلها ويختصر له الزمان ويطوي له المكان، ولكنه وحده لا يسعد الإنسان، كما أنه لا يمكن أن يضبط سير البشر، ومقاومة أنانية الإنسان ونزعات نفسه الأمارة بالسوء.

لذا كان الإنسان في حاجة ماسة إلى العلم الديني، الذي ينمي الإيمان ويحي الضمائر، ويغرس الفضائل، ويقي الإنسان شح النفس وطغيان الغريزة على العقل، والهوى على الضمير، وهذا الذي يعصم «العلم المادي» من الانحراف، ويحول دون استخدامه في التدمير والعدوان، وقد ضرب لنا القرآن مثلاً بسليمان عليه السلام عندما أحضر عرش بلقيس من سبأ باليمن إلى مقره بالشام، قبل أن يرتد إليه طرفه، بفضل ذلك الذي وصفه القرآن بأنه «عنده علم الكتاب»، وهنا تجلى الإيمان حين رد

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

سليمان الفضل إلى الله لا إلى نفسه، وقال: ﴿ ... هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ ... ﴾[1]

العلاقة بين التربية العلمية والتربية الإيمانية:

إلا أن العلم المادي وحده بدون إيمان صحيح، تتحول معه أدوات العلم إلى آلات تقتل وترهب، وإلى معاول هدم وتدمير، ويتحول العلم وأدواته إلى أسلحة فتاكة وغازات سامة وأسلحة بيولوجية، تنشر الخراب والدمار والموت في كل مكان، وتشيع الخوف والرهبة بين الناس، نعم لقد استطاع العلم أن يضع قدم الإنسان على سطح القمر، ولكنه لم يملك أن يضع يده على سر وجوده وغاية حياته، كما أصلح العلم ظاهر الإنسان، وعجز عن إصلاح باطنه، لم يستطع أن ينفذ إلى تلك «اللطيفة الربانية» المدركة الواعية، الشاعرة الحساسة، التي إذا صلحت صلح الإنسان كله، وإذا فسدت فسد الإنسان كله، ألا وهي القلب أو النفس أو الروح، سمها ما شئت فهي حقيقة الإنسان، إنتصر العلم على كثير من قوى الطبيعة، لكنه لم يعط الإنسان ما ينتصر به على شهواته وخوفه وصراعه ونفسه، الأمر الذي يؤكد أن التربية العلمية لا تستقيم بدون تربية إيمانية.

فالتربية العلمية والتربية الإيمانية في الشريعة الإسلامية، وجهان لعملة واحدة، لأن الإيمان في جوهره يرتبط بالعلم، وهو لا يعتمد على الوجدان وحده، بل يقوم على النظر والتفكر والبرهان، ويرفض التقليد والظن واتباع الهوى، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[2]، كما أن العلم في جوهره يرتبط بالإيمان، وجعله الرسول ﷺ فريضة على كل مسلم ومسلمة، بل إن تحصيل العلم النافع، سواء كان علما شرعياً أو علماً دنيوياً، فهو عبادة وجهاد في سبيل الله تعالى.

وعليه يمكن القول أن التربية العلمية في الإسلام، تربط بين ما هو كوني مادي وما هو روحي ديني، وتشجع طلاب العلم على تعلم كل أنواع العلوم وكل مجالاتها، التي تسهم في خدمة الإنسان والارتقاء بقدره في الدنيا والآخرة، وليس معنى ذلك أن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

القرآن اشتمل على كل العلوم التي استجدت في هذا العصر جملة وتفصيلا، وإنما أتى القرآن بأصول عامة لكل ما يلزم الإنسان معرفته، لصلاح دينه ودنياه، وترك للمشتغلين والمتخصصين في مختلف العلوم، البحث في التفصيلات والجزئيات، واكتشاف أسرارها وتفنيدها وإخراجها للإنسان، لتصبح له نبراسا يضيء له طريق العلم، ولتؤدي فائدتها للبشر جميعاً، ويتحقق بها خلافة الإنسان وعمارته للأرض.

وينبه المصطفى ﷺ على أهمية تعليم العلم، وأهمية تعليم العلم الذي يُعمل به، ويؤكد على أنه خير من العبادة بالصلاة، عن أبي ذر الغفاري قال رسول الله ﷺ : " يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة (رواه المنذري والدمياطي)

وجاء في إحياء علوم الدين قول الغزالي: أنه لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير صدق هباء، يقول تعالى : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَل فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآء مَّنثُورًا﴾ (١)، لذا يكون على الإنسان أن يتعلم النية لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص، وهما وسيلة العبد إلى النجاة والخلاص (الغزالي، ٢٠٠٥).

التربية العلمية في حياة السلف الصالح:

تذخر سيرة السلف الصالح بالمواقف الجادة في طلب العلم، فقد روى البخاري في كتابه «الأدب المفرد» في باب المعانقة، أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه، قال: فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرا حتى أتيت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، فخرج إليّ عبد الله بن أُنيس فاعتنقني واعتنقته، قال: قلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم، لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه، فأخذ الحديث وعاد إلى المدينة (البخاري، ١٩٩٧).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: والله الذي لا إله إلا هو، لقد كنت أخرج في طلب العلم في القائلة والناس قائلون في منازلهم، فألتمس العلم عند الأنصار فأجدهم قائلون، فأطرح نفسي عند باب أحدهم في الشمس والريح تسفي عليّ التراب، حتى يخرج الأنصاري عليّ فأسأله الحديث، فيقول الأنصاري: يا ابن عم رسول الله ﷺ ألا أيقظتني لآتيك، قلت: لا أنا آتيك في ساعة لا يوقظ فيها الناس، يقول: إبن عباس رضي الله عنه: «لما أذللت نفسي في طلب العلم، عززت فيما بعد يوم أتى الناس يطلبونه مني».

وهذا هو الإمام أحمد رضي الله عنه، يطوف الدنيا طلبا للعلم، فيسافر إلى بغداد، وإلى مصر وإلى الشام وإلى اليمن، حتى جمع أربعين ألف حديث، ويقول لقد كانت تمر عليّ الليالي لا أجد كسرة خبز، وسمع أن عبد الرزاق بن همام الصنعاني بصنعاء اليمن، فسافر من بغداد ومر في طريقه بمكة ليعتمر، ثم يواصل سيره إلى صنعاء لطلب العلم، وفوجئ وهو يطوف بالبيت، أن أحد زملائه يقول: هذا هو عبد الرزاق يطوف بالبيت، فقد جاء به الله من اليمن فخذ الحديث منه، قال: لا والله لا تكون هجرتي إلا لله عز وجل، وقد قصدت صنعاء، فلن آخذ منه شيئاً حتى يعود إلى اليمن.

وهذا الصحابي الجليل معاذ بن جبل، يقول وقد حضرته سكرات الموت واقترب الوعد الحق، وأتاه اليقين من ربه، يقول وهو ينظر إلى سقف منزله، مناجيا ربه سبحانه وتعالى، اللهم إنك تعلم إني لم أحب الحياة، لغرس الأشجار ولا مجرى الأنهار ولا لرفع القصور ولا لعمارة الدور، وإنما كنت أحب الحياة لثلاث: مزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر، وتعفير وجهي في التراب ساجداً لله تعالى، وصيام الهواجر، فما أعظم هؤلاء الرجال الذين تربوا في مدرسة محمد ﷺ (القرني، ٢٠٠٠).

أما عن آداب علماء السلف الصالح، التي كانوا يراعونها الإنصات إلى المحدث، وإن كان أصغر من السامع، وفي ذلك يقول عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه من قبل، وقد سمعته قبل أن يولد، رحمة الله على هؤلاء العلماء، فقد كانوا مثلاً ونموذجا يحتذي للتواضع، وقدوة تبين لنا كيف تكون العلاقة بين العالم والمتعلم، وكيف يخفض العالم جناحه، ليربي تلاميذه على الثقة في النفس.

كما كان السلف الصالح بالرغم من تواضعهم، يضربون المثل الأعلى في الحفاظ على هيبة المعلم ومكانته، فها هو الإمام مالك بن أنس رحمه الله يقول: «دخلت على الخليفة هارون الرشيد فقال: يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف الينا، حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت أعزك الله إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يُؤتى ولا يأتي، قال صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا من سمع الناس» (المنصور بالله، ١٦٥٨).

وعليه تكون التربية العلمية للأجيال الحاضرة، من خلال معرفتهم لهذه الطاقة الهائلة من الأدب والجد والاجتهاد في طلب العلم، فتحي فيهم روح المثابرة والسعي من أجل تحصيل العلم، اقتداء بالسلف الصالح من الصحابة الكرام وتابعيهم، فلم يدخروا جهداً إلا وبذلوه من أجل تحصيل العلم، مع ملاحظة أنهم طلبوا العلم خالصاً لوجه الله تعالى، لا يبتغون به سمعة ولا رياء ولا جاه ولا سلطان، وإنما رغبة في الدرجات العلا من الجنة، فما أعظم هؤلاء الرجال، وما أحوج الأمة الإسلامية في هذا العصر، إلى أن ترشف من هذا النبع الصافي للسلف الصالح، لتربية الأجيال على آثارهم وأخلاقهم، فينالوا الحظ الوافر في الدنيا والآخرة.

وجدير بالذكر أن التربية العلمية، تهدف إلى بناء العقلية العلمية الموضوعية، التي لا تقبل نتائج بغير مقدمات، ولا تحكِم العواطف والظنون في مقام اليقين والعلم، وقد وضح القرآن الكريم والسنة النبوية، الأصول التي يمكن الاعتماد عليها في بناء العقلية العلمية الموضوعية، ويمكن إيجازها فيما يلي: (القرضاوي، ١٩٩٧).

- ألا تقبل دعوى بغير دليل أو برهان، قال سبحانه: ﴿ ... قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(١)].
- عدم قبول الظن في موضع يتطلب اليقين الجازم والعلم الواثق، قال تعالى:﴿ ... مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[(٢)].
- رفض العواطف والأهواء والاعتبارات الشخصية، حيث يطلب الحياد والموضوعية، ويكون التعامل مع طبائع الأشياء، قال جل شأنه: ﴿ ... فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ... ﴾[(٣)].

(١) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

❖ الثورة على التقليد والتبعية الفكرية للآخرين، حيث ينكر القرآن على الذين يقولون: ﴿ ... بَل نَتَّبِعُ مَا أَلفَينَا عَلَيهِ ءَابَاءَنَآ ... ﴾[1] ويرد بقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾[2].

❖ الاهتمام بالنظر والتفكر وإعمال العقل، فيقول سبحانه: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[3] .

آداب طالب العلم في الإسلام:

على طالب العلم أن يجتهد في إختيار الشيخ أو الأستاذ الذي سيتعلم على يديه، وينبغي أن يختار الأستاذ الأعلم والأسن، والوقور والحليم والصبور، ويجب عليه إحترام شيخه أو معلمه، قال الشافعي رحمه الله تعالى:"كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله تعالى صفحا رقيقا هيبة وإحتراما لئلا يسمع وقعها"، بل ويجب على طالب العلم ألا يخاطب شيخه أو معلمه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه من بعد، ولا يسميه في غيبته إلا مقرونا بما يُشعر بتعظيمه، وأن يعرف لمعلمه حقه ولا ينسى فضله، وأن يعظم حرمته وأن يرد غيبته، كما يجب ألا يدخل على شيخه أو معلمه إلا باستئذان سواء كان المعلم وحده أو معه غيره، فضلا عن طهارة البدن والثياب وخلو قلب الطالب من الشواغل، فيكون صاف الذهن لينشرح صدره لما يقال ويعي ما يسمع (رسلان،١٩٩٣).

إن للمتعلم في زمان تعلمه تذللا، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «ذللت طالبا، فعززت مطلوبا»، وقال بعض الحكماء: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبداً، وليحذر طالب العلم البسط على من يعلمه وإن آنسه، والإدلال عليه وإن تقدمت صحبته، وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «من وقَّر عالماً، فقد وقر ربه»، وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يعرف فضل أهل العلم، إلا أهل الفضل (الماوردي، ١٩٩٣).

ويشير الإمام الشافعي إلى أن النجاح في طلب العلم، لا يكون إلا بالصبر على جفاء المعلم، وأن يستثمر طالب العلم وقت شبابه، وأن يحرص على طلب العلم والتقوى معا، فيقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

تصبر على مُرّ الجفا من معلم — فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق ذُلّ التعلُّم ساعة — تجرع ذُلّ الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه — فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى -والله- بالعلم والتقى — إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ويجب تربية طالب العلم على معرفة أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، وعليه أن يبدأ بأوائل العلم لينتهي إلى أواخره، وبمداخله ليفضي إلى حقائقه، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، لأن البناء على غير أساس لا يبنى، والثمر من غير غرس لا يجنى، كما يجب أن يتحلى طالب العلم بالتواضع، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ليتواضع لكم من تعلمونه»، وعلة عُجب الإنسان بالعلم عدم وعيه بمن هم أعلم منه، قال تعالى: ﴿... نَرْفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[1]، أي فوق كل ذي علم من هو أعلم منه، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى (الماوردي، ١٩٩٣).

ويقدم الإمام جعفر الصادق وصية جامعة لطلاب العلم (أبو زهرة، د.ت)، يقول فيها: يا بني من مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، يا بني من كشف حجاب غيره، انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني قل الحق لك أو عليك، يا بني كن لكتاب الله تالياً، وللإسلام ماشياً، وبالمعروف أمراً وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً، ولمن سكت عنك مبتدئاً، ولمن سألك معطيا، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، وإياك والتعرض لعيوب الناس، يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعا، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمر إلا بأصول، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب، إن زرت فزر الأخيار، ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

ثالثاً: أصول التربية التعبدية في الإسلام

مقدمة:

يقول عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وما كانت عبادة الإنس والجن، من أجل نفع يصل إلى الله جل شأنه من هذه العبادة، فهو سبحانه غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وإنما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم بهذه العبادة، حتى يكونوا أهلاً للقائه سبحانه، وليتجلى عليهم إذا تزكوا بأنوار جلاله، وقد نوَّع لهم سبحانه العباده، فلم يجعلها على وتيرة واحدة حتى لا يملوا، وحتى تتناسب مع طبيعتهم البشرية وقدراتهم واستعداداتهم.

وفَهِم بعض الناس مراد الله سبحانه، وفهموا توجيهاته للبشرية نحو الكمال، الذي يجب أن يصل إليه كل من يرجو لقاء الله جل شأنه، وعلموا أن السعادة في الانضواء تحت اللواء الإلهي، والدخول في الساحات الربانية، فطبعوا الحياة بطابع العبادة، وجعلوا أعمالهم عبادة، وحركاتهم عبادة، وسكناتهم عبادة، بل وأنفاسهم عبادة، وجعلوا من المصنع محرابا، ومن المعمل معبدا، فكانت حياتهم كلها عبادة، وحاولوا جاهدين أن يقتربوا من المثل الأعلى الذي أمر الله سبحانه به رسوله، في قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ(١٦٣)﴾[2] (محمود، ١٩٨٩).

مفهوم العبادة في الإسلام:

العبادة خضوع مشرب بحب، وليست استسلام المغلوب الذليل للظافر، أو إذعان الضائق الخانع للقيد، إنها طاعة المحب لمن يهاب ويجل، وتفانيه فيمن يُقَدس ويُعِز، وهي حالة لا تليق بإنسان إلا مع ربه وحده (الغزالي، ١٩٩٩)، فالعبادة في الإسلام هي منهج حياة، لا يقتصر على مناسك التعبد المعروفة، من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيره، وإنما هي أعمق من كل ذلك، هي العبودية لله وحده، أما سائر الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيره، ما هي إلا محطات يقف عندها المسلم ليتزود بالزاد، ولكن الطريق كله بما يتضمنه من عمل أو فكر، أو

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.

شعور أو سلوك هو عبادة، طالما أنه خالص لوجه الله تعالى ولا يوقع الضرر على أحد، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

العبادة في الإسلام هي منهج حياة، يبين ما ينبغي أن يكون وما لا ينبغي أن يكون، ومرد الأمور كلها في ذلك هو الله، هو المرجع الذي يُرجع إليه في كل أمر، ودستوره هو الدستور الذي يستشار في كل لحظة، يستشار في داخل القلب وفي وعي العقل وفي واقع السلوك، وإيجاد الصلة بين القلب البشري وبين الله جل شأنه، الصلة الدائمة التي تدفع القلب إلى الرجوع لله في كل لحظة، واستشارة دستوره في كل أمر، هو القاعدة الرئيسة للتربية الإسلامية، وإذ يدرك الإسلام هذه الحقيقة فإنه يجعل العبادة هي القاعدة الكبرى، يستمد منها نظام الحياة كله.

كما أن العبادة في الإسلام هي كل عمل يقوم به الإنسان خالصاً لوجه الله عز وجل، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ... (٣)﴾[2]، وهي المظهر الإيجابي للعقيدة، والتجسيد العملي لها، ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة، لكانت عقيدة عقيمة لا دليل عليها ولا أثر لها، كحبة مستقرة في باطن الأرض، لا تنبت ولا تذهر ولا تثمر، ومن ثم فهي بلا قيمة ولا أثر، فالعقيدة من غير عبادة، تظل مجرد نظرية حتى تترجم بالعبادة، وتتحول إلى عمل إيجابي وصادق في الحياة، فتستمد الغذاء والضياء فلا تزبل ولا تنزوي (سبع، ١٩٧١).

وعليه فالعبادة لا تعني أن تستولي التقوى على قلب المسلم في السجود والركوع، فإذا ختم صلاته هبت في داخل نفسه نوازع الطمع والجشع والعدوان والظلم، وإنما العبادة هي السير في الطريق، والقلب يحمل الشحنة الحية الواصلة بينه وبين خالقه، التي تدفع للعمل الخالص لوجه الله تعالى، وتحرص التربية الإسلامية على أن تظل هذه الشحنة حيه متوقدة في قلب المسلم، فتكون الهادي له في الطريق، تهديه في السر والعلن، وتضيئ له كالقبس ظلمات الطريق فلا يتعثر، وإن تعثر فلا يجسم في عثرته، وإنما ينفض عنه التراب ويقوم، مادامت الشحنة حية تضيئ، هذه هي العبادة التي رسمها الإسلام، ويقيم عليها أسسه التربوية، ويشترط فيها الصدق مع الله والتقوى مع الله، والصلة الدائمة بالله (قطب، ١٩٨٩).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢-٣.

الدور التربوي للعبادات في الإسلام:

إستنادا إلى ما سبق فإن مفهوم العبادة، أوسع من مجرد العبادات الظاهرة، المرتبطة بالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية، وإن كانت هذه العبادات من الأهمية بمكان في الإسلام، باعتبارها محطات يقف عندها السائرون في الطريق يتزودون بالزاد، ولكن الطريق كله كما أسلفنا هو عبادة، وكل ما يحدث فيه من نسك أو عمل أو فكر أو شعور هو عبادة، ما دامت الوجهه لله عز وجل، وما دام قد شهد الإنسان، حقاً أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام حياته على أساس النقاء والخير ونفع الناس، وفيما يلي توضيح للدور التربوي للعبادات الظاهرة:

الدور التربوي لعبادة الصلاة:

بين الحين والحين يشق حجاب الصمت السائد في القرى، أو يغالب دوي الضجيج السائد في المدن، صوت جهير واضح الكلمات، إنه ليس صوت ناقوس مبهم مجرد من المعنى، ولا صوت ناي رقيق يداعب العاطفة، إنه صوت يناشد العقل والقلب معا، إنه صوت يعيد إلى الأذهان والمشاعر الوعي بأزكى ما في الحياة من حقائق، إنه يزيح الذهول المسيطر، واللغوب المكدر، إنه صوت يقول للناس أجمعين: الله أكبر.. الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله... إلخ، والصلاة في الإسلام ليست إلا تعبيراً عن شعور العبد نحو ربه (الغزالي، ١٩٩٩).

والصلاة نشاط إنساني يومي يصل المسلم بخالقه، ويجدد هذه الصلة خمس مرات في اليوم، ويرتبط هذا النشاط بتكوين عادات حسنة عند المسلم منذ طفولته، منها التعود على النظافة، وطهارة البدن والثوب والمكان، قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» (رواه أبو داود)، وتنمية المسؤولية والارتباط بالجماعة، كما تعمل الصلاة على تزكية النفس، حيث تُقبل من المسلم الصلاة الكاملة التي تجمع سمات القبول كما حددها الله تعالى ورسوله ﷺ، فإذا كانت في جماعة يأتي إليها المسلم متخليا عن العظمة والاستعلاء والكبر، ويخرج من صلاته بسمته المتواضع، فلا يتعالى على الناس، وبقلبه الخاشع فلا يصر على معصية الله تعالى، ويظل متذكرا خالقه الذي عنت له الوجوه، وسجدت له الجباه، وانقادت له الحياة (علي، ٢٠٠٠).

ومن أهم القيم التربوية، تعليم الصلاة للأطفال ليشبوا ملتزمين بها، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم

بالصلاة وهم أبناء سبع، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه داود)، وكان رسول الله ﷺ: يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة، عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: «علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر، اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت» (رواه أحمد).

كما كان النبي ﷺ يصلى وبجواره الأطفال، فيهتم بتوجيههم وتعليمهم، عن ابن عباس قال: بت في بيت خالتي ميمونه، فتتبعت كيف يصلي رسول الله ﷺ، وعندما قام يصلي جئت فقمت بجانبه عن يساره، قال: فأخذني فأقامني عن يمينه (رواه مسلم)، أرأيت إلى هذه الطفولة التي تهتم بتتبع صلوات حبيبها، فتصلي معه قيام الليل، وأنظر إلى تربية الحبيب المصطفي ﷺ للأطفال، ولاحظ كيف اهتم ﷺ بصلاة الطفل الصغير، فيصحح له ويجعله عن يمينه، بل هكذا كان شأنه ﷺ يصلي مع الكبار والصغار ومع الرجال والنساء، فقد أخرج الإمام أحمد بن أنس رضي الله عنه، أن الرسول صلى بهم، فجعل أنس عن يمينه وأم أنس وخالته خلفهما (رواه الشافعي) (سويد، ١٩٩٤).

ويأتي من أهم الأدوار التربوية للصلاة، دورها المتمثل في دخول المسلم في هذه اللحظات العلوية، التي يتفتح لها القلب البشري، فإذا هو ينتقل من حدود الحس الضيقه، إلى ذلك العالم الذي لا حدود له ترى، ولا ملمس يحس، عالم النور الغامر الذي ليس له حدود، النور الذي تدركه الأرواح، يقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ...﴾[1]، فالصلاة تربط الإنسان بخالقه، فإذا هو كائن عجيب لا يشبهه شيء من خلق الله كله، كائن يقف في الأرض وروحه تسبح في السماء. (قطب، ١٩٨٩).

وانظر لهذه النجوم الساطعة، من السلف الصالح رضي الله عنهم، قال الشيخ ابن ظفر المكي: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رضي الله عنه لما حفظ:

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلا (٢)﴾[1]، قال: لأبيه يا أبت من الذي يقول الله تعالى له هذا؟ قال: يا بني ذلك النبي محمد ﷺ، قال: يا أبت مالك لا تصنع كما صنع ﷺ، قال: يا بني إن قيام الليل خصص به ﷺ، فسكت عنه الطفل، ولما حفظ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَة مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ... ﴾[2]، قال: يا أبت إني اسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل فمن هذه الطائفة؟ قال يا بني: أؤلئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، قال يا أبت: فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ وأصحابه؟ قال صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي (سويد، ١٩٩٤)، إن مثل هذه المواقف يمكن أن يكون لها أبلغ الأثر في تربية الكبار والصغار على الصلاة، وحثهم على قيام الليل.

كما ينبغي اصطحاب الأطفال إلى المساجد، وتدريبهم على الصلوات وخاصة صلاة الجمعة، لما في ذلك من فوائد تربوية متنوعة منها: (سويد، ١٩٩٤).

- عندما يبلغ ويصل إلى سن التكليف يكون معتاداً ومحافظاً على إقامة الصلاة.
- سماع خطبة الجمعة يؤثر على الأطفال فيلتزمون بآداب السماع والتعلم.
- تدريبهم على الالتقاء بجموع المسلمين في المسجد فتتفتح عيناهم على المجتمع
المسلم.
- تشعر الأطفال بأهمية الوقت، وتمدهم بشحنات من الإيمان وطاعة الله عز وجل.
- يتعرف في المسجد على العلماء والفقهاء والدعاة ويقترب منهم ويتأثر بأخلاقهم.
- التدرج في بناء شخصيته بكامل عناصرها العقدية والفكرية والعبادية والاجتماعية والعلمية والنفسية والصحية وغيره.

وعليه فإن للصلاة دوراً تربوياً يعود أثره على الإنسان والمجتمع، حيث تسهم

(١) سورة المزمل، الآيتان: ١-٢.

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الصلاة في تربية مشاعر المسلم وإحساسه بالراحة النفسية والطمأنينة الروحية، فضلاً عن شعوره بالمساواة، بينه وبين الآخرين أمام الله سبحانه، فالجميع يقفون بين يدي الله تعالى في صف واحد لا فرق بين غني وفقير، ولا بين وزير وغفير ولا بين كبير وصغير، فالكل سواسية في حضرة العزيز الغفور، يطلب رحمته ويخاف عذابه، بل وتسهم الصلاة في استقامة الشباب، والحد من الإنحرافات والجرائم، فضلاً عن دورها في وحدة المسلمين وتقاربهم وتعارفهم.

الدور التربوي لعبادة الصيام:

الصيام فريضة من الله على المسلمين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]، والصيام قيمة تربوية تحرر إرادة الإنسان، وعبادة روحية تعلم الإنسان الإخلاص ومراقبة الله في السر والعلانية، عبادة قوامها أن يمتلك المرء نفسه، وأن يحكم هواه، فيترك ما يشتهي استجابة لأوامر الله عز وجل، وقد شرع الإسلام الصيام للناس، لتربيتهم على قيادة شهواتهم.

ويربي الصيام جوارح الإنسان، ويوجه سلوكه وجهة إيجابية، فالذي يحابي الظالمين ويجامل السفهاء ويعاون المفسدين، لا صوم له، والذي يستغل المصالح العامة للمسلمين، لصالح رغباته وشهواته لا صوم له، كما أن من يمد يده ولسانه أو جارحة من جوارحه بالايذاء لعباد الله تعالى، أو إلى انتهاك حرمات الله لا صوم له، فالصائم ملاك في صورة إنسان، لا يكذب ولا يرتاب ولا يشي ولا يخادع، ولا يأكل أموال الناس بالباطل، ولا يعمل بتدبير الفتن والمكائد، وهذا الدور التربوي للصيام ينعكس على المجتمع كله، حيث يسوده الأمن والوئام والتكافل والتناغم الاجتماعي (علي، ٢٠٠٠).

ويربي الصيام المسلم على تحمل المشاق، وحرمان النفس من الشهوات، ليعلمه فعل الخيرات، فالصيام ليس معركة مبهمة ضد الجسد، ولكنه خطة واضحة لتربية الإنسان وتزكية قلبه ودعم إيمانه، ليفوز بالمغفرة والرحمة من رب العباد، يقول المصطفى ﷺ «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه»

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(البخاري)، فالصيام فرصة لتطهير المسلم في النهار، ولاستقبال هدي القرآن في قيام الليل، وهذا النوع من التخلية ثم التحلية، يجعل المسلم أقرب شيء إلى رضوان الله وغفرانه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان» (رواه أحمد) (الغزالي، ١٩٩٩).

ويأتي من بين الآثار التربوية للصيام، أنه يشعر المسلم بحاجة فقراء المسلمين وحالهم، وهم يتضورون جوعاً في أكثر أوقاتهم، فيحمله الصيام على الإشفاق عليهم والإحسان إليهم والرحمة بهم، ومن ثم يجد الفقراء يد المعونة من الأغنياء، وهو عامل قوي في إصلاح المجتمع وتماسكه، هذا فضلاً عن تربية الإنسان على تقبل التغيير، باعتباره سنة من سنن الله في الطبيعة والمجتمع، ذلك أن الإنسان يظل طول العام يأتي من الأفعال ما فيه استجابة لمطالب الجسد، بحكم الحاجات البيولوجية، فإذا جاء شهر رمضان، يوضع المسلم أمام منهج جديد، يوقف من المطالب المادية نهاراً، ليمارس المطالب الروحية التي تزدهر وتتألق (علي، ٢٠٠٠).

كما يبدو الدور التربوي للصيام، في تربية ضمير المسلم، حيث تخضع فريضة الصيام، المسلم إلى محكمة داخلية، محكمة الضمير أو محكمة النفس اللوامة، خضوعا تاما ومباشرا، ولو ارتفعت رقابة هذا الضمير عند الصائم لحظة واحدة لأكل صاحبه وشرب وتنعم وتلذذ في رمضان، متخفياً عن أعين الناس، بعيداً عنهم، ثم يبرز إلى الجميع بعد ذلك لابسا شارة الصائمين، مدعياً أنه صائم، ويكون من الصعوبة اكتشاف أمره، والتمييز بينه وبين الصائم حقاً، فمدرسة الصيام التربوية ترقى بضمير الإنسان المسلم، فيراقب الله عز وجل في السر والعلن، وما أحوج المجتمع المسلم إلى هذا النوع من التربية، الذي يرقى بسلوك الإنسان المسلم (علي، ٢٠٠٠).

بل ويربي الصيام روح الإنسان، إذا كان الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب، حين يكون صيام النفس من الداخل لا صيام الأحشاء، حين يتوجه الإنسان بالصيام إلى الله عز وجل، حين يحس أن كل خاطرة في نفسه، وكل إحساس في كيانه، وكل سر وكل لفتة وكل خالجة، ينبغي أن تكون نظيفة طاهرة خالصة لوجه الله تعالى، حينئذ تملأ التقوى القلوب، وتنطلق الروح إلى آفاق عالية من النور المشرق الوضيء (قطب، ١٩٨٩).

ويعد الصيام فرصة لتدريب الأبناء الصغار، وتشجيعهم على تحمل مشاق الصيام، وتربيتهم على الشفقة والرحمة بالفقراء، وتدريبهم على العطاء، وتحمل مسؤولية مراقبة الله عز وجل، أما إذا بلغ الأبناء الحلم يصبح الصيام فرض عليهم، هذا فضلاً عن ضرورة استثمار الصيام، في ترابط الأسرة وجمع أعضائها، حول مائدة القرآن الكريم والدعاء في هذا الشهر الكريم، فيجلس الأب وحوله أفراد الأسرة، وعند الإفطار يدعو الأب ويؤمن الأبناء والزوجة، وهذه هي ثمرة الصيام، الذي يوفر للأسرة المسلمة، بيئة تربوية روحانية، يعلو فيها الإيمان، وتُكبح فيها الشهوات، ويتدرب فيها الأطفال.

الدور التربوي لعبادة الزكاة:

الزكاة ركن من أركان الإسلام، وركيزة من دعائم المجتمع المتماسك، فرضها الله حقاً في مال الغني، وجعلها على كل مسلم عاقل بالغ حر، إذا ملك نصاباً خالياً من الدين، فاضلاً عن حوائجه الأصلية، ملكاً تاماً عاماً كاملاً، والزكاة أساس سليم من أسس الترابط والتساند بين أفراد المجتمع، والزكاة لغة الطهارة والنماء، وشرعاً هي تمليك مال مخصوص لشخص مخصوص، والزكاة فريضة محكمة ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والإجماع، وأمر بها القرآن الكريم، وقرنها بالصلاة في اثنين وثمانين آية، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[1].

وروى الجماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما بُعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، قال له: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (شحاته، ١٩٩٧).

وتهدف التربية الإسلامية إلى بناء مجتمع متوازن ومتماسك، وذلك بالتقريب بين المستويات المالية للأفراد، وإعادة النظر في توزيع المال بنسب ثابته على

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

الدوام، ومنع تكدس الثروات بالطرق غير المشروعة، حتى لا ينتشر الترف والظلم والأثرة، وتتضخم الثروات على حساب الفقراء، ويضطرب ميزان الإعتدال الإجتماعي والإقتصادي بين أفراد المجتمع، وتتسع الهوة بين الطبقات، فيتحول المجتمع إلى طبقتين، الأولى تحظى بالمال الذي تحتار في كيفية إنفاقه على الملذات، والثانية تتلظى من الجوع والفقر والحرمان، والعوز في المسكن والصحة والتعليم، وهذا ما يحذر الإسلام منه، ويعمل على تفاديه، من خلال فريضة الزكاة التي تأخذ من أموال الأغنياء وتعطي الفقراء (الخياط، ١٩٨٩).

وعليه فالزكاة فريضة إسلامية، تربي المجتمع المسلم على احترام حقوق الفقراء، لذا لم يجعل الإسلام الزكاة خاضعة لهوى الإنسان، إن شاء أعطى وإن شاء منع، بل جعلها إجبارية، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰ□لِهِمۡ حَقّ□ مَّعۡلُوم□(٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ(٢٥)﴾[1]، وجمع النبي ﷺ الزكاة، وأمر أمراءه بجمعها من الأغنياء ليردها على الفقراء، وبعد وفاته وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق، أعلن بعض العرب منع الزكاة، فحاربهم عليها وقال قولته المشهورة: «والله لو منعوني عناقاً (أنثى المعز التي لم تبلغ سنة)، كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»، فالزكاة ليست إحسانا فردياً طوعياً وإنما هي عبادة مالية، تطبب قلوب الفقراء في المجتمع المسلم (طبارة، ١٩٩٥).

وتتعدد الآثار التربوية للزكاة، التي تعد سبيلاً أصيلاً لترابط المسلمين، وعاملاً من عوامل المحبة والمودة بين الأغنياء والفقراء، كما تطهر المسلم من الشح والبخل، وتشعره بالسعادة النفسية والرضا والارتياح، لإنتصاره على الأنانية والأثرة والشح وإغراء الشيطان بالبخل، قال تعالى: ﴿ الشَّيطَٰنُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغفِرَةً مِّنهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم﴾[2]، فضلاً عن أن الزكاة عمل خيري يرضي الله تعالى، وهي وسيلة من وسائل الضمان الإجتماعي، فالإسلام يأبى أن يوجد في المجتمع المسلم، من لا يجد القوت الذي يكفيه، والثوب الذي يواريه، والبيت الذي يؤويه، فهذه ضرورات يجب أن تتوفر لكل من يعيش في المجتمع المسلم (شحاته،١٩٩٧).

---

(١) سورة المعارج، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

وعليه فالزكاة قيمة تربوية، تطهر الإنسان من شح النفس، وتطلق الروح من الأثرة البغيضة، التي تشعر بوجودها وحدها، ولا تشعرها بالآخرين، فتنقل الزكاة الإنسان المسلم ليشعر بالأخوة النبيلة، التي تجمع الأسرة البشرية الواحدة، فإذا كلها قريب من قريب، وكل فرد فيها ذو رحم مع الآخرين، الأخوة التي تخرج بالإنسان، عن شعور الملكية الخاصة، إلى الشعور بأن الناس شركاء في الخير، أصلاء في رزق الله العميم (قطب، ١٩٨٩).

الدور التربوي لعبادة الحج:

يعد الحج أحد أهم الأسس التي بُني عليها الإسلام، وهو عبادة تتجلى فيها أبعاد التربية الإسلامية، لأنها تتضمن تربية إيمانية وتربية روحية، وتربية اجتماعية وتربية اقتصادية، وتربية نفسية وتربية فكرية وغيره من أنواع التربية، حيث اهتم القرآن بهذه العبادة اهتماماً كبيراً، قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلاۚ ... ﴾[2]، كما قال عز وجل: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق ﴾[3].

إن اجتماع الحجاج بهذا الحشد الكبير في كل عام، وممارسة شعائر الحج بدءاً بالإحرام وانتهاء بالذبح، والتهليل والتكبير، تربي المسلم على قيم الطاعة لله عز وجل، وتعوده على الصبر وتحمل المشاق، فضلاً عن تعزيز قيم الوحدة والتماسك ونبذ العنصرية والتفرقة، ومن مظاهر الوحدة أن يتجرد الجميع من لباس الدنيا ويلبسون لباس الإحرام الموحد، لا فرق بين غني وفقير، ولا رئيس ومرؤس، ولا بين جنس وآخر، وفي الحج يتعارفون ويتآلفون ويتشاور أولي الرأي منهم، في كل ما يعود بالخير على المجتمع الإسلامي، كما يربي الحج المسلمين من خلال السماح لكل مسلم مقتدر أن يمر بخبرة الرحلة، ولو مرة واحدة في عمره، فيتعلم منها التعاون والتراحم ويتعرف من خلالها على التنوع بين البشر، وكيف أن الإسلام جمعهم على عقيدة واحدة، وقبلة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.
(٣) سورة الحج، الآية: ٢٧.

واحدة، فتنمو لدى المسلم رابطة الدين، فيشعر المسلم بغيره من المسلمين، ويحمل هم أمته ويعمل من أجل رقيها وتقدمها.

وعليه فإن مناسك الحج، تربي المسلم على مجموعة من القيم التربوية، فالإحرام يربي المسلم على التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل شيء سوى الله تعالى، والتلبية شاهدة على هذا التجرد، والتزام الطاعة والإمتثال لأوامر الله عز وجل، أما الطواف ففيه تربية لقلب المسلم، لأن يطوف حول قدسية الخالق، وفيها يدور المحب الهائم حول المحبوب المنعم، الذي ترى نعمه ولا ترى ذاته، ثم يأتي السعي ليلهم المسلم بأسباب الرحمة والتماس المغفرة من الله تعالى، يليه الرمي الذي يعلم المسلم مقت واحتقار كل عوامل الشر، ونزعات النفس والحذر من النفس والهوى والشيطان، وأخيراً يأتي الذبح ليرقى بالإنسان المسلم إلى درجة الطهر والنقاء، فيعمل على إراقة دم الرزيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة، رمزا للتضحية والفداء (شلتوت، ١٩٧٥).

تلك هي العبادات المفروضة، إلا أنها ليست كل عبادة الإسلام، فالإسلام يوسع معنى العبادة حتى تشمل كل الحياة، كل عمل يتوجه به الإنسان إلى الله تعالى دون ضرر الآخرين فهو عبادة، وكل عمل يتركه الإنسان تقرباً لله واحتساباً فهو عبادة، وكل شعور نظيف في باطن النفس فهو عبادة، وكل امتناع عن شعور هابط من أجل مرضاة الله فهو عبادة، وكل ذكر لله في الليل والنهار فهو عبادة، ومن ثم تشمل العبادة الحياة، ويصبح الإنسان عابداً لله حيثما توجه إلى الله تعالى، الأمر الذي يجعل العبادة تمثل الصلة الدائمة بين العبد والرب، وتصبح هي التربية الدائمة للنفس وللروح (قطب، ١٩٨٩).

رابعاً: أصول التربية الخلقية في الإسلام

مقدمة:

تعتبر الأخلاق ضرورة من ضرورات تنظيم المجتمع، وفي عدم وجودها تسود شريعة الغاب، حيث تصنع القوة الحق بدلاً من أن يصنع الحق القوة، وإذا كان للتربية وظائف مختلفة، فإن من أهم وظائفها الوظيفة الأخلاقية، وقد أثار موضوع الأخلاق جدلا كبيراً بين الناس على مر التاريخ، ذلك أن الحياة الإنسانية مرتبطة بالمواقف السلوكية، وهذه المواقف السلوكية مرتبطة باتخاذ قرارات أخلاقية، بعض هذه القرارات بسيط وبعضها معقد، الأمر الذي يجعل الأخلاق غير منفصلة عن الحياة، بل هي مركز الحياة الإجتماعية والشخصية للأفراد (مطاوع، ١٩٨٠).

والخلق يأتي بمعنى السجية والأدب، والخلق في اللغة هو ما أخذ به الإنسان نفسه من الأدب، لأنه يصير كالخلقة فيه، والطفل يولد على الفطرة الخالصة والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه بخلق من الأخلاق، نقشت صورته في نفسه ثم لم تزل تلك الصورة تمتد شيئاً فشيئا إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس، وإذا كان الخلق هو الطبع الداخلي أو الصورة الباطنة للإنسان، فإن الخلق إما أن يكون فطرياً يولد الإنسان مزوداً به، وإما أن يكون خلقاً مكتسباً يربى في النفس وينمو معها (المحلاوي، ٢٠٠٦).

والأخلاق في الإسلام هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه، وللنظام الأخلاقي في الإسلام طابعان مميزان، أولهما طابع إلهي من حيث أنه مراد الله تعالى، اذ أنه يجب أن يتبع الإنسان في هذه الحياة رغبة الله في خلقه، ولذلك جاء الوحي بصورة هذا النظام، وثانيهما طابع إنساني من حيث أن هذا النظام عام وللإنسان دوره في تحديد واجباته الخاصة، والتعرف على طبيعة مظاهر السلوك الإنساني المعبرة عن القيم، لذا تعد الأخلاق روح الإسلام، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «الدين حسن الخلق» (صحيح مسلم) (يالجين،١٩٧٧).

ولقد حدد محمد ﷺ الغاية الأولى من بعثته بقوله «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (الموطأ)، فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة وبذل المصطفى ﷺ جهداً كبيراً في مد شعاعها وجمع الناس حولها، لا تنشد أكثر من تدعيم الفضيلة وإنارة آفاق الكمال أمام أعين الناس، حتى يسعوا إليها على بصيرة، فالاخلاق ليست ترفاً يمكن الإستغناء عنها، بل هي جوهر الحياة التي يرتضيها الإسلام، وتؤكد سنة الرسول ﷺ على تبني مكارم الأخلاق، حيث سُئل ﷺ أي المؤمنين أكمل إيمانا؟ فقال ﷺ: «أحسنهم خلقاً» (الطبراني) (الغزالي،١٩٩٧).

التربية الأخلاقية في الإسلام:

تشير التربية الخلقية في الإسلام إلى مجموعة المبادئ، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يكتسبها النشئ، منذ نعومة أظافرهم وتستمر معهم عبر مراحل الحياة المختلفة، والتي تعد ثمرة من ثمرات الإيمان والتنشئة الإسلامية، التي تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويؤكد بعض العلماء أن الأخلاق فطرية، حيث تتفاوت حظوظ الناس من الطبائع النفسية التي فطروا عليها، فالناس كما تتفاوت حظوظهم من الذكاء الفطري، وتتفاوت حظوظهم الجسدية قوة وضعفاً، وطولاً وقصراً، وبدانة ونحولا، وصحة وسقما، فإن حظوظهم من الطبائع النفسية الخلقية متفاوته بالفطرة، وقد جاء في أقوال الرسول ﷺ ما يثبت هذا التفاوت الفطري في الطبيعة الخلقية للإنسان، حيث روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»، ويشير هذا الحديث إلى أن خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقاً، وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان في كل أحواله(الميداني، ١٩٩٦).

وإذا كانت الأخلاق فطرية، فما هي فائدة التربية الخلقية إذن؟ وهل باستطاعة الإنسان أن يعدل من طبائعه الخلقية الفطرية، ويكتسب من الأخلاق ما ليس في فطرته؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من الوعي بحقيقة التكليف الرباني، والمتمثل في أن الله تبارك وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فمسؤولية الإنسان تنحصر في نطاق ما يدخل في وسعه، وما يستطيعه من عمل، والله عز وجل يمتحن كل إنسان بما يناسبه، وعلى مقدار ما منحه من قدرات وهبات، وعلى مقدار استطاعته الجسدية

والنفسية، ويكون الجزاء العادل على مقدار الطاعة والجهد المبذول نفسياً وجسدياً، أو على مقدار المعصية والجهد الذي كان يمكن بذله في الطاعة.

ويرتبط بذلك تنوع استعدادات الناس لاكتساب أنواع العلوم، فبعضهم أقدر على تعلم الفنون من بعض، وبعضهم أقدر على تعلم العلوم العقلية من بعض، وبعضهم أقدر على حفظ النصوص والتواريخ من بعض، وبالرغم من التفاوت بين الناس في قدرتهم على اكتساب العلوم، إلا أن هناك حداً ما من الاستعداد عند كل الناس لتعلم كل أنواع العلوم، ومثل ذلك يكون الاستعداد الإنساني لاكتساب الأخلاق، فما من إنسان عاقل إلا لديه قدرة على اكتساب مقدار ما من فضائل الأخلاق، وفي حدود هذا المقدار الذي يستطيعه يكون تكليفه، وتكون مسؤوليته، ثم في حدوده تكون محاسبته ومجازاته.

إن أسرع الناس استجابة لانفعال الغضب، يستطيع بالتربية المقترنة بالإرادة والتصميم أن يكتسب مقداراً ما من خلق الحلم، لذلك فهو مسؤول عن اكتساب ما يستطيعه منه، فإذا هو أهمل تربية نفسه، وتركها من غير تهذيب تنمو نمو أشواك الغاب، فإنه سيحاسب على إهماله، وسيجني ثمرات تقصيره، وإن أشد الناس بخلاً وأنانية وحبا للتملك، يستطيع بالتربية المقترنة بالإرادة والتصميم أن يكتسب مقداراً من خلق حب العطاء، لذلك فهو مسؤول عن اكتساب القدر الواجب شرعاً منه، فإذا هو أهمل تربية نفسه، وتركها من غير تهذيب فإنه سيحاسب على إهماله، وسيجني ثمار تقصيره.

والمفطور على الجبن، يستطيع بالتربية المقترنة بالإرادة والتصميم أن يكتسب مقداراً ما من خلق الشجاعة، يكفيه لتحقيق ما يجب عليه في أن يكون شجاعاً، وأشد الناس أنانية في تكوينه الفطري، يستطيع أن يكتسب بالتربية المقترنة بالإرادة مقداراً ما من الإيثار، قد لا يبلغ فيه مبلغ المفطور على محبة وإيثار الآخرين، ولكنه مقدار يكفيه لتأدية الحقوق الواجبة عليه تجاه الآخرين، وهكذا فإن أية فضيلة خلقية باستطاعة أي إنسان عاقل أن يكتسب منها بالتربية المقترنة بالإرادة، المقدار الذي يكفيه لتأدية واجب السلوك الأخلاقي، الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق فطرية ومكتسبة في ذات الوقت (الميداني، ١٩٩٦).

وتُكتسب الأخلاق بطرق وأساليب متنوعة أهمها القدوة، والنموذج الذي يحتذي والقدوة لجميع المسلمين هو محمد ﷺ الذي أمر الله عز وجل المسلمين أن يقتدوا بطيب شمائله وعريق خلاله، فقال جل شأنه: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرا ﴾(1)، فكان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، قال على رضي الله عنه: «كنا إذا حمي البأس وأحمرت الحَدَق نتَّقي برسول الله ﷺ فما يكون أحداً أقرب إلى عدو منه»، وقالت له خديجة رضي الله عنها: «إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق».

كان محمد ﷺ دائم البشر سهل الطبع لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش، ولا عتاب ولا مداح، وكان يحفظ العهد وكان وفيا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لِما كنت اسمعه يذكرها، وكان يذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، وذات يوم دخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال ﷺ: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة»، وكان يصل رحمه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم، حيثما انتهى به المجلس جلس، وكان يأتي السائل فيُقبل على مجلس الرسول ﷺ فيسأل أيكم محمد؟، ولما فتح الله عليه مكة ودخلها طأطأ ﷺ رأسه على راحلته تواضعاً لله عز وجل، وكان ﷺ كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يُعرض عمن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، مجلسه مجلس حلم وأمانه، لا تُرفع فيه الأصوات ولا تُخدش فيه الحرمات، إذا تكلم أطرق جلساءه كأنما على رؤسهم الطير. (الغزالي، ١٩٩٧).

وكان السلف الصالح يحرصون على تربية أبنائهم على مكارم الأخلاق، فأوصى الخليفة عبد الملك بن مروان مؤدب ولده قائلاً: «إني قد اخترتك لتأديب ولدي، وجعلتك عيني عليهم وأميني، فأجتهد في تأديبهم ونصيحتي لك في أمرهم، علمهم كتاب الله عز وجل حتى يحفظوه، وقفهم على ما بيّن الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أصدقه، وجنبهم مخالطة السفهاء، وخوفهم بي وأدبهم دوني، ولا تخرجهم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

من علم إلى علم حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، والله أسأل توفيقك وتسديدك» (صالحية، ١٩٨١).

وهذا هارون الرشيد يقول لمؤدب إبنه وهو على بن الحسين بن الأحمر «يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه (أي الأمين) وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطه وطاعتك عليه واجبه، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروه الأشعار، وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام.

التربية والقيم الأخلاقية في الإسلام:

ويرتبط الإسلام ارتباطاً وثيقاً بالقيم الأخلاقية، فقد حدد الإسلام معاني القيم الأخلاقية، بحيث أصبح الكرم قيمة في حد ذاته، تختلف عن التوسط بين رذيلة الإسراف ورذيلة البخل، وأصبحت الشجاعة في القول أو العمل، قيمة في ذاتها تنفي التهور أو الجبن، كما أصبح الحب مغايراً للذلة، والتسامح منافياً لاحتمال الظلم أو الضعف، وبهذا المعنى يكون الرسول ﷺ قد أتم بناء الأخلاق في الإسلام، حين تتحدد معاني القيم تحديداً واضحاً، ولا تكون الفضائل مجرد وسط بين رذيلتين، فالوسطية في الإسلام ليست درجة بين الأعلى والأدنى، ولكنها تمثل الموازنة بين أمرين، الأمر الذي جعل الأخلاق في الإسلام، توفق بين كل النزعات الإنسانية، فهي عقلية وصوفية وواقعية ومثالية وتقليدية وتقدمية، وهي بناء حقيقي يمتزج فيه المثال بالواقع، وتتعايش فيه صرامة الإطار بمرونة الممارسة (محمود، ١٩٩٢).

ويعتمد النظام الأخلاقي في الإسلام على مجموعة من القيم، التي تواضع عليها الناس والتزموا بها، باعتبارها موجهات لسلوكهم في جميع مجالات الحياة، وبدونها تعم الفوضى والإهمال، فهي تقوم في الإنسان مقام الربان في السفينة، وغرس القيم الأخلاقية عملية تربوية تحتاج إلى وقت وجهد، وبالرغم من ذلك فإن القيم الأخلاقية يمكن تعلمها في كل مكان، ومن كل موقف، ولا تحتاج إلى ترتيبات معينة، فالابن يكتسب كثير من القيم الأخلاقية، من خلال الأقوال والأفعال التي يلقيها إليه والداه، ومن طريقة إلقائها ومن تعليقاتهما على ما يقال، وهذا الوضع في تربية القيم الأخلاقية، يؤكد أهمية القدوة باعتبارها أحد أساليب التربية الإسلامية، التي تغرس في النشئ القيم الأخلاقية، فتصبح جزءاً من شخصياتهم، وتظهر من خلال سلوكياتهم الحياتية. وتتعدد القيم الأخلاقية التي يتربى عليها الإنسان المسلم، والتي تمثل عناصر

البناء الأخلاقي له، والتي تُستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفيما يلي توضيح لأهم القيم الأخلاقية وعلاقتها بالتربية:

(١) قيمة الأدب في الإسلام:

لقد استخدم في الماضي مصطلح «التأديب» بدلاً من «التربية»، حيث كانوا يؤكدون أولاً على القيم الأخلاقية التي توجه السلوك وتهذب الطباع، ثم العلم النافع المفيد الذي يهدي صاحبه إلى الطريق المستقيم، وكان المصطلح الأكثر شيوعاً «للمعلم» هو «المؤدب»، وفي ذلك إشارة إلى أن وظيفته تتعدى مجرد تقديم المعلومات، إلى التأديب وتهذيب السلوك.

ويعد الأدب قيمة أخلاقية، وهو أحد عناصر البناء الأخلاقي للإنسان المسلم، والأدب هو ما يحمد قولا وفعلا، ومن أنواع الأدب: أدب اللسان، حيث يتوجب تربية المسلم صغيرا كان أو كبيراً على أدب اللسان، يقول عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾[١] ، ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَاما ﴾[٢]، ويقول تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد ﴾[٣]، وأدب اللسان يعني ألا يتحدث المسلم إلا بخير،وألا يتسرع في التحدث، وإنما يفكر ويزن ما يقوله بميزان الشرع، فقد كان صحابة رسول الله ﷺ، يحذرون من الكلام المباح، خشية الوقوع في الكلام المحظور، مبالغة منهم في حفظ ألسنتهم، واحتياطا لدينهم، عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (رواه مسلم).

كما تؤكد التربية الإسلامية على أدب الأبناء مع الآباء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام من هذا؟ قال: أبي، قال ﷺ: «فلا تمش أمامه ولا تستسب له، ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه»، وعلى الأدب مع العلماء حيث أوصى الحسن البصري رضي الله عنه إبنه قائلاً: «يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الإستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحد حديثا وإن طال حتى يمسك»(سويد، ١٩٩٤).

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

ومن الآداب التي يجب تربية الأبناء عليها، أدب الإحترام والتوقير، أخرج الترمزي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»، وأدب الطعام فقد أخرج البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: "يا غلام.. سم الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت طعمتي بعد."

كما ينبغي تربية الأبناء على أدب الكلام، وقد عني الإسلام عناية كبيرة بالكلام وأسلوب أدائه، لأن الكلام الصادر عن الإنسان يشير إلى حقيقة عقله وطبيعة خلقه، ولأن طرائق الحديث في جماعة ما، تحكم على مستواها العام، ومدى تغلغل الفضيلة في بيئتها، لذا يجب تربية الأبناء على التريث عند الحديث، فإن وجد داعيا له تكلم، وإلا فالصمت أولى به، فمن نصائح الرسول ﷺ لأبي ذر الغفاري «عليك بطول الصمت، فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك» (رواه أحمد)، وإذا تحدث فلابد أن يتحدث بالجميل من القول، فإن التعبير الحسن عما يجول في النفس أدب عال أخذ الله به أهل الديانات جميعاً، يقول عز وجل: ﴿ وَإِذ أَخَذنَا مِيثَٰقَ بَنِي إِسرَٰءِيلَ لَا تَعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالوَٰلِدَينِ إِحسَانا وَذِي القُربَىٰ وَاليَتَٰمَىٰ وَالمَسَٰكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسنا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ...﴾[1]، فالقول الحسن ميثاق أخذه الله على عباده (الغزالي، ١٩٩٧).

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، الذي يروي أن أباه كان يصطحبه إلى مجلس رسول الله ﷺ، فوصف النبي ﷺ للصحابة، شخصية المؤمن بشجرة بعيدة جذورها، مستقيمة ساقها دائم إخضرارها، غنية ثمارها، وتوجه ﷺ بالسؤال إلى الصحابة ليثير إهتمامهم في تصور المعنى «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي»، فلم يعرف الصحابة الجواب، فلما سألوا الرسول ﷺ قال: «النخلة»، وبعد أن خرج عمر بن الخطاب مع ابنه عبد الله، قال عبد الله لأبيه كنت أعرف الجواب، ولم أتحدث حياء ممن هم أكبر مني سنا، فقال عمر رضي الله عنه «لأن تكون قلتها، أحب الي من أن يكون لي كذا وكذا من عزيز المال»، وهذا تأكيد من عمر بن الخطاب بضرورة تربية الأبناء على الشجاعة الأدبية والتعبير عن الرأي بأدب أمام الكبار دون خوف أو حياء (علي، ٢٠١٠).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

ويكون على المربي باعتباره القدوة للأبناء، أن يتخير الكلام الحسن المعبر المفيد، الذي ينهض بهمة المستمع ويزيد من توجهه إلى الله تعالى، كما يكون عليه أن يبعد عن اللغو، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾[١]، والكلام الطيب يدل على خلق وأدب المتكلم، والكلمة الطيبة تثمر كما تثمر الشجرة الطيبة، وأصحاب الكلم الطيب يفوزون بالمغفرة الشاملة التي لا شقاء بعدها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا(٧١)﴾[٢].

ويرتبط بأدب الحديث كذلك أدب الحوار الذي بات من ضرورات الحياة المعاصرة، حيث يكون على المربي أن يقدم للمتعلمين أو الأبناء مهارات الحوار وآدابه، التي تتضمن حسن الاستماع للمتحدث، واحترام الرأي الآخر، بغض النظر عن مصدره، وضرورة التفريق بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، فضلاً عن عدم مقاطعة المتحدث وتوجيه النقد له، وعدم الإنشغال عنه بشيء آخر أثناء الحديث، والمشاركة الإيجابية بالرأي، وغيره من المهارات التي تفعِل الحوار، وتساعد على التوصل إلى نتائج إيجابية، تثري العمل الجماعي.

ليس هذا فحسب بل يجب تربية الأبناء على أدب الاختلاف، وذلك نظراً لأن الاختلاف حقيقة واقعة بين البشر، فهم يختلفون في ألوانهم وأطوالهم وقدراتهم ومعارفهم وغيره، كما يختلفون في اتجاهاتهم وميولهم وأرائهم ووجهات نظرهم، وإذا كان الاختلاف حقيقة واقعة بين البشر، فإن أدب الاختلاف ضرورة تربوية إسلامية، ينبغي تربية الأطفال عليها، لتصبح مكون من مكونات شخصياتهم مستقبلا، فالاختلاف أمراً مشروعاً في الإسلام، إذا توفر له دليل يصح الإحتجاج به، وإذا لم يؤد الأخذ بالمذهب أو الفكر المخالف إلى باطل.

ولقد اختلف أئمة المسلمين في كثير من الأمور الاجتهادية، كما اختلف الصحابة من قبلهم، وهم جميعاً على الهدى ما دام الإختلاف لم ينجم عن هوى، فكان الواحد منهم يبذل جهده وما في وسعه ولا هدف له إلا إصابة الحق، وإرضاء الله

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

جل شأنه، وعلى المربين أن يقدموا لأبنائهم نماذج من أدب الاختلاف في حياة السلف الصالح، فهذا الإمام الشافعي يقول: ذاكرت محمد بن الحسن يوماً، فدار بيني وبينه كلام واختلاف، حتى جعلت أنظر إلى أوداجه تدر، وتتقطع أزراره، ويقول محمد بن الحسن: إن كان أحد يخالفنا فيثبت خلافه علينا فالشافعي، فقيل له: فلم؟ قال: لبيانه وتثبته في السؤال والجواب والاستماع.

وعن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فاني أسمعك تكثر الدعاء له، فقال: يا بني كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فأنظر هل لهذين من خلف أو عوض، أما الإمام مالك والإمام أبو حنيفة رحمهما الله، ورغم اختلاف وتباين الأسس التي يعتمدها كل منهما فيما يخص مذهبه، كان يجل ويقدر الواحد منهما صاحبه، وكانا على جانب كبير من الأدب مع اختلاف فقه كل منهما، أخرج القاضي عياض في «المدارك» قال: قال الليث بن سعد: لقيت مالكاً في المدينة، فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك. قال: عرقت مع أبي حنيفه، إنه لفقيه، قال الليث: ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له: ما أحسن قول هذا الرجل فيك «يقصد مالك»، فقال أبو حنيفه: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام (العلواني، ١٩٩٢)، هذا هو أدب الاختلاف، الذي يجب أن يتعلمه المسلمين، كبارا كانو أو صغارا، لأنه اختلاف يستند إلى فهم لروح الإسلام، وغاياته وقواعده الكلية، ومراتب أحكامه، فضلاً عن إخلاص النية والتوجه إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

كما يعد أدب المظهر من الآداب الهامة، وخاصة في هذا العصر الذي يموج بقيم العولمة على اختلاف أشكالها، فما أحوج الآباء في هذه الأيام، إلى تربية الأبناء على المظهر الذي يليق بالإنسان المسلم، وخاصة أن الأبناء في هذا العصر يقلدون، ما يرونه على شاشات التلفزيون، فمثلاً ترتدي الفتاة ملابس غريبة، عن عادات وتقاليد وأعراف المجتمع العربي المسلم، وهي في معظمها لا تلتزم بشروط الزي الإسلامي، كما يرتدي الشباب السلاسل، ويحلقون شعر رؤسهم، بطرق غريبه وبعيدة عن روح وقيم المجتمع المسلم، ومن ثم كان على المربين، أن يعودوا إلى القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، لتربية الأبناء على آداب المظهر الإسلامي، فتعرف الفتاة شروط الزي الإسلامي، ولماذا ومتى تتزين، كما يعرف الفتى ما ورد في سنة المصطفى ﷺ عن مظهره الذي يؤكد رجولته ومسؤوليته.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله ﷺ صبيا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه فنهاهم عن ذلك، وقال ﷺ: «احلقواه كله أو اتركوه كله» (رواه أبو داود)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن القَزَع. والقزع كما يراه ابن القيم هو أربعة أنواع: أحدها أن يحلق من راسه موضع من ها هنا وها هنا، والثاني أن يحلق وسطه ويترك جوانبه، والثالث أن يحلق جوانبه ويترك وسطه، والرابع أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره (سويد، ١٩٩٤).

(٢) قيمة الصدق في الإسلام:

يعد الصدق أصل من أصول الأخلاق الإسلامية، وقيمة تربوية يجب أن تتفتح عليها أُذن الطفل المسلم، لتصبح سلوكاً يومياً يمارسه في حياته المستقبلية، ولقد خلق المولى عز وجل السماوات والأرض بالحق، وطلب من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق والصدق فلا يقولوا إلا صدقا ولا يعملوا إلا حقاً، وما حيرة الإنسان المعاصر وتخبطه، إلا لأنه تخلى عن الصدق، ولو اتخذ الناس الصدق منهاجاً لحياتهم، لذهبت الفوضى وانتشرت الفضيلة، والصادقون هم الذين صدقوا في إسلامهم، وصدقوا في أيمانهم وصدقوا في أقوالهم، وصدقوا في أعمالهم، وصدقهم في أعمالهم يكون في أن يبتغوا بها وجه الله تعالى، وهي بذلك تكون معبرة عن إيمانهم تعبيراً صادقاً لا رياء فيه ولا سمعة ولا نفاق.

وتحرص التربية الإسلامية، على أن يغرس الآباء، في نفوس أبنائهم قيمة الصدق، حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأفعالهم، وتستقي التربية الإسلامية أصولها من القرآن الكريم الذي يقول فيه المولى عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(١)، ومن سنة المصطفى ﷺ، فعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أُمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها ﷺ: «أما إنك لو لم تُعطه شيئاً كُتبت عليك كَذبة» (رواه أبو داود)، وعن أسماء بنت يزيد قالت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيئ تشتهيه، لا أشتهيه، يعد ذلك كذبا؟ قال: ﷺ «إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة» (رواه مسلم)، كما قال ﷺ «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب، ويل له ويل له».

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

وأكد المصطفى ﷺ على الصدق وحذر من الكذب، فقال ﷺ «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (رواه البخاري)، وهكذا فإن هناك دعوة مستمرة للصدق الذي يبعد صاحبه عن درك عميق فيه الهلاك والشقاء، ويدنيه إلى صراط الجنة، فالصدق منجاة.

لقد كان ربعي بن خراش الغطفاني، أحد التابعين الثقاة وعرف في العراق بأنه لم يكذب قط في أي موطن من المواطن، وقد خرج إبنان لربعي على الحجاج، مخالفين لسياسته في العراق، وأخذا يحرضان الناس على الخروج عليه، فطلبهما بكل وجه، إلا أنه لم يستطع القبض عليهما، فأهمه ذلك وأزعجه، حتى تحدث في الأمر مع المقربين إليه، فقالوا له إن أبا هذين المخالفين هو ربعي بن خراش، وهو لم يكذب في حياته قط، فلو أرسلت إليه وسألته عنهما لأخبرك - إن كان يعلم مكانهما- فأرسل الحجاج إلى ربعي، فسلم عليه وجلس ثم سأله أين إبناك يا شيخ؟ قال: لقد خلفتهما للتو في الدار. فوجئ الحجاج بقول ربعي وذهل لصدقه عن ولديه مع علمه بما ينتظرهما، فقال له اذهب فأمنهما، فقد عفوت عنهما، أيها الشيخ لصدقك (ابن خلكان، ٢٠٠٦).

كما كان السلف الصالح من الخلفاء، يختارون من يتصف بالصدق لنصحهم وتوجيههم، حتى لا يضلوا الطريق، فها هو الخليفة أبي جعفر المنصور، يقول لعمرو بن عبيد، عظني يا عمرو، وكان صديقاً حميماً له قبل الخلافة، فقال له: «يا أمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منها ببعضها، وأعلم أن الأمر الذي صار إليك، لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك، وأعلم أنك لست أول خليفة تموت، فأحذر يا أمير المؤمنين ليلة صبيحتها يوم القيامة، ليلة تتمخض بيوم الفزع الأكبر، فبكى الخليفة أبي جعفر المنصور» (الذهبي، ١٩٩٧)، وما أحوج الأمة الإسلامية في هذا العصر إلى مثل هؤلاء الرجال الذين يتحلون بالصدق ولا يخشون في الله لومة لائم، والذين يقدمون النصح بأمانة وإخلاص، لا يبتغون من وراء ذلك إلا مرضاة الله عز وجل.

(٣) قيمة العدل في الإسلام:

العدل قيمة خلقية تتعلق بالحقوق والواجبات معاً، ولا يقتصر على أي منهما، وهو يعني إعطاء كل إنسان ما له وأخذ ما عليه، دون ظلم أو عدوان أو محاباة، وهكذا فإن قيمة العدل تعد ضرورة من ضرورات الحياة، فما من حق إلا ويقابله واجب، فحق الأجير في الأجر، يقابله واجب النهوض بالعمل وفق الشروط المطلوبة، ولقد أكد الإسلام على قيمة العدل، حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾[١]،ويقول جل شأنه: ﴿... وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ...﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿... وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[٣]، ويستلهم الرسول ﷺ هذه المعاني فيحث على إلتزام العدل، حيث يقول ﷺ: «أفضل الناس عند الله يوم القيامة، إمام عادل رفيق» (رواه الطبراني). (الأسمر، ٢٠٠٨).

ويؤكد القرآن الكريم على ضرورة تربية المسلمين على قيمة العدل، اعتقاداً وفكرا وممارسة، فإنه ينفر من الظلم فيقول الله تعالى: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]، ويقول جل شأنه: ﴿... إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٥]، كما تؤكد مدرسة المصطفى ﷺ تربية الناس على ما جاء في القرآن الكريم، فيقول ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (رواه البخاري)، وهو ما يؤكد أن من يركب مراكب الظلم يورد نفسه موارد الهلاك، وما من أمة عم فيها العدل إلا ونهضت وارتقت وعزت.

ويؤكد السلف الصالح قيمة العدل فيعتبرونه أساس الملك، وفي هذا يقول ابن تيمية: «إن الله ينصر الدولة العادلة وان كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة»، كما أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أن الظلم يؤدي إلى فساد العمران وخرابه، وقد كتب أحد العمال إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في تحصين مدينته، فقال له عمر رضي الله عنه «حصنها بالعدل ونقي طرقها من الظلم»، وقال أحد الشعراء:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٥٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

لا تظلمـــن إذا كنـــت مقتـــدرا فـــالظلم يرجـــع عقبـــاه إلـــى النـــدم
تنـــام عينـــاك والمظلـــوم منتبـــه يـــدعو عليـــك وعـــين الله لـــم تـــنم

وتتجلى قيمة العدل بين الحاكم والمحكوم في الخلافة الراشدة، في أول كلمات قالها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد توليه الخلافة: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم ورسوله، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم»، وعلى نفس الدرب سار الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، وهو القائل: «ومن رأى في إعوجاجا فليقومه»، فرد عليه أحد الجالسين في المسجد: والله يا عمر لو رأينا فيك إعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا، وكان عمر بن الخطاب يشتغل يوماً بتقسيم بعض الغنائم، فإذا أحد الحاضرين يقف بينهم ليقول: «اتق الله يا عمر»، فغضب الحاضرون لقوله هذا واستكثروا على أمير المؤمنين أن يقال له هذه الكلمة، فما كان من عمر إلا أن قال لهم: «دعوه يقولها، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها منكم» (حمزة، ١٩٨٩).

بل وتذخر حياة المسلمين الأوائل بمواقف تتجلى فيها قيمة العدل، التي ينبغي أن نربي عليها الأجيال القادمة، نذكر منها موقف أبو يوسف القاضي، الذي جلس مجلس القضاء يوما، فتقدم إليه الفضل بن الربيع شاهدا في قضية، فرفض أبو يوسف شهادته، جن جنون الفضل بن الربيع، وهو يعتبر ذا المكانة الأولى بعد الخليفة آنذاك، وذهب من فوره إلى هارون الرشيد، وشكى إليه ما حدث من القاضي، فاستدعى الرشيد القاضي وسأله لم رددت شهادة الفضل؟ قال: لأني سمعته يقول لك: أنا عبدك، فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد، وان كان كاذبا فلا شهادة لكاذب، ومن يجرؤ على الكذب في مجلسك يا أمير المؤمنين، لا يتورع عن الكذب في مجلس القضاء.

كما تستند التربية الإسلامية للأبناء، على القيم الأخلاقية التي تستشف من حياة السلف الصالح، والتي تجلت في إحقاق الحق واقرار العدل، على الجميع دون تفرقة بين الرعية، سواء كانوا من عامة الناس أو من المقربين، فهذا الخليفة المأمون الذي جلس ليحكم في المظالم، ووقف خلفه إبنه العباس، وإذا بامرأة عليها وعثاء السفر، تندفع داخلة إلى مجلس الحكم قائلة: أنا بالله وبأمير المؤمنين، قال: ومن

ظلمك؟ قالت: هذا الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت إلى العباس إبنه، فقال يا أحمد بن أبي خالد وهو كبير أعوانه خُذ بيده وأجلسه معها مجلس الخصوم.

طلب المأمون من المرأة أن تعرض قضيتها، فتكلمت مبينة أن العباس أخذ ضيعة لها ظلما، وكلما استمرت في الكلام علا صوتها، والعباس يرد بصوت منخفض، فقال لها أحمد بن أبي خالد: اخفضي صوتك يا أمة الله، فانك بين يدي أمير المؤمنين، قال المأمون: دعها يا أحمد فإن الحق أنطقها وأخرسه، ولم ينكر العباس دعواها، فحكم المأمون بأن تُرد عليها ضيعتها، وتُعطى ما تكلفته في سفرها ومثولها أمامه، وأسقط عنها خراج ضيعتها، وأحسن معاملتها، وأشتد على العباس كما لم يشتد أب على ابنه. (الأندلسي، ١٩٩٠)، فما أجمل أن نعلم الأبناء هذه القيم ليشبوا عليها، فيصبح إحقاق الحق، وقول الحق، ولو على أقرب الناس لهم، هو سلوكهم الذي لا يحيدون عنه في حياتهم.

وهذا عمر بن الخطاب الحاكم العادل، الذي جاءه رجل من مصر، يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، يأمره بالقدوم ومعه ابنه، فقدم عمرو بن العاص وقال عمر بن الخطاب: أين المصري؟ خذ السوط فأضرب فجعل يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس فضرب فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما رفع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر بن الخطاب: للمصري إصنع على صلعة عمرو بن العاص، فقال يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر بن الخطاب مقولته الشهيرة، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ قال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني (الصلابي، ٢٠٠٧).

وهذا هو عمر بن عبد العزيز، بعد توليه الخلافة يرسل إلى الحسن البصري، ويطلب منه أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن البصري رحمه الله يقول: (الغزالي، ١٩٩٧).

«اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي

الشفيق على إبله، الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهاً ووضعته كرها، وربته طفلا تسهر بسهره، وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصيٌّ اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم ويمون كبيرهم، وهو كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده، والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله ويُريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين، فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله، وأعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟، وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص منهم؟، وأذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك ويسلمونك إلى مقرك فريدا وحيدا، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل، قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك.

ولا يغرنك يا أمير المؤمنين الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم، إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحا، فأنزل كتابي إليك

كمداوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة، لما يرجوه في ذلك من العافية والصحة، والسلام عليك يا أمير المؤمنين.

كما يؤكد ابن خلدون في مقدمته، أن الظلم مؤذن بخراب العمران، حيث يذكر نصيحة المسعودي في أخبار الفرس عن «الموبذان» الذي قدم نصيحة للمَلك، يقول فيها: «أيها المَلك إن المُلك لايتم عزه إلا بالشريعة، وطاعة الله تعالى، ولا قوام للشريعة إلا بالمُلك، ولا عز للمُلك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة، ولا سبيل إلى العمارة إلا بالعدل، والعدل ميزان منصوب من الرب وجعل له قَيِما، وهو المَلك وأنت أيها المَلك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها، وهم أصحاب الخراج، وأقطعتها الحاشية والخدم والأقارب، فقلت العمارة وخربت الضياع، وقلت الأموال، فلما سمع المَلك ذلك أقبل على النظر في مُلكه، وأنتُزعت الضياع من أيدي الخاصة، ورُدت على أربابها، فعمرت الأرض وأخصبت البلاد، وكثرت الأموال عند جباة الخراج، وأقبل المَلك على مباشرة أموره بنفسه، فحسنت أيامه وانتظم ملكه (ابن خلدون،٢٠٠١).

(٤) قيمة الأمانة في الإسلام:

الأمانة ضد الخيانة وهي قيمة تربوية أخلاقية، تشير إلى خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له بحق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه، دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، فالأمانة أن يعف الإنسان نفسه عن اختلاس أموال الغير، وعن العدوان على الأعراض، وعن العدوان على الحقوق العلمية، وأن تأدية حق النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل مسلم من الأمانة، وتأدية العبد حق الله عليه من الأمانة، وإعطاء كل ذي حق حقه من الأمانة، وبشكل عام فإن الأمين هو الذي يعف عما ليس له به حق، والذي يؤدي لغيره ما يجب عليه من حق، والذي يحفظ ولا يفرط فيما استؤمن عليه من حق. (الميداني، ١٩٩٦).

وعليه فالأمانة عبارة عن استعداد ذاتي لدي الإنسان، يولد شعوراً بضرورة محاكمة الأمور على أساس من الحق والعدل والخير، ووزنها بميزان التقوى والإيمان والفضيلة والشرف، فلا يتجاوز المسلم حقه ليعتدي على حقوق الآخرين، ولا يتجاوز العدل ليرضي تطلعات ذاته، الأمر الذي يؤدي بالإنسان إلى تحويل إرادته إلى سلوك إنساني منضبط، فلا يقول إلا ما يتوافق مع أمانة القول، ولا يعمل إلا وفق معايير

أمانة العمل، وبذلك ينأى بنفسه عن قول ما لا يحسن أن يقوله، وعن عمل ما لا يليق به أن يعمله(الأسمر، ٢٠٠٨).

ومن معاني الأمانة ألا يسند منصب إلا لصاحبه الجدير به، وإذا وُلي غيره لهوى أو رشوة أو قرابة، وتم تنحية القادر وتولية العاجز، فإن ذلك يعد خيانة، قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (الحاكم)، وعن يزيد بن أبي سفيان: قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام، يا يزيد، إن لك قرابة عسَيت أن تؤثرهم بالامارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ: «من وُلي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يَقبِلُ منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم» (الحاكم)، والأمة التي لا أمانة فيها هي الأمة التي تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء، لتهملهم وتقدم من هو دونهم، وقد جاء رجل يسأل الرسول ﷺ متى تقوم الساعة؟ فقال له إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة» (البخاري) (الغزالي، ١٩٩٧).

ومن الأمانة إلا يستغل الرجل منصبه الذي عُين فيه، لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته، قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غُلُول» (أبو داود)، وقال عز وجل: ﴿ ... وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْس مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1]، وقد شدد الإسلام على ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ، بل وأكد على أن الذي يلتزم حدود الله في وظيفته، ولا يخون الأمانه التي كلف بها، يعد عند الله من المجاهدين، قال رسول الله ﷺ: «العامل إذا استعمل فأخذ الحق، وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته» (الطبراني) (الغزالي، ١٩٩٧).

وما أحوج المجتمع المسلم في هذه الأيام، إلى تربية ابنائه على قيمة الأمانة، وما يرتبط بها من سلوكيات، لما شاع من فساد وخيانة في شتى مجالات الحياة، الأمر الذي يؤكد ضرورة الرجوع إلى النبع الصافي المتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وحياة السلف الصالح، لتربية الأبناء على قيمة الأمانة، وتذكيرهم بقول الله

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦١.

عز وجل: ﴿ إِنَّا عَرَضنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَٰوٰتِ وَالأَرضِ وَالجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا وَأَشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَٰنُۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوما جَهُولا ﴾(١).

فالسماوات والأرض والجبال، على الرغم من كبرها، فهي لا تملك استعدادا فطريا لحمل الأمانة، لأنها لا تملك إرادة حرة حتى تُختبر أمانتها أو خيانتها، أما الإنسان فهو يملك هذه الارادة والاستعداد الكامل لحمل الأمانة، أما قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا ﴾، فليس ذلك من أجل أنه حمل الأمانة، ولكن من أجل أنه خان الأمانة بعد أن حملها، وهذا ما هو مشاهد في سلوكه، فلما حمل الأمانة لم يرع حقوقها، وظلم وتعدى وفرط وتهاون في الحقوق، فأثبت بخيانته أنه ظلوم، وتغافل عن المصير السيئ الذي أعده الله للظالمين (الميداني، ١٩٩٦).

وتتعدد القيم التربوية الأخلاقية، التي تشتق من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتي طبقها المسلمون الأوائل في حياتهم فأرتقوا بها أعلى الدرجات، ولا يمكن أن يرقى المجتمع المسلم، إلا بتبني هذه القيم الأخلاقية، وتربية الأبناء عليها، فتصبح جزءاً أصيلاً من شخصياتهم، وتبدو واضحة في سلوكهم اليومي، ومن هذه القيم فضلاً عما ذكر سلفا، قيم الرحمة والوفاء والإخلاص والكرم والحلم والاعتدال والحياء والعفة والعزة والتواضع والشجاعة والإصلاح والحكمة والتقوى وغيره، مع ضرورة عرض مواقف من حياة الصحابة والتابعين، كنماذج عملية تسهم في غرس هذه القيم في الأفراد كباراً كانوا أو صغاراً.

استناداً إلى ما سبق يمكن القول إن القيم الأخلاقية، تُغرس عن طريق ألوان الخبرة التي يمر بها الأبناء، وأنواع الممارسة في الأسرة والمحيط المحلي الضيق الذي يعيشون فيه، ومن ثم يتم بناء القيم الأخلاقية لدى الأبناء من خلال تفاعلهم مع الآخرين، وقد يظن البعض أن المكان الوحيد لاكتساب القيم الأخلاقية هو المدرسة، ولكن الواقع أن القيم الأخلاقية تكتسب من خلال منظمات ووسائط تربوية متعددة، تشمل الأسرة والمدرسة والحي السكني والمسجد والنادي ووسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، بل ويسهم المجتمع بأسره في غرس القيم الأخلاقية.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٥) قيمة الشورى في الإسلام:

تعد الشورى من أهم القيم، التي جاء بها الإسلام، متمثلا في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، يقول تعالى: ﴿... وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، وهذه القيمة تؤكد أن العصمة لا تكون لبشر، حتى ولو كان هذا البشر نبياً من الأنبياء أو رسولا من الرسل، ومحمد ﷺ معصوم من الخطأ في تبليغ الرسالة، ولكنه ليس معصوما عند الاجتهاد في الرأي، فكان الرسول ﷺ على سمو منزلته وكمال عقله وخلقه، بشرا وكان في حاجة إلى الرجوع إلى أصحابه يستشيرهم ويقف على آرائهم ليتخذ قراره، فكان ﷺ يعمل على تأصيل مبدأ الشورى بين المسلمين (حمزة، ١٩٨٩).

ويأتي من المواقف التي تؤكد حرص الرسول ﷺ على الشورى واحترام الرأي، موقفه في غزوة بدر، عندما اختار هو وكبار الصحابة مكانا لهم ولبقية الجيش ينزلون فيه، فقال «الحباب بن المنذر» للرسول ﷺ: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال له الرسول ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب: يا رسول الله فإن هذا ليس لك بمنزل، فأنهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزل، وتردم الآبار وتبني لنا حوضا نملؤه بالماء، فنشرب ولا يشربون، ففعل رسول الله ﷺ ما أشار به الحباب، وفي غزوة الخندق أو الأحزاب أشار سلمان الفارسي على الرسول ﷺ أن يحفر خندقا حول المدينة ليدرأ عنها الخطر، فعمل الرسول ﷺ بمشورته، واشترك بنفسه في حفر الخندق، ثم جاء الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ فأرسوا قواعد الشورى، وكان أحدهم لا يقطع بأمر حتى يرجع فيه إلى أهل الحل والعقد من كبار الصحابة (حمزة، ١٩٨٩).

(٦) قيمة بر الوالدين في الإسلام:

يعد بر الوالدين قيمة تربوية وأخلاقية، أوصى بها القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]، وبر الوالدين يكون باطاعتهما ما لم يكن في حرام، والإنفاق عليهما، والأدب في معاملتهما، وتؤكد السنة النبوية بر الوالدين وخدمتهما، حيث جاء

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال ﷺ: «أَحَي والداك؟ قال: نعم، قال ففيهما فجاهد» (رواه البخاري)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»، وهو تأكيد لقيمة بر الوالدين باعتبارها قيمة تربوية أخلاقية، تسبق في أهميتها قيمة الجهاد في سبيل الله تعالى.

وقيمة بر الوالدين تنجي صاحبها من المهالك، ويتجلى ذلك في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت الغار، فقالوا لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رسول الله ﷺ: «قال: رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، فنأى بي طلب شجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فأنفرجت الصخرة إلا قليلاً.

قال آخر: اللهم كانت لي إبنة عم أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها فأمتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى قدرت عليها، فقالت لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، اللهم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فأنفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين وقال لي: يا عبد الله أدِّ لي أجري، فقلت: كل ما ترى من الإبل والغنم والبقر من أجرك فخذه، فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فلم يترك منه شيء، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك الكريم، ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون» (رواه البخاري).

أما تصرف الأب في مال الإبن، فجاء تفصيله في سنة المصطفى ﷺ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن

أبي أخذ مالي، فقال النبي ﷺ للرجل: فائتني بأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك إذا جاءك الشيخ فأسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله؟ فقال سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي، فقال له رسول الله ﷺ دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك؟ فقال الشيخ: والله يا رسول الله، ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناي، قال ﷺ: قل وأنا أسمع، فقال الشيخ: (القرطبي، ٢٠٠٨).

غـــذوتك مولـــوداً وعُلتـــك يافعـــا	تُعَــلَ بمـا أحنـي عليـك وتُنهِـلُ
إذا ليلـة ضـافتك بالسُّـقم لـم أبِـت	لســـقمك إلا ســـاهرا أتململ
كـأني أنـا المطـروق دونـك بالـذي	طُرِقـتَ بـه دونـي فعينـاي تَهمَـل
تخـاف الـردى نفسـي عليـك وإنهـا	لـتعلم أن المـوت وقـت مؤجـل
فلمـا بلغـت السـن والغايـة التـي	إليها مـدى مـا كنـتُ فيـك أؤمـل
جعلـت جزائـي غلظـة وفظاظـة	كأنـك أنـت المـنعم المتفضـل
فليتـك اذ لـم تـرع حـق أبـوتي	فعلت كما الجار المصاقب يفعل
فـأوليتني حـق الجـوار ولـم تكـن	علـيّ بمـال دون مالـك تبخـل

قال فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب الإبن وقال له: «أنت ومالك لأبيك»، ما أعظم هذه التربية المحمدية، التي تؤكد للأبناء أن كل ما يملكونه، وكل ما وصلوا إليه من نعم كثيرة وعلم ومال، يرجع الفضل فيه لآبائهم، بعد فضل المولى عز وجل، وهي دعوة مستمرة تذكر الأبناء بضرورة بر الآباء والإحسان إليهم.

ويشير القرآن الكريم إلى بر الأنبياء بآبائهم، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، يتلطف في دعوته أبيه إلى الله، فلما نهره أبوه قابله بالرفق والاستغفار، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا(٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا(٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَاطا سَوِيّا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ

عَصِيًّا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَاب مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّا (٤٥)﴾[1]، كما امتدح الله تعالى بر يحيى عليه السلام بوالديه، فقال سبحانه: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّا (١٢) وَحَنَانا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّا (١٣) وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّا (١٤)﴾[2]، أما بر عيسى عليه السلام بوالدته فجاء في قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيّا (٣٠) وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّا (٣١) وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِى جَبَّارا شَقِيّا (٣٢) ﴾[3].

وهكذا يحكي لنا القرآن الكريم قصة بر الوالدين، على لسان الأنبياء والرسل، ليبين للمسلمين أهميتها وضروة تطبيقها، باعتبارها قيمة تربوية أخلاقية، لها فوائد عديدة في تكفير الذنوب، ونيل الدرجات العلا من الجنة، أما السنة النبوية فقد جعلت بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله تعالى، وعلى الحج، وعلى زيارة الرسول ﷺ.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يسأل أهل اليمن، أفيكم أويس بن عامر القرني؟ قال: نعم، قال عمر رضي الله عنه من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال عمر رضي الله عنه فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال عمر رضي الله عنه لك والدة؟ قال: نعم، قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن، وكان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استعطت أن يستغفر لك فافعل، فأستغفر لي فأستغفر له، فقال له عمر رضي الله عنه أين تريد؟ قال: الكوفة، قال عمر رضي الله عنه ألا أكتب إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي (سويد، ١٩٩٤)، وهي تشير إلى كرامة ومكانة بر الوالدين عند الله تعالى.

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١-٤٥.
(٢) سورة مريم، الآيات: ١٢-١٤.
(٣) سورة مريم، الآيات: ٣٠-٣٢.

خامساً: أصول التربية الاجتماعية في الإسلام

مقدمة:

يولد الإنسان وهو على حالة شديدة من الضعف، وهو في حاجة ماسة ولفترة طويلة، لمن يحيطه بالرعاية والتربية ويوفر له الأمن والحب، ويشبع حاجاته المختلفة، ولقد أنعم الله عز وجل على هذا الإنسان بنعمة العقل، حيث يولد ولديه استعدادات معرفية وبيولوجية، تجعله قادراً على التعلم والإدراك والفهم، فيبدأ بالمحسوسات ليمارس أبسط أشكال التفكير، وتدريجياً ينتقل للمجردات ليمارس العمليات العقلية المعقدة، كما أنعم الله على الإنسان بالنظام الاجتماعي، الذي يوفر لهذا الوليد كل أسباب الرعاية والأمن، فكان بناء الأسرة المسلمة من أهم أركان بناء المجتمع المسلم، بل وجعل الإسلام رعاية الأبناء، حق مكفول لهم، حتى يبلغوا أشدهم، ويتولوا مسؤلياتهم بأنفسهم في المجتمع.

ومن الناحية الإجتماعية، فإن الإنسان لا يولد كائن اجتماعي، وإنما يولد بقابليات واستعدادات ليصبح كائن اجتماعي، من خلال منظمات التنشئة الإجتماعية، التي تصقل سلوكه الإجتماعي، بدءًا من الأسرة وانتهاء بالمجتمع، وهذا يؤكد أن الإنسان لا يولد ولديه سلوكيات اجتماعية جاهزة للتفاعل مع المجتمع، وإنما يكتسب هذه السلوكيات تدريجياً ليصبح كائناً إجتماعياً مع مرور الوقت، الأمر الذي يجعل التربية حتمية إجتماعية، وضرورة لقيام المجتمع، حيث يتم تعهد المولود البشري بالتنشئة الاجتماعية (العتوم، ٢٠٠٨).

وتسهم التنشئة الإجتماعية، في بناء الإنسان ومن ثم بناء المجتمع، حيث يمر الإنسان بعملية تطبيع اجتماعي، يكتسب من خلالها المعارف والعادات والمفاهيم والمعايير الاجتماعية، وأنماط السلوك والقيم، وطرق التفكير، فيصبح حاملا لثقافة المجتمع، وعليه يتم من خلال التنشئة الاجتماعية تحويل الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، قادر على التكيف والتفاعل بإيجابية مع مجتمعه، ومن ثم يصبح عاملاً جوهرياً في بناء وتطوير المجتمع.

إلا أن نتائج هذه التنشئة الاجتماعية، رهن بالبيئة المحيطة بالمولود البشري، وما إذا كانت بيئة إيجابية توفر له أسباب الإعداد الجيد، من جميع الجوانب وفي

ضوء قيم الإسلام الحنيف، أم بيئة سلبية تعرقل النمو الطبيعي للإنسان، وتطمس الفطرة الإنسانية التي وهبها المولى سبحانه للإنسان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أوينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم قول الله عز وجل: ﴿... فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ...﴾[1]، وحديث الرسول ﷺ يؤكد أهمية البيئة المحيطة بالإنسان، فإذا كانت إيجابية فإنها تدعم الفطرة، وتعزز نموها في الاتجاه السليم، أما إذا كانت سلبية، فتصبح معوق لنمو الإنسان، في الاتجاه الإيجابي، الذي يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والبناء الجيد للإنسان يتبعه بناء جيد للمجتمع.

التربية الإسلامية وبناء المجتمع المسلم:

إن بناء عقل وفكر وقلب الإنسان، وطريقة تفكيره ومشاعره وقيمه التي تُملي عليه السلوك، يعد من العوامل الفاعلة في بناء المجتمع المسلم، الأمر الذي أخذ حيزا كبيراً في القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، وإذا كانت المجتمعات الغربية هي التي تضع التشريعات والقوانين، وتعمل على تطويرها وفقاً لمقتضيات الظروف المتغيرة، فإن المجتمع المسلم على خلاف ذلك تماما، لأن المجتمع المسلم هو من صنيعة الشريعة الإسلامية، وليس صانعها، حيث استهدف الإسلام منذ اللحظة الأولى، بناء الإنسان العابد والمجتمع المسلم، كأساس للمجتمع الصالح، الذي يطبق شرع الله سبحانه، ويحقق استخلاف الإنسان في الأرض، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿... إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ...﴾[2]، والخليفة هنا هو الإنسان.

وعليه فإن بناء الإنسان العابد، الذي يحقق الخلافة في الأرض، والذي يعد النواة الحقيقية لبناء المجتمع المسلم، يتم من خلال التربية الإسلامية التي تشتق منهجها وأهدافها وأساليبها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتي تقوم على قيم التكافل الاجتماعي، الذي يزرع الحب والمودة في القلوب، وهو ما يسهم في بناء الوفاق والتآلف بين أفراد المجتمع، وبناء العلاقات الاجتماعية على أسس وقيم

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

الشريعة الإسلامية، ومن ثم التغلب على كل ما يعترض المجتمع المسلم من مشكلات، فضلاً عن تحقيق الضبط الاجتماعي، وتطبيق عقوبات الحدود الإسلامية، باعتبارها الضامن الأساسي للأمن الاجتماعي، وتربية للخارجين على نظام المجتمع المسلم، كما تعمل التربية الإسلامية في نفس الوقت على تربية الأفراد على الإعتدال والوسطية، التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، بهدف بناء مجتمع مسلم متطور ومتحضر، وقادر على العمل والمشاركة في مجتمع المعرفة المعاصر، وفق قيم وضوابط الشرع الإسلامي، وفيما يلي توضيح ذلك:

التربية الإسلامية والتكافل الاجتماعي:

إن تربية الإنسان والجماعة على التكافل الاجتماعي، تسهم في تحقيق أهداف التربية الإسلامية، التي تؤكد على بناء المجتمع المسلم، من خلال تربية أعضائه على قيم المسؤولية الفردية والاجتماعية، بحيث تتلاقى كل القوى الإنسانية في المجتمع، للمحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار وإقامة المجتمع على أسس سليمة، وهو ما يتضح من تربية المصطفى ﷺ لتحقيق التكافل الاجتماعي، بقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وعليه فإن تربية الإنسان المسلم على التكافل الاجتماعي، هدف تربوي لايعالج أزمات اجتماعية فحسب، وإنما يغرس قيم أخلاقية تعبر عن صفات وخصائص المجتمع المسلم، حيث يسمو الإسلام بمعنى التكافل الاجتماعي، فيرفعه عن مجرد المشاركة في لقمة العيش، والحاجات المادية فحسب، إلى التكافل المعنوي، وهو يتضمن قيم تربوية إسلامية متنوعة كالحق في النصيحة، وحق التعليم، والحرية وحق الجار، وهذا وإن لم يكن به مدد مادي، ففيه غذاء روحي لمن يحتاج، والتكافل الإجتماعي بهذا المعنى يعد أحد مقومات العدالة في المجتمع المسلم (محمود، ١٩٩٢).

كما أن تربية الإنسان على التكافل الإجتماعي، تساعده على أن يعرف ما له من حقوق فيأخذها، وما عليه من واجبات فيؤديها، فيعطي كل ذي حق حقه، من غير تقصير ولا إهمال، وأن يدفع الضرر عن الضعفاء، ويسد عجز العاجزين، كما يجب ان توزع الأعمال بمقدار المواهب، حتى يقوم المجتمع على قيم الإسلام الحنيف، الذي يربي الناس على المساواة في الحقوق والواجبات، كما يجب أن تكون نتائج الأعمال

بمقدارها، فذو الكفاية الممتازة يكون له من الثمرات بمقدار كفايته، وذو الكفاية المحدودة يكون له بمقدارها، من غير تجاوز ولا شطط، وأن يوضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، حسب قدراته وإمكاناته، ومن ثم يتقدم لخدمة المجتمع أصحاب الكفاءات، مع ضرورة سد حاجة المحتاجين والعاجزين (أبو زهرة، ١٩٨٧).

وعليه فإن كل فرد مكلف، أن يرعى مصالح الجماعة، كأنه حارس لها، ومن ثم يجب تربية أعضاء المجتمع المسلم، على التعاون والتكافل الذي يشعرهم بأنهم في سفينة واحدة في عرض البحر، والكل مشارك في الحفاظ عليها، وليس لأحد منهم أن يخرق موضعه منها باسم الحرية الفردية، يقول المصطفى ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا في سفينة، فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم اسفلها، فكان الذين في اسفلها إذا إستقوا مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» (رواه البخاري)، وهو تصوير رائع لتشابك المصالح في المجتمع المسلم، يؤكد على مصلحة الفرد والجماعة معا، وأن مصلحة الفرد لا تكون أبدا بمعزل عن مصلحة الجماعة، وكذلك مصلحة الجماعة لابد أن تصب في مصلحة الفرد، وهو ما يجعل من المجتمع المسلم وحدة واحدة، متكافلة فيما بينها يراعي بعضها بعضا، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وهي اسمى صورة للتكافل الاجتماعي في الحياة.

وللتكافل الاجتماعي أنواع متعددة، تتكامل مع بعضها لتنتج مجتمعا قوامه الهدى، وعماده التقى وتسوده المحبة وتعمه المودة، ومن صور التكافل الاجتماعي (التكافل المادي) الذي يؤكده قول المصطفى ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله له في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (رواه مسلم)، و(التكافل النفسي) الذي يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء والضراء، وذلك يصدقه قول الرسولﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

و(التكافل العلمي) وهو أن يبذل المسلم العلم لإخوانه، ولا يكتمه عنهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه

الله بلجام من نار يوم القيامة» (رواه الترمذي)، وكان من السلف الصالح من يتفقد أولاد أخيه، بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم وينفق عليهم من ماله، وكان الواحد منهم يتردد على دار أخيه، ويسأل ويقول: «هل لكم زيت هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بذلك من حيث لا يعلم أخيه» (عبد المعطي، ٢٠٠٠).

استناداً إلى ما سبق فإن التربية الإسلامية، تعمل على إعداد الإنسان المسلم الذي يرعى مصالح الآخرين في المجتمع، والذي يتسلح بقيم الأمانة والإخلاص والحب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإنسان الذي يحمل هم أمته الإسلامية، فيرعى مصالح المجتمع كما يرعى مصالحه الخاصة، ويتعاون مع الآخرين على البر والتقوى والعمل الصالح، الإنسان الذي يعرف حقوقه وواجباته، ويسهم بكل امكاناته في مساعدة المحتاجين، وسد عوز المعوزين، ومن ثم بناء مجتمع مسلم متكافل ومتعاون على كافة المستويات.

وكان هذا المجتمع حاضراً في عهد الرسالة، وفي عصر الخلافة الراشدة، حيث يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولّي قاضياً على المدينة المنورة، في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وظل عام كامل ولم يختصم إليه إثنان، فطلب من أبي بكر أن يعفيه من مهمة القضاء، فقال له أبو بكر: أمِن مشقة القضاء تطلب الاعفاء يا عمر؟ فقال: لا يا خليفة رسول الله، ولكن ليس لي حاجة عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم ما له من حق، فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب، فلم يقصر في أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب وإسوه، دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيم يختصمون؟ (مصطفى، ٢٠٠٤).

التربية الإسلامية وعمليات الضبط الاجتماعي:

يقصد بالضبط الاجتماعي ما تضعه الجماعة من معايير وتنظيمات تطبق على جميع الأفراد، من أجل أن تضمن لكل إنسان أن يمارس حريته،، دون أن يضر ذلك بحرية الآخرين، ويظن كثير من الناس أن الضبط ينافي الحرية، وأن الفرد يتمتع بالحرية بالقدر الذي يختفي فيه الضبط، إلا أن الحقيقة عكس ذلك، فالتصرف بحرية مطلقة دون ضبط لابد أن يؤدي إلى اختفاء هذه الحرية، لأن المنطق الذي سوف يسود هو أن تكون الحرية للأقوى، وفوق كل قوي قوي آخر،

الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى شريعة الغاب، ويضع الإنسان مجموعة من القوانين والتنظيمات من أجل الضبط الاجتماعي، وتسمى بالضبط الخارجي، أي الناتج عن خوف من عقاب أو طمع في ثواب، وهذا الضبط الخارجي على أهميته وضرورته، إلا أنه وحده غير كاف، إذ لابد من الوجه الآخر للضبط، إلا وهو الضبط الداخلي، وهو مجال عمل التربية الإسلامية في المجتمع، حيث يتم بناء ضمير وفكر وقناعات الإنسان، ليسلك وفقاً لما يمليه عليه ضميره الممتلئ بالإيمان، فيأتي سلوكه خالصاً لوجه الله تعالى، وهو ما يسهم بفاعلية في بناء المجتمع المسلم (علي،٢٠٠١).

وعليه فإن قضية الضبط الاجتماعي، ترتبط بقضية هامة وهي الحرية، وعلاقة هذا وذاك بقضية التربية الاجتماعية الباعثة على الإبداع والابتكار، حيث يتخوف البعض من تجاوز عمليات الضبط، بحيث تزيد الحدود المرسومة لمراعاة النظام، وتضيق هوامش الحرية المتاحة، الأمر الذي لا يوفر مناخ مناسب للإبداع والابتكار، إلا أنه من الضروري التمييز هنا بين ضبط السلوكيات العملية وضبط التفكير، فمثلاً لا تترك الحرية للطالب يفعل ما يريد، كأن يحضر أو لا يحضر، يغني أو يدخن، أو يستخدم التليفون المحمول، أو يسمع الأغاني في قاعات الدرس، فهذا مما يقع في منطقة السلوكيات العملية، التي تحتاج إلى ضبط محكم ونظام دقيق يتسم بالحسم والمساءلة وعدم المجاملة، أما منطقة التفكير فلابد أن تتسع فيها مساحة الحرية إلى حد كبير، فلا يحجر على فكر أو رأي، بل ولا نجبر الطالب على أن يفكر كما نفكر نحن، بل يعطى فرصة لأن يفكر بشكل حر، ويبدي رأيه دون خوف أو قيد، الأمر الذي يقود إلى بناء جيل مفكر ومبدع، فيسهم بشكل واقعي في بناء المجتمع المسلم (علي،٢٠٠١).

التربية الإسلامية والوسطية وعدم الغلو:

إن الغلو في الدين قضية قديمة قدم الأديان على هذه الأرض، أبتلي به أناس على مدار التاريخ البشري، إما بدافع الحرص على تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل، مما أبعدهم عن الطريق السوي الذي ارتضاه الله تعالى لعبادته، لأن اجتهادهم لم يرتكز على فهم مقاصد النصوص الشرعية، وإما بسبب التقليد الأعمى لأصحاب الأهواء والمصالح الدنيوية، الذين خانوا الأمانة في تبليغ الدين الحق، والغلو في الدين موجود في أتباع جميع الديانات، بما فيهم دين الإسلام، وقد تعددت أشكال الغلو في

الدين في هذا العصر، كما تعددت أسبابه ودوافعه، الأمر الذي إكتسب أهمية كبرى شغلت أذهان رجال العلم والدين والفكر والسياسة، في البحث عن دوافع وأسباب الغلو بهدف علاجه والتخفيف من آثاره الضارة على المجتمع المسلم (اللويحق، ١٩٩٨).

ولقد أوصد الإسلام كل أبواب الغلو والتشدد، وتضمنت التربية الإسلامية المشتقة من القرآن والسنة، طرائق متنوعة لمكافحة الغلو، وتطهير عقول وحياة المسلمين من شر الغلو وبوائقه، حيث أكد القرآن الكريم ميزان التوسط والاعتدال، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّة وَسَطا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ... ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاما ﴾[2]، وقول الله سبحانه: ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ...﴾[3]، وقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوما مَّحْسُورًا ﴾[4]، وغيره من الآيات التي تؤكد تربية المسلم على القصد والاعتدال والوسطية.

ومن هدي التربية النبوية في علاج الغلو والتشدد، أن النبي ﷺ دخل المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به، فقال ﷺ: «حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد»، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا أين نحن من النبي ﷺ؟ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (رواه البخاري).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

كما أن مفهوم الوسطية الذي ينبغي أن يتربى عليه المسلم، هو مفهوم يرتبط بلغة القرآن الكريم وما يتضمنه من قيم ومواقف، تعبر عن معاني الاعتدال والاستقامة والتوازن، بين الدين والدنيا، وبين العقل والنقل، وبين الوحي والنص، وبين الجبر والاختيار، وقد استطاع منهج أهل السنة، وما يمثله من أئمة كبار، مثل أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل، أن يحافظ على الوسطية التي أقرها القرآن الكريم، وجعلها قيمة تربوية مؤثرة في تفكير وسلوك الإنسان المسلم، وحق من حقوق المجتمع المسلم، أكده القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما يجعل الانحراف عن الوسطية، انحرافاً عن الفكر السليم والطريق المستقيم الذي رسمه الإسلام، الأمر الذي يتطلب عملاً تربوياً يعيد الإنسان المسلم إلى الوسطية والاعتدال، لما تتضمنه من خير للإنسان والمجتمع على حد سواء.

سادساً: أصول التربية الجنسية في الإسلام

مقدمة:

بالرغم من عناية الإسلام بتربية الناشئة، من جميع الجوانب وإعدادهم للحياة، وبالرغم من عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بالتربية الجنسية للأبناء متمثلة في العناية بآداب الاستئذان والنظر والحجاب والزواج وغيره، إلا أن التربية الجنسية للأبناء أُغفلت من قبل أولياء الأمور، بل ومن المنظمات التربوية والتعليمية في المجتمعات الإسلامية، عن قصد أو بدون قصد، نظراً لخصوصية وحساسية هذا النوع من التربية من ناحية، وعدم وعي الآباء بأهمية التربية الجنسية للأبناء من ناحية أخرى، الأمر الذي جعل الأبناء يتلقون معلوماتهم وثقافتهم الجنسية، من أصدقائهم وزملائهم أو غيره من المصادر، التي غالبا ما تقدم معلومات خاطئة، تتسبب في انحراف الأبناء.

حيث ينظر البعض إلى التربية الجنسية، على أنها موضوع حساس وشائك، ولا ينبغي مصارحة الطفل أو المراهق بالأمور الجنسية، واعتبروا الجوانب المعرفية المرتبطة بالحياة الجنسية، من الأمور المخلة بالآداب العامة، وعليه أحيطت الأمور الجنسية بغلاف من التحريم والتكتم والتجاهل، وهو ما يؤدي بدوره إلى نتائج سلبية، نظراً لأن التربية الجنسية ضرورة تستهدف بناء مجتمع طاهر، وتحقيق الحياة

الفاضلة لجميع أفراده، في ضوء ضوابط الشريعة الإسلامية، ولقد رفع الإسلام الحرج في مجال التربية الجنسية، وأعتبر أحكام البلوغ والمباشرة الزوجية من صلب الدين، ومن الواجبات الشرعية التي ينبغي أن يعرفها المسلم، لأن الدافع الجنسي غريزة فطرية وقوة حيوية، أوجدها الله عز وجل في الإنسان لتأمين بقاؤه واستمراره (معدي، ٢٠٠٤).

وتعد التربية الجنسية جزء من التربية الإسلامية للنشئ، وهي تقوم على توعية وتثقيف الأفراد بالموضوعات المرتبطة بالجنس، وما يتبعها من أحكام شرعية وقيم أخلاقية، منوط بالشباب أن يعرفها ويتعامل معها بوعي والتزام، كما وضع الإسلام ضوابط وحدود ينبغي الإلتزام بها عند التعبير عن الغريزة، ونشر الوعي بالتربية الجنسية، وذلك على عكس الغرب الذي أفرط في التعامل مع الغريزة، وإشباعها بطرق مختلفة، وهو ما أسهم في نشر الرذيلة والانحراف في هذه المجتمعات (عثمان، ٢٠٠٧).

لقد عني الإسلام بالتربية الجنسية التي لا تقوم على إثارة المشاعر وتهيج الغريزة الجنسية، بل تهذيبها وتربية الأفراد وبناء سلوكهم، بحيث يتصرفون إزاء هذه الغريزة بتوازن، وبضوابط الشرع الإسلامي، وهذه التربية تبدأ منذ الصغر، وبشكل تدريجي يتناسب ومراحل عمر الأفراد، بحيث تجعلهم وقافين عند حدود الحلال والحرام، فلا تهاون ولا ميوعة ولا استهتار، ولا تعدي على الحدود والأعراض، وإنما مسؤولية والتزام بآداب الإسلام في غض البصر، وآداب الاستئذان، ومنع الاختلاط والالتزام بالحجاب، كي يسعد الفرد في حياته، ويشعر بالأمن والاطمئنان والسعادة(عثمان، ٢٠٠٧).

مفهوم وأهداف التربية الجنسية في الإسلام:

مقدمة:

ينظر الإسلام للجنس على أنه حقيقة بيولوجية، وجانب أساسي من جوانب الفطرة البشرية، وبدونها لا يمكن استمرار الحياة، وعليه لا يمكن أن يكون هناك تصادم بين شرع الله وبين الدوافع الفطرية التي خلقها الله سبحانه في الإنسان، وقد اعترف الإسلام بالغريزة الجنسية باعتبارها طاقة حيوية فرفعها وطهرها، قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ...﴾[1]، فالجنس شهوة مستحبه وليست كريهة، واعتبر الإسلام تصريف الشهوة بالحلال من الأعمال الصالحة التي يثاب عليها المسلم.

كما يتضح موقف الإسلام من الجنس، في الزواج الذي شرعة الله عز وجل، لتلبية الحاجات الغريزية الجنسية، حتى لا يتجاوز الإنسان فطرته فيسلك سلوكاً منحرفا يصطدم مع غريزته، ووضع الإسلام ضوابط أساسية للحد من جموح الغريزة الجنسية، بما يحقق مصلحة الفرد والمجتمع، فيحل المتاع الجنسي في نطاق الزواج الحلال، ويحرمه خارج هذا النطاق، ولذلك يدعو الإسلام إلى التبكير في طلب الزواج في حالة الإستطاعة، أما إذ لم يتيسر للمسلم الإستطاعة، فقد دعاه إلى التمسك بحبل الإستعفاف والتسامي، قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ...﴾[2] (معدي، ٢٠٠٤).

مفهوم التربية الجنسية:

يتضمن المعنى العلمي للتربية الجنسية، على الحقائق الجنسية البيولوجية الصحيحة، والرعاية الجسمية التي تساعد الفرد على تكوين اتجاه سوي، يقوم على تلك الحقائق ويؤثر في سلوكه، ويرتبط ارتباطاً مباشرا بمعايير الجماعة وقيمها، المشتقة من مصادر التشريع الإسلامي، وتشير التربية الجنسية إلى تقديم المعلومات والمعارف العلمية والخبرات الصالحة والاتجاهات السليمة إزاء الموضوعات الجنسية، وذلك في إطار تعاليم الإسلام والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، مما يؤهله لحسن التكيف مع المواقف الجنسية في مستقبل حياته، ويصبح قادراً على أن يعبر عن رغبته الجنسية بصورة مشروعة تتوافق وضوابط الشرع الإسلامي، وتؤدي إلى الاستقامة والاستقرار العاطفي والشعور بالسعادة في حياته (زهران، ١٩٨٣) و(عثمان، ٢٠٠٧)، كما تعرف التربية الجنسية بأنها عملية تربوية تستهدف تأمين الدافع الجنسي وتوجيهه في إطاره السوي الذي تقره التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع الإسلامي (معدي، ٢٠٠٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

وعليه فإن التربية الجنسية، تشير إلى تنمية وعي الأبناء، وبناء معارفهم المتعلقة بالجنس، ومصارحتهم بما يتعلق بالغريزة، حتى يشبوا على فهم وإدراك الحلال والحرام المرتبط بالسلوك الجنسي، ويتم رفع وعي الأبناء بالسلوك المرتبط بالجنس، بشكل تدريجي يتناسب والمراحل العمرية التي يمرون بها ذكوراً كانوا أو إناثاً. ففي سن ما بين (٧-١٠) سنوات، يربى الطفل على آداب الاستئذان وآداب النظر، وفي سن ما بين (١٠-١٦) سنة، يربى المراهق على الوعي بالتغيرات الجنسية التي تحدث في جسمه، وعلى تجنب الإستثارة الجنسية، أما ما بين سن (١٦-٢٠) سنة، يربى المراهق على معرفة آداب الإتصال الجنسي المرتبط بالزواج، كما تقدم له معلومات عن أهمية أن يصون الشباب نفسه من الانحراف، بالصوم وممارسة الرياضة، فضلاً عن تعريفهم بعقوبة الزنا في الإسلام، وتبصيرهم بالأمراض المرتبطة بالجنس.

كما يأتي من بين أهمية التربية الجنسية للأبناء، حمايتهم من بعض الحملات الإعلامية المغرضة، التي تنشر الفساد وتعرض الفتن، فتعمل على تحصينهم ضد الانحرافات، وتحميهم من الوقوع في براثن الفساد، فضلاً عن دور التربية الجنسية في إيجاد حوار هادف بين الأبناء والآباء، حوار يتصف بالثقة والصراحة ويبعد عن الخوف أو القلق أو الخجل، بحيث يؤدي إلى فهم سليم وصحيح لأسئلة الأبناء واستفساراتهم المرتبطة بالموضوعات الجنسية، وهو ما يسهم في نموهم بشكل صحي وصحيح وفق مبادئ وقيم الإسلام (عثمان، ٢٠٠٧).

أهداف التربية الجنسية:

تهدف التربية الجنسية للأبناء، إلى إعدادهم وبناء شخصياتهم، على المستوى الجنسي والجسمي والصحي، والأخلاقي والنفسي والاجتماعي والعقلي، لأنها تزود الأبناء بالاتجاهات العاطفية والعادات الصحية، والضوابط والقيم الأخلاقية، فضلاً عن مراعاة الآداب الإجتماعية في التعامل مع الآخرين، وكل ذلك له آثاره النفسية التي تشعر الفرد بالاحترام والسعادة، وعموما تهدف التربية الجنسية إلى تحقيق ما يلي (عثمان، ٢٠٠٧):

- ❖ إدراك مفهوم التربية الجنسية، وأهميتها في توجيه السلوك الإنساني وتفسيره دون إفراط أو تفريط.

- ❖ إدراك وفهم خطورة الأفكار التي تفسر السلوك الإنساني كله على أساس الغريزة الجنسية.
- ❖ إدراك وفهم الحقائق والمعلومات المتصلة بالتمايز بين الجنسين، وأهمية هذا التمايز في الأسرة والمجتمع.
- ❖ تهيئة مناخ يدعم ويعزز الحوار بين الآباء والأبناء، ويشجعهم على طرح الأسئلة، والإجابة عليها بصراحة ووضوح من قبل الآباء، وإعدادهم للحياة المستقبلية.
- ❖ مساعدة الأبناء على استيعاب المعلومات المرتبطة بالجنس، كالبلوغ والاحتلام والعادة الشهرية وغيره، مما يساعدهم على فهم هذه المرحلة والتغيرات المصاحبة لها.
- ❖ إدراك وفهم المشكلات الجنسية، كالاستمناء والزنا واللواط والسحاق، وأسبابها وأضرارها على الفرد والمجتمع.
- ❖ تنمية الضمير الحي فيما يتعلق بالسلوك الجنسي، بحيث لا يقوم به الفرد إلا إذا كان متوافقاً وتعاليم وضوابط الإسلام، ويشعره بالاحترام والرضا.
- ❖ تنمية الاستقرار العاطفي والانفعالي لدى الفرد، ومساعدته على بناء علاقات إجتماعية سوية مع الآخرين.

مداخل التربية الجنسية في الإسلام:

تتعدد مداخل التربية الجنسية في الإسلام، وهي تبدأ مع الأفراد منذ الصغر، وفيما يلي توضيح لأهم هذه المداخل:

١- آداب الحديث:

يأتي ضمن أهم مداخل التربية الجنسية، أدب الحديث، والمقصود به هنا، هو أدب استخدام العبارات والألفاظ، للتعبير عن الموضوعات المرتبطة بالجنس، حيث يُوصَى بعدم استخدام العبارات أو الألفاظ الجنسية المباشرة، وإنما يفضل استخدام الكناية، كما علَّمنا القرآن الكريم، الذي استخدم الألفاظ العفيفة، عند التعبير عن المواقف، المرتبطة بالمسائل الجنسية، وعلى سبيل المثال إقرأ سورة يوسف ولاحظ الأدب الراقي في التعبير عن المواقف المرتبطة بالجنس، كما أن القرآن الكريم عندما

يعبر عن العلاقة الجنسية، نجده يعبر عنها بأدب جم وبشكل لا يخدش الحياء، وإنما ورد في القرآن الكريم كلمات منها «المس، النكاح، الرفث، الحرث، الاتيان وغيره»، حيث يقول عز وجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ... ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ... ﴾[2]، وهكذا يقدم القرآن الكريم إشارات واضحة للمربي الذي يقوم بالتربية الجنسية، لأن يعتمد أدب الحديث الراقي مع الأبناء، فلا يستخدم إلا الألفاظ العفيفة التى لا تخدش الحياء.

٢- آداب النوم:

يشير مفكرو التربية إلى حقيقة هامة ألا وهي ضرورة أن ينام الطفل في غرفة مستقلة، بعيداً عن غرفة الأب والأم، وذلك ابتداء من سن العامين بهدف تعويده على الإستقلال والاعتماد على النفس من ناحية، وحتى لا يرى أمورا لا يجدر أن يراها أو يطلع عليها من ناحية أخرى، ويوصي الإسلام على التفريق بين الأبناء في النوم في السنة العاشرة من عمرهم، حيث تنمو لديهم الغريزة، الأمر الذي يتطلب عدم نوم الأبناء في سرير واحد، أو تحت غطاء واحد، مصداقاً لقول الرسول ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه الحاكم)، فضلاً عن ضرورة تربية الأبناء على سنة محمد ﷺ التي تحث على الوضوء عند النوم، والنوم على الشق الأيمن، وقراءة أذكار النوم، حيث يقول المصطفى ﷺ «اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن» (رواه الحاكم).

٣- آداب الاستئذان:

إن الحكمة من الاستئذان أن تُحفظ حرمة البيوت، فلا تكون عرضة للاستباحة، ومن ثم لا يدخلها أحد إلا بعلم أهلها وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا الناس عليها، لذلك أدب الله عز وجل المسلمين بهذا الأدب الرفيع، الذي يقول فيه المولى سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ... ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٧.

ليس هذا فحسب بل حرص الإسلام على تأديب الأبناء، بأدب الاستئذان داخل البيت المسلم، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[1] ، وتشير الآية الكريمة إلى تربية الأبناء الذين لم يصلوا إلى سن البلوغ على الاستئذان من أهلهم في ثلاث أوقات.

الأول: من قبل صلاة الفجر، لأن الأهل في هذا الوقت يكونون في فراشهم، والثاني: وقت الظهيرة (أي القيلولة) لأن الآباء قد يضعون ثيابهم في تلك الحال، والثالث: من بعد صلاة العشاء لأنه وقت نوم وراحة، وشرع الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة، لما يخشى أن يكون الرجل أو المرأة، في حالة لا يجب أن يطلع عليها، أحد من أولاده الصغار (علوان،١٩٩٩)

أما إذا بلغ الأطفال الحلم، فإن تربيتهم على الاستئذان تكون في كل وقت وحين، حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ... ﴾[2]، وهذا الأدب الراقي يربي الأبناء على مكارم الأخلاق منذ الصغر، وهي آداب ضرورية ينبغي تربية الأبناء عليها وعدم اغفالها، حتى لا تمتد أعين الأبناء أو الخدم إلى العورات، حيث يقرر علماء النفس، أن هذه المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال، تؤثر في حياتهم وقد تصيبهم بأمراض نفسية، فلا غرابة أن نجد في كتاب الله عز وجل، وسنة المصطفى ﷺ، هذا الأدب الراقي المرتبط بالاستئذان، لتربية الأبناء على الفضيلة والعفة والطهارة.

٤- آداب النظر:

إن تربية المسلم على غض البصر منذ نعومة أظفاره، بات ضرورة ماسة في هذا العصر الملئ بالمغريات والمثيرات، التي يراها الأفراد في الشارع والأسواق والقنوات الفضائية، والإنترنت وما يتضمنه من مجتمع إفتراضي، ولأن ما يراه الطفل ينطبع في ذهنه ونفسه، فإن تربية الأبناء على غض البصر، يسهم في بناء الرقابة الذاتية

(١) سورة النور، الآية: ٥٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٩.

لديهم، فلا ينظرون لحرام، بل يراقبون الله في كل نظرة، ويرددون ما كان يردده الطفل الصالح عبد الله التستري الذي كان ورده اليومي قبل النوم هو «الله شاهدي، الله ناظري، الله معي » (سويد، ١٩٩٤).

وأكد القرآن الكريم على أدب غض البصر، حيث يقول الله عز وجل:﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴿٣١﴾﴾[1] ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى غض البصر للرجال والنساء، كما تؤكد السنة النبوية هذا الأدب الراقي المرتبط بغض البصر، حيث يقول المصطفى ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله، أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه» (أخرجه الحاكم)، وقال ﷺ: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار، عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله» (رواه الطبراني)، وقال الشاعر مؤكدا على أهمية غض البصر:

كـــل الحـــوادث مبـــدأها النظـــر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمـــرء مـــا دام ذا عـــين يقلبهـــا	في أعـين النـاس موقـوف علـى
كـم نظـرة فتكـت في قلـب صـاحبها	فتـك السـهام بـلا قـوس ولا وتـر
يســد مقلتــه مــا ضــر مهجتــه	لا مرحبــا بســرور عــاد بالضــرر

وهناك فوائد عديدة لغض البصر، إنه يورث القلب نوراً واشراقا، يظهر في العين والوجه وفي الجوارح، واستنارة القلب تورث صحة الفراسة، لأن القلب يصير كالمرآة، ويتبع ذلك استزادة في العلم، كما أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، وقال أبو الفرج ابن الجوزي: البصر صاحب خبر القلب، ينقل إليه أخبار المبصرات، وينقش فيه صورها، فيجول الفكر فيها فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة، فأحذر من شر النظر، فكم أهلك من عابد، وفسخ عزم زاهد، وكلما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بها الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسد القلب، ويخرج بصاحبه إلى المحن (القرطبي، ١٩٨١).

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١.

٥- أدب الطهارة:

الطهارة أدب وحاجة ضرورية في الإسلام، سواء أكانت حقيقية وهي طهارة الثوب والبدن ومكان الصلاة من النجاسة، أم طهارة حكمية وهي طهارة أعضاء الوضوء من الحدث، وطهارة جميع الأعضاء الظاهرة من الجنابة، لأنها شرط دائم لصحة الصلاة التي تتكرر خمس مرات يوميا، ولأن الصلاة قيام بين يدي الله عز وجل، فأداؤها بالطهارة تعظيم لله تعالى، والحدث سواء كان أكبر أو أصغر هو نجاسة معنوية، تتطلب الطهارة التي تطهر الروح والجسد (الزحيلي، ١٩٩٦).

وعند دخول الأبناء في سن البلوغ، يصبحون في حاجة ماسة إلى هذا الأدب، الذي يساعدهم على فهم وإدراك، المقصود بالطهارة من الحدث، وهنا ينبغي على المربي أن يبن لأبنائه، أن الحدث هو الحالة الناقضة للطهارة، وقد اصطلح على تسميتها بالطهارة الحكمية، التي هي شرط لصحة الصلاة، وأن الحدث يقسم إلى قسمين، الحدث الأكبر والحدث الأصغر، فالحدث الأكبر يكون بنزول المني بتدفق ولذة عند الجماع أو الاحتلام، ويسمى ذلك بالجنابة، وكذلك بحدوث الحيض والنفاس عند المرأة، وتكون الطهارة من الحدث الأكبر بغسل جميع البدن بالماء، أما الحائض والنفساء، فلا تحصل لهما الطهارة بالماء، إلا بعد انتهاء مدة الحيض أو النفاس، أما الحدث الأصغر فيحدث بالبول أو الغائط والطهارة منه تكون بالوضوء (طبارة، ١٩٩٥).

٦- آداب الحجاب:

إن كلمة حجاب تعني شيئاً يحجز بين طرفين فلا يرى أحدهما الآخر، والحجاب الوارد في قول الله عز وجل: ﴿ ... فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ... ﴾[1] هو الستر الذي يكون في البيت ويرخى ليفصل بين مجلس الرجال ومجلس النساء، وهذا الحجاب أدب خاص بنساء النبي ﷺ، وهو أدب اكتمل بأمر الله عز وجل في قوله: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[2] تمهيداً لحظر النكاح على أمهات المؤمنين بعد الرسول ﷺ، أما عامة النساء المسلمات فعليهن فرض ارتداء الزى المحتشم الذي يتصف بشروط ستر جميع البدن عدا الوجه والكفين، والتزام الاعتدال في زينة الثياب والوجه والكفين والقدمين.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وتؤكد التربية الإسلامية، المشتقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على أدب الحجاب للمرأة المسلمة، فإذا بغلت الفتاة سن الرشد وجب عليها الالتزام بالحجاب عند خروجها، ولمنع الإثارة الجنسية جعل الإسلام للعورة حدودا، فلا يكشف من المرأة ما يثير الفتنة، كما استقر الرأي على مواصفات لباس المرأة المسلمة، بحيث لا يكون ضيقاً ولا يصف الجسم، ولا يشف عما تحته، ولا يكشف أجزاء منه، وأن يكون اللباس مما تعارف عليه في المجتمع المسلم (رضا، ٢٠٠٠).

٧- آداب الزواج:

يعد الزواج بمقاصده وأحكامه وآدابه هو المدخل الطبيعي للتربية الجنسية، لأنه الإطار الاجتماعي الذي ينطلق في حدوده الميل الفطري بين الجنسين، لذا فإن التربية الجنسية للشباب في هذه المرحلة من الأهمية بمكان، لتزويدهم بالاتجاهات الصحيحة التي ترتبط بالعلاقات الزوجية وبناء الأسرة المسلمة، وسلامة المجتمع من الفساد، حيث توجه الشريعة الإسلامية الشباب المسلم المقتدر إلى الزواج، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (أخرجه البخاري)، أي فيه وقاية من الشهوات. فالزواج الحلال هو المجال الطبيعي لتصريف الشهوة، كما أن الرابطة الزوجية هي رابطة مقدسة، غايتها الإنجاب وتربية الأبناء واستمرار الحياة، فضلاً عن إشباع حاجة الإنسان الغريزية (معدي، ٢٠٠٤).

وعليه فإن الزواج قيمة تربوية أخلاقية، وأحد الآداب الهامة التي تلبي الحاجة الغريزية للإنسان، وفق ضوابط الشرع الإسلامي، يقول عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٣١)﴾[1]، وهذه القيمة تؤكد طهارة النفس والجماعة، وتقيم أركان الأسرة المسلمة على شريعة الإسلام، فيأتي النسل الطاهر، الذي تتم رعايته وإعداده ليحقق هدف الوجود وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعمارة الكون.

(١) سورة المعارج، الآيات: ٢٩-٣١.

سابعاً: أصول التربية النفسية في الإسلام

مقدمة:

يهدف علم النفس إلى تبصير الأفراد بالظواهر النفسية، وتعريفهم بالآفات والنزعات والدوافع، التي يصاب بها الإنسان، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى الصحة النفسية، وفهم الطرق العملية الموصلة لعلاج الأمراض النفسية والعصابية، إذ أنه بغير إدراك وفهم معالم النفس البشرية، يفقد الإنسان قدرته على مواجهة الصراعات الداخلية، والدوافع الغريزية، والتي تكمن مصادرها في الجهل، وعدم معرفة الإنسان لحقيقة نفسه، الأمر الذي يتطلب تربية نفسية، تساعد الإنسان على معرفة الأمراض النفسية، التي يمكن أن يصاب بها، ومن ثم يتخذ الاحتياطات اللازمة للوقاية منها، والتحصن ضدها، حتى يسلم من الوقوع فيها، ويتم إعداده إعدادا نفسيا جيدا، ومن ثم يضمن المجتمع أجيال سوية تتمتع بالصحة النفسية، وهو ما يجعلهم أكثر قدرة على العطاء والإنتاج وإحراز التقدم.

ولقد تشعبت مسالك الناس قديما وحديثا، في تعاملهم مع النفس، وشغل بعضهم بالبحث عن ماهيتها، حتى أعياهم البحث، ولم يظفروا إلا بما يزيد النفس غموضا، ويزيد الإنسان ضلالا، فاستعان الإنسان بنظريات علم النفس المعاصر، وهي تستند إلى الأفكار والنظريات البشرية، ومن ثم أخضعت الشخصية الإنسانية، تعسفا لمناهج العلوم الموضوعية والتجريبية، فعمل العلماء على تحديد أنماط وسمات الإنسان، مثلما يجري على المادة والأشياء الجامدة، التي يمكن أن تخضع للتجريب والتطبيق، ونسي هؤلاء العلماء أن النفس الإنسانية تختلف عن المادة، الأمر الذي شوه صورة النفس الإنسانية، وحول الإنسان إلى حيوان تتحكم فيه الغرائز والشهوات.

وعليه فإن علم النفس التجريبي، لم يفلح في الوصول إلى تعميمات كافية أو مبررات وافية للحكم على الشخصية، ليس هذا فحسب بل إن مدارس التحليل النفسي لم تفلح في إثبات صحة فروضها، رغم كثرة التفسير والتحليل لمجالات الشعور واللاشعور، والأنا والهو والأنا العليا وغيره، وعليه لم يحدث تقدم فعلي في علاج الأمراض النفسية، وهو ما يشير إليه «إيزنك Eysenck» أحد كبار علماء النفس المعاصرين بقوله: «أن معدل شفاء الأمراض النفسية

والعصابية ثابت فعليا، سواء عولجوا بأساليب العلاج النفسي المعروفة أو تركوا دون علاج» (الشرقاوي، د.ت).

والواقع أن عالم النفس عالم عجيب، ولا يمكن فهمه إلا من خلال النبع الفياض الذي جاء من خالق هذه النفس البشرية، والطريق الحق لعلاج النفس الإنسانية من الأمراض، إنما يكمن في التخلية، التي تفرغ النفس من نزعاتها الشهوانية وأهوائها النفسية، وأوصافها المزمومة، ثم التحلية بالأوصاف المحمودة، ومن ثم شحن فراغ النفس بعد التخلية، بمفاهيم إيجابية جديدة، ومبادئ سامية قويمة، حتى تتغير حال النفس، وتنطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة، وتسلك طريقا أكثر أمناً وأعظم أملاً.

ولن يتحقق ذلك إلا بالتربية الإسلامية، التي تنشئ الإنسان على محبة الفضائل، والتمسك بمكارم الأخلاق، ومعرفة طريق الله تعالى، والصبر على الابتلاءات، والزهد فيم عند الناس، والرضا بنعم الله وعطاياه، وبهذا الطريق وحده تتفوق النفس على الأنانية، وتقوى على الشيطان، فلا تنزع إلى الأهواء والأسقام والشهوات(الشرقاوي، د.ت)، وعليه فإن الوصول إلى معرفة حقيقة النفس البشرية، لا يكتمل إلا بالرجوع إلى منهج الإسلام، الذي يستقي مادته من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

تربية النفس الإنسانية في الإسلام:

شاءت حكمت الله عز وجل، أن يكون للنفس البشرية قابلية التوجه للخير أو الشر، يقول سبحانه: ﴿وَنَفْس وَمَا سَوَّىٰهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)﴾[1]، كما تتميز النفس البشرية بخصائص وصفات، تتجلى فيها بدائع قدرة الله سبحانه في خلقه، فالنفس تلين وتقسو، وتفرح وتأسى، وتصبر وتجزع، وترتدع وتكابر، وتحس وتتبلد، وتأمن وتخاف، وفيها دقائق وأعماق، ولها أحوال وتقلبات، وتربية النفس توجهها إلى طريق الخير، أما إهمال النفس وتركها تسير مع الهوى والشيطان، يقودها إلى الخسران، في الدنيا والآخرة (كرزون،١٩٩٧)، وتربية النفس الإنسانية، تستند إلى فهم ومعرفة أسرار هذه النفس وصفاتها

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

وإمكاناتها، انطلاقاً من تفسير القرآن الكريم، وسنة المصطفى ﷺ، وما تركه السلف الصالح من أدب يرتبط بالنفس الإنسانية، وفيما يلي توضيح ذلك:

معرفة النفس الإنسانية في الإسلام:

من الموازين الدقيقة لمعرفة حال الإنسان في الدنيا والآخرة، استجلاء الإنسان دخيلة النفس، وسبر غورها ليتبين صدق وكذب دعاويها، وهو تقييم يهدف إلى معرفة مقام النفس الإنسانية، فهو ميزان يزن النفس، من حيث المنزلة والغرور، وليعرف الإنسان نفسه، عليه أن يفتش عن مكانة الله تعالى في قلبه، فالحكم على أفعال الإنسان وأعماله يمر بامتحان، ما يغلب على القلب، فإذا كانت منزلة الله في قلبك عظيمه كان مقامك عظيما، فمحبة الله تعالى هي المعيار، وإذا وجد إعراضاً فعليه أن يتهم نفسه، ويعرف أنه محجوب عن الحق، ومن ثم وجب على الإنسان، أن يبدأ بالرياضة والمجاهدة، حتى يتخلص قلبه من الآفات، وتشرق فيه نورانية الحق ومحبة الله سبحانه، وإذا وجد قلبه مشغولا بمتاع الدنيا، راغبا في حظوظها وشهواتها ولذاتها، فعليه أن يطلب رحمة الله تعالى، ويخاف حظوظ نفسه، وحاجاتها التي لا تشبع، فالنفس لا تصدق والقلب لا يكذب، والله جل شأنه يعرف ما في النفس الإنسانية (الشرقاوي، د.ت).

التخيير والنفس الإنسانية في الإسلام:

أودع الله سبحانه وتعالى في النفس الإنسانية، خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، وإمكانية التمييز بينهما، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨)﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2] ، وهذه الآيات الكريمة تشير إلى أن الإنسان بطبيعة تكوينه، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر، وأن هذه القدرة كامنه في كيانه، يعبر عنها القرآن بالالهام تارة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨)﴾، ويعبر عنها بالهداية تارة: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد، والتوجيهات والعوامل الخارجية، إنما توقظ هذه الاستعدادات ﷺ

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة البلد، الآية: ١٠.

وتشحذها وتوجهها، والإنسان مسؤول ومحاسب على قدر ما وهبه الله من عقل، فيه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه.

وعليه فإن النفس الإنسانية ذات إرادة حرة غير مجبرة، فهي تارة توسوس وتغوي، وتارة تلوم صاحبها على فعل الشر، وتارة تكون في حالة بين هذا وذاك، فأحيانا تميل النفس إلى الشهوات، وأحيانا تتحرك النفس مستجيبة لنداء الروح، فتعود إلى الفطرة الحقة، فتخاف الوقوع في الشهوات، وتحرص على عمل الخيرات، وتصبح النفس ميَّالة إلى الشر، إذا إنطمس شعاع الروح المضيئة، فيهبط الإنسان إلى أدنى مستوياته، يقول سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [(١)]، ولو شاء الله لجعل طريق الهداية والخير هو طريق جميع الأنفس، لكن اقتضت إرادة الله ألا يكون الإنسان مجبوراً على عمل سيحاسب عليه (كرزون، ١٩٩٧).

الخطوط المتقابلة في النفس الإنسانية:

إن من عجائب التكوين البشري، تلك الخطوط المتقابلة والمتوازية، كل إثنين منها متجاوران في النفس، وهما في الوقت ذاته مختلفان في الاتجاه، كالخوف والرجاء، والحب والكره، الواقع والخيال، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية، التصديق بما تدركه الحواس، والإيمان بما لا تدركه الحواس، الميل للفردية والميل للجماعية، السلبية والإيجابية وغيره، كلها خطوط متقابلة، تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة، فتوسع أفقه وتعدد جوانبه وتفسح مجال حياته، فلا ينحصر في نطاق واحد ولا مستوى واحد، فيتحقق للإنسان كيان فريد، يرجع في النهاية إلى النشأة العجيبة، التي تتكون من قبضة الطين ونفخة الروح.

إن طبيعة النفس البشرية، مركب فيها الخوف والرجاء، فالطفل يخاف الظلام ويخاف الوحدة ويخاف السقوط، ويرجو الأمان والراحة والدفء والاستقرار في حضن أمه، وينمو الطفل وينمو معه هذان الخطان المتقابلان، فيخاف الموت ويخاف الفقر، ويخاف الفشل ويخاف المجهول، وهو كذلك يرجو الحياة ويرجو الغنى والنجاح والراحة، ويرجو المكانة ويرجو الجاه ويرجو النعيم، ويرجو آمالا شتى لا تنقضي ولا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

تحصى، كلما تحقق أمل جد أمل جديد، والخوف والرجاء يحددان للإنسان مشاعر الحياة واتجاهاتها، فعلى قدر ما يخاف وعلى قدر ما يرجو، يتخذ لنفسه منهجاً في الحياة، فالذي يخاف الموت لا يقدم، والذي يخاف الفقر يجعل همه المال، والذي يرجو السلطان يعمل للوصول إليه، والتربية الناجحة تعزف على هذين الوترين، لتربي النفس على أنغام متناسقة مؤمنة بخالق الناس، ومطمئنة بقدر الله عز وجل.

كما يستحوز الحب والكره على مساحة واسعة من النفس البشرية، فالإنسان يحب نفسه ويحب الخير، يقول عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[(١)]، ويحب السلطة ويحب الجاه، ويحب المال، ويحب أن يستمتع بكل ألوان الملذات الحسية والمعنوية، ويحب أن يستحوذ على الأشياء، وإنه ليكره كل ما يقف في سبيل هذه الشهوات، يكره الناس حين يحس أنهم يشاركونه فيما يحب أن يستحوذ عليه وحده، يكره كل أذى وكل إعتداء يقع عليه، والتربية الإسلامية تهذب النفس البشرية، فتضع ضوابط لشهوة الحب والكره، فتشجع الإنسان على حب نفسه حتى يعمل وينتج، دون أن تنجرف نفسه وراء الشهوات، فحب النفس الحقيقي، أن يصون الإنسان نفسه من مذلة عبادة الشهوة، وأن يحرص على الدار الباقية ونعيمها الخالد، فيعمل من أجلها، دون أن ينسى نصيبه من هذه الدنيا.

الصحبة وتزكية النفس الإنسانية في الإسلام:

إن صحبة الصالحين ومجالستهم والتأمل في أخبارهم وسيرهم تكسب المرء الصلاح والتقوى، وترقى بالعبد إلى مدارج الكمال، وتعد سياجا واقيا من آفات النفس ومكائد الشيطان، لذلك أمر المولى سبحانه بصحبة أهل الصدق والتقوى والحرص على مجالستهم وملازمتهم، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[(٢)]، كما أرشد المصطفى ﷺ إلى ضرورة اختيار الجليس الصالح، عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما يحذيك وإما تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة» (رواه البخاري).

---

(١) سورة العاديات، الآية: ٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

ومن ثم فإن الصحبة الصالحة تزكي النفس، بالحب الخالص لوجه الله تعالى، وبتقديم النصح والمشورة التي تقوم السلوك، وترشد إلى عمل الخير، فالصاحب الصالح يبصر صاحبه بعيوبه، ويرشده إلى كل ما يرفع مقامه عند ربه، متبعا آداب النصيحة، كأن تكون سرا وبالحكمة واللطف وتأكيد المحبة، وأن تقدم في الوقت المناسب، كما أن الصاحب الصالح يكون في موضع القدوة الحسنة، التي تزكي النفس، لذلك أرشد المولى عز وجل إلى الاقتداء بالأنبياء، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[(1)]، ولابد لمن أردا السير في طريق تزكية النفس، أن يهتم بمطالعة سيرة الرسول ﷺ وأصحابه الأبرار وما كانوا عليه من ثبات على منهج الإسلام، وإستقامة على الطاعات، وبذل وعطاء وزهد في الدنيا، وتشوق إلى الآخرة وحنين إلى الجنة (كرزون، ١٩٩٧).

محاسبة النفس الإنسانية في الإسلام:

تحتاج النفس الإنسانية إلى المحاسبة، التي ترسل الضوء إلى الطريق فيتفادى الإنسان الخطر، ويحرص على السير في الطريق المستقيم، وبمحاسبة النفس تندر العثرات، يقول الإمام علي رضي الله عنه، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن إعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، وتنبع محاسبة النفس من داخل الإنسان، من قلبه وإيمانه الصادق وعقيدته الصحيحة، ولمحاسبة النفس أثرها في سلوك الإنسان، كما تعمل على يقظة ضمير الإنسان، فإذا به عادل لا يظلم، وأمين لا يخون، وذو سريرة صالحة، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله تعالى أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله، أحسن الله ما بينه وبين الناس (هاشم، ١٩٩٧).

وعليه فإن الطريق الحق لمحاسبة النفس أن تخاصمها، كما تخاصم عدوك الظالم، البليغ الحجة، القوي البيان، المعتد بنفسه الظالم المتزين بالأكاذيب، وعليك ألا تصالحه حتى يرجع عن غيه بعد أن تكشف أمره، فإذا كشفته فقد عرفته، وإذا عرفته انهارت حجته، وفقد أسلحة الغواية وأستسلم بالكلية، وإذا تكبرت النفس وتجبرت، فأرفع أمرها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهما الحكم العدل، وبهما يحسن تأديبها وبهما تقام عليها الحجة، وعليك ألا تتوقف عن تربيتها حتى تنقاد إلى

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الحق، وعليك أن تهددها من وقت لآخر بالعذاب والقصاص، إن فكرت في الرجوع إلى الظلم والغدر، وأظهر لها أبواب العطاء والثواب، واستعن بالله عز وجل في محاسبة النفس، وأحسن الظن به سبحانه تفوز بالخيرات والنعيم (الشرقاوي، د.ت).

علاج النفس الإنسانية في الإسلام:

إن الطريق الصحيح لعلاج النفس الإنسانية، هو مصارحتها بحقيقتها وكشف ظنونها وأوهامها، وتبصيرها بما يجب أن تسلكه، ومن ثم يجب أن تنتهج النفس منهج الإخلاص، فترقى إلى النفس الطائعة التي تتمسك بالقيم العليا من خير وبر وتقوى وإحسان، فإذا استمرت في رحلتها حتى تلهم بالصالحات إلهاماً، فتصبح في مقام النفس الملهمة، وإذا واصلت النفس رحلتها في الخير وأعمال البر، وتحلت بمكارم الأخلاق، ليصبح ذلك حال النفس في الظاهر والباطن، فإنها ترقى إلى مقام النفس المطمئنة، وفي رحلة صعود النفس في هذا السلم الروحي، تعالج النفس شيئاً فشيئا من آفاتها، وهو ما يحتاج إلى مرب واع، يرشد ويوجه، وطبيب خبير، عارف بآفات النفس الإنسانية (الشرقاوي، د.ت)

كما يُعد الذكر أحد طرق علاج النفس البشرية، لأنه يصقل القلوب، فيبدل الخوف أمنا والعداوة محبة والقلق سكينة، والفزع إلى طمأنينة، والذكر يغلب روحانية الإنسان على طينيته، فمهما تكالبت على الإنسان الابتلاءات وأثقلته هموم الحياة، فإنه بالذكر يستريح ويطمئن، ويقنع ويرضى، ويعرف أن الشكوى لغير الله مذلة، فلا يسلم نفسه لليأس ولا يعتريه القلق، ولا يشعر بالاكتئاب، وإذا أثقلت الدنيا بأوجاعها كاهل الإنسان، فإن علاجه في أن يفر إلى الله تعالى، بالذكر الذي يدخل عليه الراحة والأمن والقناعة والشعور بأنه مع الله سبحانه، فيفوز بالمغفرة والأجر العظيم، يقول سبحانه: ﴿... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيما﴾[1] ، وعليه فإن علاج النفس البشرية، يتطلب تربية الإنسان على ذكر الله عز وجل، واللجوء إليه في كل حين، وهو أمر من الخالق سبحانه، مصداقاً لقوله: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكا ...﴾[2].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وتعد قصة أيوب عليه السلام مثلاً للعلاج النفسي، الذي يستند على الصبر والدعاء، يقول عز وجل: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٨٣) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ (٨٤)﴾[1]، فقد أصاب أيوب عليه السلام، ضر أي مرض في بدنه، وفي ذهاب ماله وولده، وروي أنه كان رجلاً من الروم، ذا مال عظيم وكان برا تقيا، رحيماً بالمساكين ويكفل الأيتام والأرامل، شاكرا لأنعم الله تعالى، وأمتحنه الله بذهاب ماله وأهله، وبالضر في جسده، فنادى ربه أي دعاه أن يرحمه ويشفيه، فاستجاب له ربه فكشف ما به من ضُر (جاب الله، ٢٠٠٦)، وهذه القصة من أروع المواعظ القرآنية، التي تلهم المريض الصبر على الضُر، والتوسل بالدعاء لعل الله تعالى يمن عليه بالعلاج الذي يدخل عليه الراحة النفسية.

هذا وتتعدد آفات وأمراض النفس البشرية، وعلى رأسها الرياء، وهو نوع من الشرك الخفي، والمرائي يظهر غير ما يبطن ليخدع الناس، والرياء يتسلل إلى النفس البشرية كدبيب النمل، فلا يسلم منه أحد، إلا العارفين بالله المخلصين الطائعين، لأنهم ارتفعوا بأنفسهم بما أودعه الله في قلوبهم من نور اليقين، فلا يطلبون من الناس منفعة، ولا يخشون منهم ضرراً، فتأتي أعمالهم خالصة لوجه الله عز وجل، أما المرائي فهو مخادع للناس ولنفسه، يهتم بنفسه ويقدمها على كل شيئ، ليشبع شهواته وغرائزه، ومن ثم فالرياء عبادة للذات ونسيان لله تعالى، وثمرة لاستحواذ الشيطان على نفس المرائي، يقول تعالى: ﴿... يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلا﴾[2]، الأمر الذي يتطلب تربية نفسية، تغرس في نفس الإنسان أن صاحب الكون ومالكه هو الله، وتنمي فيه قيمة التواضع، وتنتقل به من حب نفسه المطلق، إلى حب الله عز وجل، تربية تعمل على تخلية نفسه من الكذب، وتحليتها بالصدق، فيصدق في السر والعلن، ويرى الله تعالى في كل عمل، فتبرأ نفسه من الرياء وتتحلى بالصدق، وتعود إلى خالقها (الخراشي، ٢٠٠٣).

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣-٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

مما سبق يتبين أن التربية النفسية في الإسلام، تستقى أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهي تستند إلى فهم النفس الإنسانية، ومعرفة أسرارها ومصارحتها ومكاشفتها، ومحاسبتها بل ومخاصمتها، ثم اتباع السبل المتنوعة لتطهير وتزكية النفس وعلاجها، وإدخالها في معية الله عز وجل، والتزامها مكارم الأخلاق، والوصول بها إلى النفس اللوامه التي تلوم الإنسان عند التقصير، وهي النفس التي أقسم بها المولى سبحانه: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[1]، ثم الارتقاء شيئاً فشيئا، حتى تسمو روح الإنسان على مادته، وتصلح سريرته، ويطمئن قلبه ويرضى بعطاء الله له، وتواصل النفس رحلة الخير والبر والإحسان، فتصل إلى النفس المطمئنة، التي تتميز بالسكينة والتواضع والإيثار والرضا والصبر، فلا خوف ولا قلق ولا ضجر، وإنما يصدق فيها قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾[2].

(١) سورة القيامة، الآية: ٢.

(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

خاتمة الفصل الثالث

جاء هذا الفصل بمثابة القلب من الكتاب، ليطوف بنا في مجالات أصول التربية الإسلامية، فقدم الكاتب فكرة عامة عن أصول التربية، ثم تطرق إلى مفهوم أصول التربية الإسلامية، ثم تناول بشيء من التفصيل مجالات أصول التربية الإسلامية، حيث تناول بالشرح والتوضيح أصول التربية الإيمانية في الإسلام، ثم أصول التربية العلمية في الإسلام، يليها أصول التربية التعبدية في الإسلام، وهو ترتيب منطقي يبدأ ببحث أصول التربية الإيمانية وترسيخ عقيدة التوحيد وبيان أركان الإيمان وتربية الناس عليها، ثم أصول التربية العلمية نظراً للارتباط الوثيق بين العلم والإيمان، ثم تأتي بعد ذلك العبادة لبيان الدور التربوي للعبادة في الإسلام.

ثم تناول الكاتب أصول التربية الخلقية في الإسلام، بهدف توضيح أهمية الأخلاق التي يطبقها الإنسان من منطلق ديني، بحيث يتقن عمله خالصا لوجه الله تعالى، ثم يأتي كنتيجة مباشرة لذلك المنطلق الدنيوي، ولأن الإنسان هو كائن اجتماعي بفطرته، فقد تناول الكاتب أصول التربية الاجتماعية في الإسلام، ليوضح علاقة الإسلام بالمجتمع، ودور التربية الإسلامية في بناء المجتمع المسلم، الذي أراده المولى عز وجل.

كما تطرق الكاتب إلى أصول التربية الجنسية في الإسلام، وهو من الموضوعات التي يتحرج المرء من الحديث فيها، ولأن الإسلام تناول هذه التربية في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى ﷺ، كان لابد من تناول أصول التربية الجنسية في الإسلام، بهدف إحاطة القارئ المسلم، بأهداف التربية الجنسية، وبأهم مداخل وآداب التربية الجنسية، وأخيراً تناول الكاتب أصول التربية النفسية في الإسلام، باعتبارها ضرورة لتحقيق الصحة النفسية، من خلال تربية النفس الإنسانية وفق منهج الله عز وجل، وللغوص في أعماق هذه النفس والتعرف عن قرب على خطوطها المتقابلة وحركاتها وسكناتها ووساوسها، وطرق تزكية هذه النفس ومحاسبتها، وتقديم مداخل العلاج المناسبة لها وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

مراجع الفصل الثالث

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٢٠٠١). مقدمة ابن خلدون. تحقيق درويش جويدي. بيروت: المكتبة العصرية.

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٢٠٠٦). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. بيروت: دار صادر.

القرطبي، جمال الدين أبو عمر يوسف بن عمر ابن عبد البر (١٩٨١). بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي (١٩٩٨). سنن ابن ماجة. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

أبو زهرة، محمد (١٩٨٧). في المجتمع الإسلامي. الكويت: دار الكتاب الحديث.

أبو زهرة، محمد (د.ت). الإمام صادق، حياته وعصره، آراؤه وفكره. القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو غدة، عبد الفتاح(١٩٩٧). الرسول المعلم وأساليبه في التعليم. ط٢، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

الأسمر، أحمد رجب (٢٠٠٨). مكارم الأخلاق في الإسلام نظرية وتطبيقا. الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

الأندلسي، شهاب الدين أحمد المعروف ابن عبد ربه (١٩٩٠). العقد الفريد. ج١، ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الأندلسي، شهاب الدين أحمد المعروف ابن عبد ربه (١٩٩٠). العقد الفريد. ج٢، ط٢، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل(١٩٩٧). الأدب المفرد. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي (١٩٤٠). سنن الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

جاب الله، محمد أحمد يونس (٢٠٠٦). صور من حياة الأنبياء عليهم السلام. اسكندرية: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج (١٩٩١). صفوة الصفوة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

حمزة، عبد اللطيف (١٩٨٩). الإعلام في صدر الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي.

الخراشي، ناهد (٢٠٠٣). أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

الخياط، عبد العزيز (١٩٨٩). الزكاة والضمان الاجتماعي في الإسلام. القاهرة: دار السلام.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن مهران السمرقندي (١٩٩١). سنن الدارمي. دمشق: دار القلم.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الشافعي (١٩٩٧). سير إعلام النبلاء. تحقيق محب الدين أبو سعد العمري. بيروت: دار الفكر.

الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين (١٩٩٠). التفسير الكبير. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

رسلان، أبي عبد الله محمد بن سعيد (١٩٩٣). آداب طالب العلم. بيروت: دار إبن حزم للطباعة والنشر.

رسلان، صلاح الدين بسيوني (٢٠٠٠). العلم في منظوره الإسلامي. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

رضا، أكرم (٢٠٠٠). مراهقة بلا أزمة. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الزحيلي، وهبه (١٩٩٦). الفقه الإسلامي وأدلته. الجزء الأول، ط٣، دمشق: دار الفكر.

زهران، حامد عبد السلام (١٩٨٣).علم نفس النمو. القاهرة: عالم الكتب.

سابق، سيد (١٩٩٢). العقائد الإسلامية. القاهرة: الفتح للإعلام العربي.

سبع، توفيق محمد (١٩٧١). هكذا نصوم. مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية(١).

سويد، محمد بن عبد الحفيظ (١٩٩٤).منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح. ط٥، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ (١٩٩٤). منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح. بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

شحاته، عبد الله (١٩٩٧). فقه العبادات. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشرقاوي، حسن محمد (د.ت). نحو علم نفس إسلامي. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شلتوت، محمود (١٩٧٥). الإسلام عقيدة وشريعة. القاهرة: دار الشروق.

الشلول، زكريا إبراهيم(٢٠٠٥). أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني. الأردن: دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع.

صالحية، محمد (١٩٨١). مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي. المجلة العربية للعلوم الإنسانية،١(٣)،٤٩.

الصلابي، على محمد (٢٠٠٧). سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سيرته وعصره. ط٧، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

طبارة، عفيف عبد الفتاح (١٩٩٥). روح الدين الإسلامي. ط٣٠، بيروت: دار العلم للملايين.

عبد المعطي، عبد الله محمد (٢٠٠٠). أطفالنا خطة عملية للتربية الجمالية سلوكاً وأخلاقا. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

عبد الواحد، مصطفى (١٩٨٦). الإيمان في القرآن. بيروت: دار الرائد العربي.

العتوم، عدنان يوسف (٢٠٠٨). علم نفس الجماعة نماذج نظرية وتطبيقات عملية. مكتبة إثراء للنشر والتوزيع.

عثمان، أكرم مصباح (٢٠٠٧). ابناؤنا والتربية الجنسية. بيروت: دار ابن حزم.

العقاد، عباس محمود (١٩٩٨). التفكير فريضة إسلامية. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٩). تربية الأولاد في الإسلام. الجزء الأول، ط٣٢، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

العلواني، طه جابر (١٩٩٢). أدب الاختلاف في الإسلام. ط٥، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

على، سعيد إسماعيل (٢٠٠٧). أصول التربية الإسلامية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٠). القرآن الكريم رؤية تربوية. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠١). فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠١٠). نشأة التربية الإسلامية. موسوعة التطور الحضاري للتربية الإسلامية. الجزء الثاني، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (٢٠٠٥). إحياء علوم الدين. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (١٩٩٤). إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

الغزالي، محمد (١٩٩٩). هذا ديننا. دمشق: دار القلم.

الغزالي، محمد (١٩٩٧). خلق المسلم. القاهرة: نهضة مصر.

الغزالي، محمد (١٩٩٧). مع الله. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبد البر (١٩٦٨). جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. الجزء الأول، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي (٢٠٠٨). الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي. القاهرة: المكتبة التوفيقية.

القرني، عائض بن عبد الله (٢٠٠٠). اقرأ باسم ربك. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

القرني، عائض بن عبد الله (٢٠٠٢). هذه عقيدتي. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

كرزون، أنس أحمد (١٩٩٧). منهج الإسلام في تزكية النفس. الجزء الأول،ط٢، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

اللويحق، عبد الرحمن بن معلا (١٩٩٨). مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب – الآثار- العلاج. الجزء الأول، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (١٩٩٣). أدب الدنيا وأدب الدين. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

المحلاوي، رمضان (٢٠٠٦). أخلاق المسلم. القاهرة: مركز الكتاب للنشر.

محمود، جمال الدين محمد (١٩٩٢). أصول المجتمع الإسلامي. القاهرة: دار الكتاب المصري.

محمود، عبد الحليم (١٩٨٩). العبادة أحكام وأسرار. القاهرة: دار الكتاب المصري.

مصطفى، أسامة نعيم (٢٠٠٤). أنيس المؤمنين من قصص الصحابة والصالحين. عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.

مطاوع، إبراهيم عصمت (١٩٨٠). أصول التربية.ط٢، القاهرة: دار المعارف.

معدي، الحسيني الحسيني (٢٠٠٤). أسس ومبادئ التربية الجنسية في الإسلام. القاهرة: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

معدي، الحسيني الحسيني (٢٠٠٤). التربية الجنسية للمراهقين والشباب من منظور إسلامي. القاهرة: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

المنصور بالله، الحسين بن القاسم بن محمد (١٩٥٨). آداب العلماء والمتعلمين. دمشق: دار المناهل للنشر والتوزيع.

الميداني، عبد الرحمن حسن (١٩٩٦). الأخلاق الإسلامية وأسسها. دمشق: دار القلم.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (١٩٩٥). صحيح مسلم. بيروت: دار الفكر.

هاشم، أحمد عمر (١٩٩٧). الإسلام وبناء الشخصية دراسة تحليلية لشخصية المسلم في ضوء الكتاب والسنة. القاهرة: عالم الكتب.

يالجين، مقداد (١٩٧٧). التربية الأخلاقية الإسلامية. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الفصل الرابع

٤

منظمات التربية الإسلامية

مقدمة

أولاً: منظمة الأسرة المسلمة

ثانيا: منظمة المسجد في الإسلام

ثالثا: منظمة المدرسة في الإسلام

رابعاً: منظمة الإعلام الإسلامي

خامسا: منظمة المجتمع المسلم

مقدمة:

تؤكد نظرية النظم على أن المنظمة تمثل بنية متكاملة ومتناغمة تترابط مكوناتها وعناصرها معا، ترابطاً وظيفياً محكماً، يقوم على أساس من التفاعل الحيوي بين العناصر المختلفة، وتتميز المنظمة بأنها مفتوحة وليست مغلقة، ومتطورة وليست جامدة، وعنكبوتية التشابك وليست خطية التتابع، فضلاً عن أن بنية هذه المنظمة تكون أكبر من مجموع مكوناتها (وطفة والشهاب، ٢٠٠٤).

ويعتقد المتخصصون في النظم أن كل شيء في الكون لابد وأن ينظر إليه باعتباره كلاً، لا أن يتم تقسيمه إلى أجزاء وفحص كل جزء على حدة، ومن الأهمية دراسة النظام كله في الوقت نفسه الذي يتم فيه دراسة أحد مكونات النظام، ويمكن تحديد الخصائص العامة للنظم على النحو التالي: (Swanson, 1994)

- النظم عبارة عن تجمع لعناصر ترتبط بعضها بالبعض الآخر ويؤثر بعضها على البعض الآخر.

- تتضمن النظم مجموعة من الأهداف، التي يمكن من خلالها التعرف على هذه النظم.

تتأثر النظم الفرعية بنظام أكبر كما أنها تتغير بعزلها عن هذا النظام.

- تتميز النظم بالانفتاح على البيئة من حولها، مما يجعل هذه البيئة مؤثرة بشكل قوي على الممارسات في هذه النظم.

وعليه فإن المنظمة تمثل كيان اجتماعي هادف منظم، ومكون من عناصر متداخلة ومتصلة ومتفاعلة، والتغيير في أي عنصر من عناصر المنظمة، يؤدي إلى تغيير في العناصر الأخرى، ويمثل الإنسان وحدة هذا الكيان الأساسية، أما أدواته فهي العلاقات الإجتماعية والإنسانية والتعاونية والتبادلية، وهذه الأدوات تعد القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الأعضاء لإنجاز المهام المنوطة بهم، وتحقيق أهداف المنظمة، كما تحرص المنظمة على بناء هيكل تنظيمي، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأهدافها، ويتبع مجموعة من القواعد والإجراءات، الميسرة للعمل بروح الفريق في إطار المنظمة، التي تكون في حالة تفاعل مستمر مع البيئة، مؤثرة فيها ومتأثرة بها.

كما تؤكد نظرية النظم أن المنظمات في حالة انفتاح مستمر على البيئات من حولها، وتتضمن أية منظمة آليات مكونة من مدخلات يتم استقبالها من البيئة

المحيطة، وتشتمل على الأفراد والمعلومات والطاقة والموارد وغيره، ومن عمليات وهي مجال تغيير وتحويل المدخلات بمستوى عال من الجودة، ومخرجات وهي ناتج عمليات التغيير والتحويل، والتي يتم تصديرها للبيئة المحيطة بالمنظمة، وتغذية راجعة تهدف إلى تحسين وتطوير أداء المنظمة، ومعظم مشاكل المنظمات المعاصرة نتيجة لسرعة التغير في البيئات من حولها، وهو ما يتطلب تكيف المنظمة مع البيئات المحيطة بها (فرنش وجونير، ٢٠٠٠).

إن لكل منظمة حدود تفصلها عن البيئة من حولها، وإذا كانت الحدود للمنظمات المفتوحة، تمثل المنفذ الذي يسمح بتبادل المعلومات، والموارد والأفكار والمخرجات بين المنظمة والبيئة، فإن التخطيط للمنظمات المفتوحة، يتطلب مسحا للبيئات المحيطة، لتحديد التوقعات من المنظمات الخارجية وأصحاب المصالح، ومن ثم تطوير سيناريوهات للمستقبل المتوقع للمنظمة إذا استمرت في نفس الاتجاه واتبعت نفس النهج، فضلاً عن وضع رؤية مستقبلية لما تود المنظمة الوصول إليه، ومن ثم تطوير خطط ومشروعات ومهام واقعية قابلة للتنفيذ، وتلبي الرغبات المستقبلية للمنظمة والمجتمع من حولها.

وإذا كانت التربية الإسلامية تمثل عملية بناء للإنسان المسلم من جميع الجوانب الجسمية والعقلية والروحية والنفسية والاجتماعية والصحية والأخلاقية والفكرية والمعرفية والانفعالية والجمالية، وغيره من جوانب الشخصية الإنسانية، وفق مصادر التشريع الإسلامي، فإن عملية البناء هذه تتطلب توفر منظمات تربوية تضطلع بعملية الإعداد والبناء على أسس تربوية سليمة، مع ضرورة وجود تناغم وشراكة فاعلة بين هذه المنظمات، حتى تسهم بفاعلية في بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة التي يسعى المجتمع لإعدادها.

وتتنوع المنظمات التربوية الإسلامية، منها منظمة الأسرة ومنظمة المسجد ومنظمة المدرسة ومنظمة وسائل الإعلام ومنظمة المجتمع، وفيما يلي توضيح لأهم الأدوار التربوية لهذه المنظمات الإسلامية، وأهم ما يعترضها من مشكلات، وكيفية التغلب عليها، بهدف بناء جيل متفاعل مع المجتمع المعاصر، وقادر على العمل والبناء والإنتاج، وفي الوقت ذاته متسلح بقوة الإيمان وعقيدة التوحيد، وما تتطلبه من التزام بالقيم الإسلامية التي لها أبلغ الأثر في تقدم المجتمع وتطوره.

أولاً: منظمة الأسرة المسلمة:

مقدمة:

قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآءۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا﴾[1]، إن الخطاب للناس جميعا، لردهم إلى ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، إن هذه الحقائق الفطرية البسيطة هي حقائق عميقة ولو ألقى الناس أسماعهم وقلوبهم إليها لكانت كفيلة بإحداث تغييرات ضخمة في حياتهم، وبنقلهم من ظلام الجاهلية إلى نور الإيمان بالله تعالى.

وعليه فإن البشرية صدرت من إرادة واحدة، وتتصل في رحم واحدة، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتنبثق من أصل واحد، وتنتسب إلى نسب واحد، والمنهج الرباني القويم يرد البشرية إلى هذه الحقيقة، وقد شاء الله تعالى أن يخلق نفساً واحدة، وخلق منها زوجها، فتكونت الأسرة الأولى من زوجين، ومن هذه الأسرة الأولى يبث رجالاً كثيراً ونساء، كلهم يرجعون ابتداء إلى وشيجة الربوبية، ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة التي يقوم عليها المجتمع الإنساني، وقد حشد القرآن الكريم والسنة النبوية كل أسباب العناية والرعاية للأسرة في الإسلام، بتوثيق عراها، وتثبيت بنيانها، وحمايته من كل المؤثرات التي توهن هذا البناء(فائز، ١٩٩٤).

والمجتمع المسلم شجرة وارفة الظلال، يتفيئ الأطفال ظلالها، ويتنعمون بطيب ثمرها، وهو مظلة عدالة ودوحة رحمة، وأمل جميل لاسمى عناية وأرقى وقاية، بحيث لا يجد الطفل طفولته في قمة مجدها ورفعة شأنها، إلا في ظل المجتمع المسلم، لأنه المجتمع الذي تتميز الروابط بين أعضائه بأنها روابط نورانية سماوية، تجمع الشتات من البشر على كلمة الله، فإذا التنافر محبة، وإذا التباغض ألفة، والتفرقة تجمع ووحدة، والتباعد تقارب ومحبة، وكل من ينتمي إلى المجتمع المسلم، هو عضو في أسرة كبيرة، نواتها الأسر الصغيرة، التي تؤسس على الأخوة والمحبة والتعاون والعمل المشترك (أيوب، ١٩٩٦).

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

والأسرة الصغيرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الناشئة ورعايتها، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظلها تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر معنى الحياة، وتتعامل مع مواقف الحياة، والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، تمتد طفولته أكثر من أي طفل للأحياء الأخرى، ذلك أن مرحلة الطفولة هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باقي حياته، ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة على سطح المعمورة، فكانت فترة طفولته أطول فترة، حتى يحسن إعداده وتدريبه للمستقبل، وكان لابد من وجود أسرة هادئة مستقرة، تقوم حياتها على منهج الله عز وجل (فائز، ١٩٩٤).

إن تناول منظمة الأسرة، يتطلب التعرف على مفهوم الأسرة وأنواعها، والأبعاد التربوية لبناء الأسرة في الإسلام، وأهم الوظائف التربوية للأسرة المسلمة، وأهم المشكلات التي تواجه الأسرة المسلمة وتؤثر على جودة أدائها لوظائفها المختلفة، وطرق التغلب عليها، وفيما يلي توضيح ذلك:

منظمة الأسرة:

الأسرة عبارة عن منظمة اجتماعية تربوية، وضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري، ودوام الوجود الإنساني، وقد أودع الله عز وجل، في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية، ويتحقق ذلك بفضل الزواج الذي شرعه الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)، فمن الآيات الدالة على رحمة الله تعالى وعنايته بعباده، أن خلق لهم من أنفسهم أزواجا، تمنحهم السكن والراحة والمودة والرحمة، فضلاً عن منحهم البنين والحفدة، يقول عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ... ﴾(٢).

وتنقسم الأسرة إلى ثلاثة أنواع، الأسرة النووية وهي تقتصر على الزوجين والأولاد، ويحرص الإسلام على تكوينها على أمتن القواعد وأرسخ الدعائم، والأسرة الممتدة، وهي تضم الدرجة الثانية من سائر الأقارب، فتشمل الآباء والأجداد والأخوة

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات، وهي المقصودة بأمر الله تعالى بصلة الرحم، فقال عز وجل في حديث قدسي: «أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» (رواه الترمذي)، والأسرة الكبرى، وهي أعضاء المجتمع المسلم الذين أوصى الله تعالى بهم جميعا، وجعل العلاقة معهم علاقة أخوة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة ... ﴾[1]، بل وتشمل المجتمع الإنساني الذي أوصى الإسلام الإنسان المسلم بالتواصل والتعاون مع أفراده وجماعاته، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا...﴾[2] (الزحيلي، ٢٠٠٠).

والأسرة كمنظمة تتشكل من عدة عناصر فرعية متفاعلة، يؤثر بعضها على الآخر، كما تتضمن شبكة من العلاقات التي تحدث في آن واحد، وتتصف بعمليات التأثير والتأثر بين أعضائها، فالعلاقة بين الزوجين تؤثر على الأبناء، وعلاقة الأبناء مع الآباء تؤثر على العلاقة الزوجية، وعلاقات الأبناء مع بعضهم تؤثر على العلاقات الأسرية ككل، وكل ذلك يؤثر على تماسك الأسرة، كما أن الأسرة كمنظمة ترتبط بشبكة اجتماعية أكبر، وهي المجتمع المحيط بالأسرة، بكل أنظمته الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والإعلامية وغيره، ويستمر التأثير والتأثر بين الأسرة وبين المجتمع من حولها، وكل ذلك يؤثر على الأسرة سواء بشكل سلبي أو إيجابي حسب نوع التأثير والتأثر.

بناء الأسرة المسلمة:

لقد أولى الإسلام بمصدريه الأساسيين، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أهمية كبيرة لبناء الأسرة المسلمة، فتناول القرآن الكريم أحكام الزواج، وحقوق وواجبات كل من الرجل والمرأة تجاه الآخر، كما تناولت السنة بالتفصيل ما أجمله القرآن الكريم، بشأن بناء الأسرة المسلمة، هذا وأرسى التشريع الإسلامي قواعد لبناء الأسرة المسلمة القوية، من خلال توفير بيئة تربوية تقوم على الإيمان الصحيح، والتزام طاعة الله عز وجل وإمتثال أوامره واجتناب نواهيه، والحرص على التزام تعاليم القرآن الكريم، وتطبيق سنة المصطفى ﷺ.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وجعل الإسلام الزواج هو الأصل في بناء الأسرة، وهو الطريق الوحيد للعلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة، وهو واسطة إنجاب النسل الطاهر، وهو السكن الذي يسكن إليه الزوجان، على أساس من المودة والرحمة والتعاون والوفاق، ويقوم الزواج على الرضا المتبادل بين الطرفين، لأن التراضي جسر الديمومة، وسبيل الحب الصادق بين الزوجين، وهو أساس بناء أسرة متكافلة متعاونة، تقوم على العفة والستر وحسن العشرة، قال تعالى: ﴿... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1]، وعظم الله من شأن الزواج حتى سماه بالميثاق الغليظ أي العهد الشديد، وفي المقابل حرم سبحانه الزنا وكل العلاقات غير المشروعة، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾[2] (الزحيلي، ٢٠٠٠).

وقد بلغ التشريع الإسلامي الغاية في الدعوة إلى أن تسود مكارم الأخلاق أعضاء الأسرة الواحدة، كواجب ديني لا يمكن التهاون في أدائه، فقد ألزم الإسلام المرأة بآداب الدين، وأن تتحلى بالحشمة والوقار في لباسها، وأن تغض البصر،فقال تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ...﴾[3](علي، ٢٠٠١).

ويتميز البناء الأسري في الإسلام بأنه بناء محافظ هادئ، بناء مرفوع النوافذ يحافظ على الأعراض والحرمات، بناء محصن بالأخلاق والآداب الشرعية، لا ضجيج فيه ولا صخب، بناء يتصف أهله بالأدب الجم، نشيدهم الآذان وترنيمهم التسبيح والتحميد والتكبير، لا يؤذون جيرانهم، راضون بقدر الله سبحانه، إذا كانوا أغنياء أعطوا، وإذا كانوا فقراء عفوا، يقولون الحق وتعلو وجوههم البشاشة، لا تمتد أنظارهم إلى نساء جيرانهم، متواضعون ولا تمتد أعينهم إلى ما في أيدي غيرهم، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾[4] الحياء سيماهم والكرم سجيتهم والإيمان يخالط بشاشة قلوبهم، والصمت ديدنهم إلا

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية:٣٣.

(٣) سورة النور ، الآية:٣١.

(٤) سورة الأعراف، الآية:٣٣.

عن خير، لا يغضبون إلا إذا أنتهكت حرمات الله تعالى، يوفون بالعهد ويصدقون الحديث (الزحيلي، ٢٠٠٠).

الأبعاد التربوية لبناء الأسرة في الإسلام:

يقوم البناء الأسري في الإسلام على خمسة أبعاد رئيسة، أولها: حسن الاختيار، وثانيها: المساواة، وثالثها: المودة والرحمة، ورابعها: العدالة، وخامسها: التكافل الاجتماعي، وسادسها: أدب الإسلام، وفيما يلي توضيح ذلك: (علي، ٢٠١٠)، و(الزحيلي، ٢٠٠٠)، و(فائز، ١٩٩٤).

(١) بناء الأسرة على «حسن الاختيار»:

البيت المسلم هو نواة الجماعة المسلمة، وهو قلعة من قلاع العقيدة، ولابد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها حصينة في ذاتها، كل عضو فيها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها، والأب المسلم وحده لا يكفي لتأمين القلعة، فلا بد من الأم المسلمة التي تعينه وتساعده، ولهذا كان القرآن يتزل للرجال والنساء، وكان ينظم البيوت، ويقيمها على المنهج الإسلامي، وكان يُحمِل المؤمنين تبعة أهليهم، كما يُحملِهم تبعة أنفسهم، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارا ...﴾[١]، وعليه فإن بناء البيت المسلم، يحتاج إلى أن يبحث الزوج المسلم عن ذات الدين، التي تعينه على بناء القلعة القوية، التي يكون الإسلام عقيدتها، والإسلام شريعتها، والإسلام منهجها، الذي تستقي منه كل تصوراتها وأمور حياتها.

لقد وضع التشريع الإسلامي أمام الرجل والمرأة، قواعد تنظيمية لإختيار الزوج، إن سلكها الإنسان كان الزواج الميسر، وبنيت الأسرة المسلمة على أسس قوية، لهذا وجه النبي ﷺ الرجال الذين يُقْدِمون على الزواج، بأن يظفروا بذات الدين، حيث قال الرسول ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري ومسلم)، كما يكون على أهل المرأة أن يبحثوا عن رجل ذي دين وخلق، ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، ويؤدي حق زوجته الذي شرعه الإسلام، حيث قال الرسول ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (رواه الترمذي).

---

(١) سورة التحريم، الآية:٦.

ومن عظمة الإسلام، أنه جعل من حق الأطفال على الآباء، أن يحسن كل منهما اختيار الآخر، فالوالد يجب عليه أن يحسن اختيار أم لأبنائه، وذلك لأن الأم هي راعية في بيت زوجها، وهي عماد الأسرة ومبعث السعادة فيها، فإذا كانت صالحة أقامت بيتها على نظام صالح، وملأته بأسباب السعادة، وعنيت بتربية أولادها، فبثت فيهم كل خلق حميد، وجنبتهم سيء الأخلاق وقبيح العادات، وإذا كانت فاسدة بذرت فيهم بذور الفساد، وزودت أولادها بأسوأ زاد (عبد المعطي، ٢٠٠٠).

وتؤكد سنة المصطفى ﷺ على أهمية اختيار الرجل زوجه، روى ابن ماجه عن أبي أمامه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»، كما قال ﷺ: «أربع من اعطيهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة، قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا، وزوجة لا تبغيه حوبا (اثما) في نفسها وماله» (رواه ابن ماجه).

(٢) بناء الأسرة على «الطهارة والعفة»:

إن الله سبحانه يعرف حقيقة النفس البشرية، بأغوارها وأعماقها ودروبها ومنحنياتها، وظاهرها وخافيها، وأهوائها وشهواتها، وهداها وضلالها، ولقد أرشد الله سبحانه، الناس بالأسرة الطاهرة العفيفة فقال تعالى: ﴿ ... وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَا□حِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾[1]، وهذه الآية تؤكد أنه لا يمكن قيام أسرة ولا استقامة مجتمع، في وحل الفواحش، فلابد من الطهارة والنظافة والعفة لتقوم الأسرة، إن هذا الدين لا يريد أن يعرض الناس للفتنة، ثم يكلف أعصابهم عنتا في المقاومة، فهو دين وقاية قبل إقامة الحدود.

وتصون الأسرة والمجتمع هذا الدين، بحفظ الفروج من دنس المباشرة الحرام، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾[2]، والجماعة التي تنطلق في الشهوات بغير حساب، جماعة معرضة للخلل والفساد، لأنه لا أمن ولا حرمة فيها للأسرة، ولأن الأسرة هي الوحدة الأولى في الجماعة، وهي المحضن الذي تنشأ فيه الطفولة وتتربى، فإنه لابد من العفة والطهارة والأمان، حتى تصلح الأسرة لتكون منظمة تربوية، تخرج

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥.

للمجتمع أجيال طاهرة تعبد الله سبحانه، مجتمعا يعرف فيه كل طفل أباه، ولا يخجل من ولده، مجتمع تقوم فيه العلاقات الجنسية على أساس نظيف، واضح الأهداف، يرمي إلى النهوض بواجب إنساني واجتماعي، لا لمجرد ارضاء الشهوة (فائز، ١٩٩٤).

(٣) بناء الأسرة على «المساواة»:

تعد المساواة بين الرجل والمرأة أساس البناء الأسري، ومبدأ عام قررته الشريعة الإسلامية، التي تنظر للرجل والمرأة معاً باعتبارهما بداية الحياة الإجتماعية، ولقد أكد الإسلام مساواة المرأة والرجل في الحقوق والواجبات، فالمرأة مثل الرجل مطالبة بعقيدة صحيحة وملزمة بتكاليف الشريعة، وتتساوى مع الرجل في استحقاق درجات واحدة في عالم الآخرة والثواب، والتساوي في التكاليف الشرعية، أو في الحقوق والواجبات فيما يرتبط بعالم الآخرة، هو الظاهرة العامة في التكليفات الشرعية في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرا ﴾[1]، فالمرأة صنو الرجل في العبادة، تحمل من التكاليف الشرعية مثلما يحمل، وتثاب على أدائها كما يثاب، مصداقا لقول الله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ... ﴾[2]، وفي شؤون الحياة المادية والعلاقات الزوجية والقيام بأعباء المعيشة، صرح القرآن الكريم بتقرير المساواة في قضايا الحياة الزوجية، فقال الله تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ...﴾(٣)

ونظرا لأن الثقافة العربية قبل الإسلام كان يغلب عليها، التفرقة الواضحة بين الذكور والاناث، وكانت تتعرض المرأة للغبن والحيف، وكانت تورث كما يورث المتاع، وكانوا يكرهون البنات إلى حد الوأد، وروي أن أميراً من العرب يكنى بأبي حمزة تزوج امرأة، فولدت له بنتا، فهجر المنزل، وكان يبيت عند جيرانه، فمر بخبائها بعد عام، فسمعها تتغنى وتداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها:

(١) سورة النساء ، الآية:١٢٤.

(٢) سورة آل عمران ، الآية:١٩٥.

(٣) سورة البقرة، الآية:٢٢٨.

مـــــا لأبـــــي حمـــــزة لا يأتينــــــا يظــل فــي البيــت الــذي يلينــا
غضـــــــبان ألا نلـــــــد البنينــــــا تــــالله مــــا ذلـــك فــي أيــــدينا
وإنمـــــا نأخـــــذ مــــا أعطينــــا ونحـــــن كـــالأرض لزارعينـــــا
ننبـــــــت مـــــــا قـــــــد زرعـــــــوه فينـــــــا

فغدا الرجل حتى دخل البيت، بعد أن أعطته درساً في الإيمان، وثبات اليقين فقبل رأس زوجته وابنتها، ورضي بعطاء الله تعالى.

ولكي يقتلع رسول الإسلام ﷺ من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية، خص البنات بالذكر وأمر الآباء والمربين، بحسن صحبتهن وتربيتهن والقيام على أمورهن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه» (رواه مسلم)، وروى أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن وكساهن من جدته (أي من ماله)، كن له حجابا من النار»، وهي إرشادات نبوية تؤكد تعاليم الإسلام في وجوب العناية بالبنات، وتحقيق العدل والمساواة بين البنين و البنات، ليحظوا برضى الله تعالى وجنة عرضها السماوات والأرض، في مقعد صدق عند مليك مقتدر (علوان، ١٩٩٩).

بل ويؤكد الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة، في الأهلية الإجتماعية والمالية، لأن مناط التكليف هو العقل، والمرأة عاقلة رشيدة كالرجل، كما أن للمرأة ذمة مالية مستقلة عن ذمة الزوج، ولها حرية التصرف في مالها، وكذلك فالمرأة مكرمة كالرجل، يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ... ﴾[1]، وجعل النبي ﷺ الأم مقدمة على الأب في التكريم بمراتب ثلاث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك» (البخاري)، كما كرمت المرأة كزوجة في سنة المصطفى ﷺ في كثير من المواقف والأقوال والأفعال، حيث قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (الترمذي)، كما قال ﷺ: «خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إذا نظرت إليها سرتك، وإن غبت عنها حفظتك» (الترمذي).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

ليس هذا فحسب بل ساوى الإسلام بين المسلمين جميعا، بغض النظر عن اللون أو الجنس أو الغنى أو الفقر أو السادة أو العبيد، ولا أدل على ذلك من موقف الإسلام من أشراف قريش، حيث جاء للرسول ﷺ نفر من أشراف مكة وصارحوه بقولهم: يا محمد إننا نريد أن نستمع إليك وننظر في دعوتك، ولا يمنعنا من ذلك إلا جلوسك إلى هؤلاء العبيد الذين يحيطون بك، وهؤلاء الفقراء الذين لا يليق بنا أن نجلس معهم جنبا إلى جنب، وقد جئنا إليك لتدبر لنا مجلسا لا يكون فيه واحد من هؤلاء العبيد أو الفقراء.

ولحرص النبي ﷺ على أن يؤمن بدعوته سادة قريش، ولاستحسان عمر بن الخطاب هذا الرأي، أشار على النبي بأن يعمل به من أجل الدعوة، وكاد النبي أن يهيئ لهم هذا المجلس، ولكن الله عز وجل لم يسمح بهذه المجلس الذي يقوم على العنصرية البغيضة والتفرقة وعدم المساواة، فجاء القول الفصل من السماء، ليرفض التمييز بين البشر إلا على أساس التقوى، فقال سبحانه مخاطبا الرسول الكريم ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا(٢٨) وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا(٢٩) ﴾[(١)].

(٤) بناء الأسرة على «المودة والرحمة»:

وتعد المودة والمحبة، بمثابة المقوم الأساسي لبناء الأسرة في الإسلام، حيث تبدأ الحياة الزوجية بهذه المودة والمحبة، وتبقى الزوجية ما بقيت تلك المودة، فقال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ ... ﴾[(٢)]، وقال سبحانه في علاقة الزوجين: ﴿... هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ... ﴾ [(٣)] ، أي أن المرأة بمنزلة ما يلبس الرجل، كدليل على مدى القرب والإلتصاق بين الرجل والمرأة وكذلك بالنسبة للرجل.

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

كما أن الرحمة لا تكتمل للإنسان إلا بعواطف الأمومة والأبوة، الأمر الذي يجعل لكل البشر حظ من هذه الرحمة، التي تمثل أساس بناء الأسرة المسلمة، وترتبط علاقة الرجل والمرأة في الحياة الأسرية بالرحمة، كما أمر الله عز وجل بصلة الرحم، وحذر من القطيعة، التي تؤدي إلى البغضاء بين أفراد الأسرة الواحدة، وهو ما أكده القرآن في آيات عديدة منها قول الله عز وجل: ﴿... وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ...﴾ [(1)]، ومن أخطر عواقب قطع الرحم حجب قبول الأعمال، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً شكى إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيؤون إليَّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليَّ، فقال ﷺ إن كنت كما قلت، فكأنما تُسِفَّهم المَلَّ (أي يصيبهم الرماد الحار)، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» (صحيح مسلم).

(٥) بناء الأسرة على «العدالة»:

العدالة هي حق كل من الزوجين على الآخر، وحق للزوجة على زوجها بشكل خاص، فلا يجوز للرجل أن يتزوج إذا تأكد أنه لا يستطيع العدل مع زوجته، ومن ثم فالعدالة قيمة تربوية، يجب أن يطبقها أفراد الأسرة، فلا يظلم الرجل زوجه، ولا تظلم المرأة كذلك زوجها أو أبنائها، فالعدالة تتجلى في إقرار الحقوق والواجبات الأسرية، بمعنى أن يعرف كل عضو في الأسرة ما له من حقوق فيأخذها، وما عليه من واجبات فيؤديها كاملة، لتنعم الأسرة بالاستقرار والأمن، وتصبح بعيدة عن الظلم الذي قد يؤدي إلى الطلاق، ومن ثم التفكك الأسري، الذي يهدم أركان الأسرة المسلمة.

(٦) بناء الأسرة على «أدب الاستئذان»:

إن التشريع الإسلامي يعتمد على التربية الوقائية، التي تصون حرمة البيوت، فلا يفاجأ الناس بدخول الغرباء عليهم، إلا بعد الاستئذان والسماح لهم بالدخول، يقول عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(2)]، لقد جعل الله البيوت سكنا، تسكن الناس إليها وتطمئن نفوسهم فيها، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرما آمنا لا يستبيحه أحد، ومن أجل ذلك أدب الله

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٧.

المسلمين بهذا الأدب العالي، إنه أدب يوفر على أهل البيت الحرج من المفاجأة، والتأذي بانكشاف العورات (فائز، ١٩٩٤).

لقد خص الله ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل، وستره فيها عن الأبصار، وملكه الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج، أو يلجوها من غير إذن أهلها (القرطبي)، والاستئناس يكون قبل السلام، فإذا دخل سلم، والاستئذان يكون ثلاث مرات، وأن يقول الرجل السلام عليكم أأدخل؟ فإن أذن له دخل، وإن أُمر بالرجوع انصرف، وإن سكت عنه ينصرف بعد الثلاث، وأخرج أبو داود باسناده عن عبد الله بن بشر قال: كان رسول الله ﷺ "إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول السلام عليكم.. السلام عليكم، هكذا كان أدب النبوة في الاستئذان"، وما أحوج البيت المسلم إليه في هذا العصر، وما أحوج أن يتعلمه الآباء، ويتربى عليه الأبناء، لصون حرمة البيت المسلم.

(٧) بناء الأسرة على «التكافل الاجتماعي»:

يأتي التكافل بمعنى التساند والتضامن، والتعاون والاجتماعي بمعنى الالتقاء والتقارب، والتكافل الاجتماعي في الأسرة، هو تضامن أبناء الأسرة الواحدة، وشعور كل عضو في الأسرة، بأنه مسؤول عن الآخرين، وأن الأسرة كالسفينة يحرص كل عضو فيها، على أن تنجو هذه السفينة من الغرق، ولا يفكر كل واحد في نفسه فحسب، وإنما ينشغل بالأعضاء الآخرين، ويسهم كل عضو في تأمين هذه السفينة الاجتماعية، من التفكك والإنهيار، وحماية أسوارها بالتعاون والتكافل، استنادا إلى منهج الإسلام الذي يطهر الأسرة والمجتمع المسلم من رواسب الجاهلية، ويبني الأسرة على عقيدة التوحيد، ومن هذه العقيدة تنبثق كل التصورات لمختلف العلاقات الكونية والحيوية والإنسانية.

وتحقق التكافل الاجتماعي، أول ما تحقق في دولة الإسلام الناشئة في المدينة، عندما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، تاركين وراءهم كل شيء، فارين إلى الله بدينهم، مؤثرين عقيدتهم على وشائج القربى، وأسباب الحياة، وأنسلخوا بهذه الهجرة من كل عزيز على النفس، بما في ذلك الأهل والمال والولد، واستولت العقيدة على قلوبهم، كما حدث في المدينة شيء من هذا بصورة أخرى، فقد دخل الإسلام بعض أفراد الأسرة وبعضها الآخر ظل على الشرك، فوقع خلل في الروابط الأسرية ومن ثم في الروابط الاجتماعية، وارتفعت موجة من المد الشعوري للعقيدة الجديدة، وكانت

أكبر من كل العواطف والمشاعر والروابط والعلاقات، لتجعل العقيدة وحدها هي الوشيجة التي تربط القلوب، فأصبحت روابط الدين والعقيدة أقوى من روابط الدم.

وآخى الرسول ﷺ بين رجال من المهاجرين ورجال من الأنصار، وكان هذا الإخاء صلة فريدة في تاريخ التكافل بين أصحاب العقائد، وقام هذا الإخاء مقام أخوة الدم، إلا أن القرآن الكريم بعد أن استقرت أحوال المسلمين بعد غزوة بدر، عاد إلى إلغاء نظام المؤاخاة لأنه كان استثناء لظروف خاصة، ليبقى الإخاء فقط من حيث المشاعر والعواطف، ورد الأمور إلى حالتها الطبيعية في الأسرة المسلمة، فرد الإرث والتكافل في الديات إلى قرابة الدم والنسب، كما جاءت في كتاب الله عز وجل: ﴿... وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴾[1] (فائز، ١٩٩٤).

ثم بات التكافل في المجتمع المسلم، واقع حي يعيشه المسلمون، وهذا عبد الله بن المبارك الذي كان كثير الصدقات، حتى كانت تصل إلى أكثر من مائة ألف دينار في السنة، خرج ذات مرة إلى الحج مع أصحابه، فرأى في طريقه امرأة تلتقط من الزبلة طائرا ميتا، فلما سألها عن حالها علم أنها محتاجة، ومضطرة لأكل الميته، فقال ابن المبارك لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال له: عد منها عشرين دينارا تكفينا إلى بلادنا، وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا هذا العام، ثم رجع ولم يحج، نعم هؤلاء هم الذين تربوا في مدرسة محمد ﷺ، وفهموا الإسلام حقا (يوسف، ٢٠٠٢).

وعليه فإن بناء الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم على التكافل والتعاون، وتزكية الروابط بين أفراد الأسرة ضرورة تربوية، جاء بها الإسلام وأوضح أهميتها في القرآن الكريم، في قول الله عز وجل: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

...(٣٨)﴾[١]، وهذه الآية الكريمة كما قال المفسرون دليل واضح على أهمية التكافل الاجتماعي، الذي يشمل الإحسان على الوالدين وهو درجة أعلى من درجة بر الوالدين، كما يشمل هذا التكافل ذوي القربى والجيران والمساكين والمسافرين والأيتام وغيرهم من الناس (أبو عجوة، ٢٠٠٠).

وهكذا يربي الإسلام، الإنسان المسلم على التكافل الاجتماعي، باعتباره عنوان الأخوة الصادقة، وسبيل المحبة الخالصة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لصبيانه: تجاوزوا عنه عسى الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»، قال محمد بن إسحاق، كان أناس يعيشون بالمدينة، والناس لا تدري من يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات زين العابدين بن الحسين فقدوا عطاءه لهم، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين (علوان، ١٩٨٩)، فما أجمل أن يتأسى الخلف بأفعال السلف الصالح، الذين كانوا ينفقون في السر والعلانية، ابتغاء وجه الله عز وجل.

الوظائف التربوية للأسرة في الإسلام:

تضطلع الأسرة في الإسلام بوظائف متنوعة، منها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو تعليمي، ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو صحي، ومنها ما هو فكري، ومنها ماهو عقدي، ومنها ما هو علمي، ومنها ما هو أخلاقي، وغيره من الوظائف التي تندرج تحت مظلة فقه التربية الإسلامية، وفيما يلي أهم هذه الوظائف:

(١) وظيفة إنجاب النسل الصالح:

ترغِب الشريعة الإسلامية في طلب الأولاد حفظا للجنس البشري، يقول تعالى: ﴿.. هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...﴾[٢]، والتعمير لا يتم إلا ببناء الحياة وتعاقب الأجيال، ويقول سبحانه: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابا وَخَيْرٌ أَمَلا﴾[٣]، وهو إشارة من الله عز وجل إلى أن الأولاد نعمة من الخالق، وأن الإنسان مفطور على حب الأولاد، إلا أن نعيم الآخرة هو الأهم،

(١) سورة النساء، الآيات: ٣٦-٣٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٦١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

وهو ما تؤكده سنة المصطفى ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي عن معقل بن يسار، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال ﷺ: «تزوجوا الولود فإني مكاثر بكم الأمم» (علي، ٢٠١٠)، وفي رواية قال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة».

وبالنظر إلى الأنبياء في القرآن الكريم، يتبين أنهم كانوا يرغبون في إنجاب الأولاد، فيقول أبو الأنبياء إبراهيم بعد ما أنعم الله عليه بالأولاد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٩) رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ (٤٠)﴾[(١)]، فهو يحمد الله على نعمة الأولاد، ويدعو لهم بالفلاح والاستقامة، ليعبدوا الله سبحانه، وهذا زكريا عليه السلام يدعو ربه أن يرزقه الولد، فيقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴾[(٢)]، وهو ما يؤكد الوظيفة الاجتماعية للأسرة في الإسلام، والمنوط بها إنجاب الأطفال وتربيتهم والعناية بهم.

(٢) وظيفة تربية الأبناء في الأسرة:

الأولاد هم ثمرة الحياة الزوجية، وهم الأثر الملموس للإنسان في الحياة وبعد الممات، وهم من كسب الإنسان وحصاد أعماله، وتعد وظيفة تربية الأبناء أحد أهم وظائف الأسرة بعد إنجابهم، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي رحمه الله، أعلم أن الطريق في رياضة الصبيان، من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُوِد الخير وعُلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك.

وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ومهما رأى فيه من التميز، ينبغي أن يحسن مراقبته، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء عليه، فإنه إذا كان يستحي ويترك بعض الأفعال، فليس ذلك إلا لإشراق نورالعقل

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٣٩-٤٠.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤-٦.

عليه، وبشارة تدل على الأخلاق وصفاء القلب، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، وأن الصبي إذا أُهمل في بدء نشأته، خرج في الأغلب رديء الأخلاق، وإنما يحفظ عن ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن، وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار، ليغرس في نفسه حب الصالحين (محمود، ٢٠٠٦)، وفيما يلي توضيح لأهم أدوار الأسرة في تربية الأبناء:

(أ) تربية الأبناء على الإيمان وأدب الإسلام:

تتعاظم مسؤولية الوالدين في تربية الأبناء، وفقاً لما جاء في سنة المصطفى ﷺ، عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «ما نحل والد ولده نُحلا أفضل من أدب حسن» (رواه الترمزي)، كما روي عن الرسول ﷺ أنه قال: «حق الولد على والده أن يعلمه كتاب الله عز وجل، والسباحة والرمي» (رواه الترمزي)، وتذخر سنة المصطفى ﷺ بالأقوال والأفعال التي تؤكد مسؤولية الأسرة، في تربية الأبناء على الإيمان بالله تعالى، وتدريبهم على طاعته وعبادته، وتأديبهم بأدب الإسلام، ومكارم الأخلاق، وحمايتهم من قرناء السوء، بمتابعتهم وتوجيههم، فضلاً عن إدخال السرور على قلوبهم، وإتاحة الفرص لهم لممارسة هواياتهم.

(ب) تربية الأبناء على إشباع حاجاتهم المادية :

وعليه فإن دور الأسرة في تربية الأبناء، يؤسس للشخصية المسلمة التي تتسم باستقامة التنشئة ورشد التكوين، ويأتي إشباع حاجات الأبناء الأساسية، كالمأكل والملبس والمشرب والمأوى، من أولى وظائف الأسرة التي حض عليها الإسلام، عن وهب بن جابر أن مولى لعبد الله بن عمرو، قال له: أريد أن أقيم هذا الشهر هنا ببيت المقدس، فقال له: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فارجع إلى أهلك فاترك لهم ما يقوتهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت» (رواه أحمد)، وروى ابن الزبير أن حكيم بن حزام سأل رسول الله ﷺ أي الصدقة أفضل؟ قال إبدأ بما تعول، والصدقة عن ظهر غنى» (رواه البخاري)، الأمر الذي يؤكد أهمية إشباع الحاجات الأساسية للأبناء، باعتبارها جزء أصيل من مسؤوليات الأسرة في الإسلام (علي، ٢٠٠٨).

(ج) تربية الأبناء على مكارم الأخلاق:

إن المتأمل لهذا المصدر التربوي العظيم: «القرآن الكريم»، يجد قول الله عز وجل واصفا حبيبه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وهو تأكيد لقول المصطفى ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، وعندما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها، عن محمد ﷺ قالت: كان خلقه القرآن، وما أجمل أن يقتدي أعضاء الأسرة المسلمة، بأخلاق المصطفى ﷺ، وما أحوج الأسرة المسلمة وخاصة في هذا العصر، الذي يموج بالمغريات والانحرافات، أن تحصن الأسرة أعضاءها، بأخلاق الرسول ﷺ.

قال ابن قيم الجوزية في كتابه «تحفة المودود بأحكام المولود»: «إن مما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج الإعتناء بأمر خُلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره، من غضب ولجاجة وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدّة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فإن لم يتحرز منها غاية التحرز، لابد أن تفضحه في يوم ما، ونظراً لأن الطفل يأخذ دينه وأخلاقه وآدابه وسلوكياته من الأسرة، فكان الإسلام حريصاً على أن يضع للأسرة المسلمة آداباً وأخلاقاً يتحلى بها الكبير، ويتربى عليها الصغير، حتى تعيش الأسرة عيشة السعداء، ويتربى الأطفال تربية الكرماء (عبد المعطي، ٢٠٠٠)، وفيما يلي أهم هذه الآداب والأخلاق:

*** تربية الأبناء على خُلق حفظ الأسرار:**

يروي ثابت بن أنس رضي الله عن أبيه أنس أنه قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا فبعثني في حاجته، فأبطأت على أمي (تأخرت عليها)، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ أي أخرك، فقلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة، قالت ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت لا تخبرن بسر رسول الله أحدا، قال أنس: والله لو حدثت أحدا لحدثتك يا ثابت» (رواه مسلم)، ما أجمل أن يتعلم الأبناء هذا الأدب الراقي، الذي تحلى به أنس رضي الله عنه، فهو الآن شيخ كبير يقص على تلاميذه ذكرى من ذكريات الطفولة، إنه الصحابي الجليل أنس محدث أهل البصرة، وقد تحلق حوله تلامذته

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

وعلى رأسهم إبنه ثابت، ويحدثهم عن موقف مر به في طفولته، أثر في نفسه، فرواه لتلاميذه، مع استمرار حفظه لسر رسول الله ﷺ بعد هذه السنين الطويلة.

*** تربية الأبناء على خلق الأمانة:**

عن عبد الله بن بشر رضي الله عنه قال: «بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ، بقطف من عنب فأكلته، فقالت أمي لرسول الله ﷺ: هل أتاك عبد الله بقطف العنب؟ قال: لا.. فجعل رسول الله ﷺ إذا رآني قال: غُدرٌ غُدرٌ»، وهو عتاب رقيق للصبي، أشبه بالملاعبة منه بالمعاتبة، وتكرار ذلك من رسول الله ﷺ على سبيل التذكير، حتى يدرك الصغير أنه إرتكب خطأ، وعليه أن يعود بلطف ودون إحراج أو إهانة.

*** تربية الأبناء على خلق الصدق:**

لقد رعى الإسلام الصدق وتحرى الحق، وحذر من الكذب حتى أنه أقر بأن المؤمن لا يكذب أبدا، عن أسماء بنت يزيد قالت: «يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه.. يُعد ذلك كذبا؟ قال ﷺ: إن الكذب يُكتب كذباً، حتى تُكتب الكُذيْبة كُذيْبة»، كما وجه المربي الأول محمد ﷺ، الأباء والمربين إلى تحري الصدق وعدم الكذب أمام الأطفال، ولو بقصد الترغيب أو الإلهاء أو الممازحة، روى أبو داود عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: «دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال لصبي هاك ثم لم يعطه فهي كذبة» (رواه الإمام أحمد) (علوان، ١٩٩٩)، وهو توجيه من المصطفى ﷺ لأمته إلى أن تقوم الساعة، أن كل مرب مسؤول ألا يكذب على أطفاله، بحجة إسكاتهم عن بكاء، أو ترغيبهم في أمر، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عودوهم على أقبح العادات، وأرذل الأخلاق، ألا وهي رذيلة الكذب، بل ويفقد الأبناء الثقة في المربين وأقوالهم ومواعظهم.

وعليه يجب تربية الأبناء على الصدق ليكونوا من أهل البر، وتذكيرهم بقول النبي ﷺ: «عليكم بالصدق.. فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما

يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب.. فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، حتى يُكتب عند الله كذابا» (رواه البخاري ومسلم).

ومن طرائف ما يروى في تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه، يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله: بنيت أمري منذ كنت طفلا على الصدق، فقد خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارا أستعين بها على النفقة، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان، خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة.

ومر واحد من اللصوص، وقال لي: ما معك؟ قلت: أربعون دينار، فظن أني أهزأ به فتركني، وجاء آخر وسألني ما معك؟ فأخبرته بما معي، فأخذني إلى كبيرهم، فسألني فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فأخذت الخشية رئيس اللصوص، فصاح وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله، ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعا ببركة الصدق (علوان، ١٩٩٩).

*** تربية الأبناء على خلق التحية والسلام:**

إن من واجبات الأسرة المسلمة أن تؤصل في نفوس الأبناء أدب السلام، ومن واجبات الآباء أن يدربوا الأبناء على آداب التحية ومقابلة الآخرين، والتواصل معهم، وأن يعرف الأبناء أن السلام والتحية من الآداب التي حض عليها الإسلام، وأن تحية الإسلام هي السلام عليكم، وهي تحية تبعث في النفس الطمأنينة والراحة، وتمهد للقبول والتوافق، وكان النبي ﷺ يوصي أنس بن مالك فيقول: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك» (رواه الترمذي).

*** تربية الأبناء على خلق الفصاحة والشجاعة:**

إن من أهم وظائف الأسرة أن تربي الأبناء على الفصاحة وحسن البيان، والأدب عند التحدث والجرأة في قول الحق، وقد ضرب أبناء السلف الصالح المثل في هذا المجال، فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، أتته الوفود مهنئة، فإذا فيهم وفد الحجاز، فنظر عمر إلى صبي صغير السن منهم، وقد أراد أن يتكلم، فقال:

ليتكلم من هو أسن منك يا غلام، فإنه أحق منك بالكلام، فقال الصبي: أيد الله الأمير، إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإن أعطى الله المرء قلباً حافظاً ولساناً لافظا فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر بالسن يا مولاي لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا، فقال عمر: صدقت، قل ما بدا لك.

فقال الصبي: يا أمير المؤمنين، إنا قدمنا عليك من بلد تحمد الله الذي منا علينا بك، ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك، أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا، وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك، فنحن وفد الشكر والسلام، فقال له عمر رضي الله عنه: عظني يا غلام، فقال يا أمير المؤمنين، إن ناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم، فلا تكن مما يغره حلم الله وثناء الناس عليه، فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[1]، فنظر عمر في سن الغلام فإذا له اثنتا عشرة سنة، فأنشد عمر رضي الله عنه يقول: (الحصري، ١٩٧٠)

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

وانظر إلى هذا الطفل الذي كان يلعب في طرقات المدينة، وهو يتحدث بكل شجاعة إلى رجل كانت تخافه الشياطين، وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان رجلاً مهيبا، وكان ذات يوم يسير في طريق بالمدينة، وإذا بصبية يلعبون، فلما رأوه مقبلا هربوا جميعا، ولم يبق إلا صبي واحد، فاقترب منه عمر وسأله: لِمَ لمْ تهرب مثل أقرانك؟ فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، لست مذنباً فاهرب، وليست الطريق ضيقة فأوسع لك، وكان هذا الغلام هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (عقله، ١٩٩٠).

وهكذا تخرج من مدرسة محمد ﷺ جيل من الصحابة، تمثلوا هذه الأخلاق السامية، فأصبحت جزءاً من شخصياتهم، جيل فريد في إعداده وتربيته، ولما لا والمربي هو سيد البشر وخاتم الأنبياء محمد ﷺ، جيل يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكرم ضيفه، جيل يقول الخير ويعمل الخير، جيل ضرب المثل في العدل، سلما وحربا، جيل ارتفع إلى عنان السماء بالإيمان الذي لا يتزعزع، فجادوا بأموالهم وأرواحهم وكل ما يملكون في سبيل مرضاة الله تعالى، جيل لا يخشى في الله لومة لائم،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

جيل يقول الحق ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين، جيل أحب الله ورسوله، وطبق شرع الله في الأرض، جيل أخلص النوايا لله تعالى، فحازوا أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، وما أجمل أن يتخلق الأبناء بخلق القرآن الكريم، ويقتدوا بسنة محمد ﷺ.

(٣) وظيفة إشباع الجانب العاطفي:

الحاجة إلى المحبة غريزة فطرية، وإشباعها لدى الأبناء يحقق لهم البناءالعاطفي والنفسي والاجتماعي، الذي يساعدهم على التكيف، والتفاعل مع الآخرين، ويوفر لهم صحة نفسية جيدة، ويحميهم من الانحراف، لذلك ضرب الرسول ﷺ مثلا أعلى في محبة الأطفال ورحمتهم والصبر عليهم، عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها، فاسمع بكاء صبي، فأتجوز في صلاتي، لما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه» (رواه البخاري)، وعن قتاده رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ «يصلي بالناس وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها» (رواه الترمذي).

وكان محمد ﷺ يداعب الأطفال ليُدْخِل السرور على أنفسهم، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي اخ يقال له أبو عمير، كان إذا جاءنا قال ﷺ «يا أبا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به» (رواه البخاري ومسلم)، وعن أبو هريرة رضي الله عنه قال: «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «من لا يَرحم لا يُرحم» (رواه البخاري)، وتمتلئ سنة الحبيب محمد ﷺ بالعطف على الأطفال ورحمتهم ومحبتهم، وهي دعوة للأباء لكي يقوموا بمسؤولياتهم تجاه أبنائهم، فيقومون بمداعبة أبنائهم وملاطفتهم، والنزول إلى عالم الطفولة ومنازل الأطفال، لبناء عواطفهم وإشباع حاجاتهم إلى اللعب والرحمة والمحبة.

(٤) وظيفة تحقيق العدالة وعدم التفرقة:

العدالة قيمة تربوية تتطلع إليها كل الأمم، وهي قيمة إسلامية أكدتها سنة المصطفى ﷺ، روى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «اعدلوا بين أولادكم في النِحَلِ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف» (أخرجه مسلم)، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من ولد له ابنة فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر عليها (أي الذكور)،

أدخله الله الجنة» (أخرجه أبو داود)، وتشير هذه الأحاديث إلى تأكيد الرسول ﷺ على العدل بين الأبناء، والمساواة بين الذكور والاناث، وهو مبدأ تربوي هام، ينشر المحبة بين أبناء الأسرة الواحدة، ويجنبهم الأمراض والانحراف، الذي يقودهم إلى العدوان والعنف.

وأختتم هذه الوظائف التربوية، التي تقوم بها الأسرة المسلمة، في تربية وتوجيه أبنائها، بهذه الوصية الجامعة، من أب تربى في مدرسة محمد ﷺ، وهو الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه، إلى ولده سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه، يقول فيها: (علي، ١٩٨٥).

يا بني.. أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخاء، يا بني.. ما شرٌ بعده الجنة بشرٍ، ولا خيرٌ بعده النار بخيرٍ، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية، أعلم يا بني.. أن من أبصر عيب نفسه شُغل عن غيره، ومن تعرَ من لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس أبدا، ومن رضي بقسم الله تعالى لم يندم على ما فاته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره.

يا بني.. عزُّ المؤمن في غناه عن الناس، والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما ينفعه، يا.. بني الذكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة، والسعيد من وُعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، يا بني.. ليس مع قطيعة الرحم نماء، ولا مع الفجور غنى، يا بني.. رأس العلم الرفق وآفته الخرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، والعفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى، يا بني.. لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعلى من التقوى، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية.

يا بني.. لأخيك عليك مثل الذي لك عليه، والصبر جُنَّة من الفاقة، والبخل جلباب المسكنة، والحرص علامة الفقر، يا بني.. من تحرّ الصدق خفت عليه المؤن، في خلاف النفس رشدها، والساعات تنقص الأعمار، ويل للباغين من أحكم الحاكمين، يا بني.. ما أقرب الراحة من النصب، والبؤس من النعيم، والموت من الحياة، والسقم

من الصحة، فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله، وحبه وبغضه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، بخ بخ لعالم عَلِمَ فكف، وعمل فجد، إن سُئل أفصح، وإن تُرك صمت، وفقك الله لرشده وجعلك من أهل طاعته بقدرته إنه جواد كريم. ما أفصح هذه الوصية المكتوبة بكلمات من ذهب، وما أجمل أن نربي الأبناء عليها، لتتحول هذه الكلمات إلى سلوك وعمل في واقع حياتهم.

الأسرة والأدوار التربوية للمرأة:

تعد المرأة مقوم أساسي من مقومات الأسرة المسلمة، وتماسك الأسرة رهن بالمرأة الصالحة، التي تربت على قيم الإسلام، والتي تعرف حقوق الزوجية، وحقوق الأبناء، وتعمل جاهدة على أدائها دون تقصير، ويرتبط تحرير المرأة المسلمة المعاصرة، بتحرير الفكر والعقل من موازين باطلة وأفكار فاسدة، سيطرت عليه عبر القرون فأعجزته، فإذا تحرر العقل من هذا الظلام استيقظ وعمل على نور من هدى الله، ويعد تحرير العقل المسلم، هو السبيل إلى التحرير الكامل للمرأة والرجل معا، بل هو السبيل إلى إعادة بناء الأسرة والمجتمع بأسره، على أساس صحيح، فالعقل هو الموجه لحركة الإنسان، فإذا تحرر عقله واهتدى تحررت حركته واستقامت وجهته، وانطلق على نور وبصيرة، فالمسلم المعاصر في حاجة إلى نهج جديد في التفكير ينطلق من ثوابت الشريعة الإسلامية، ومن استيعاب صور التطبيق في الماضي، ويأخذ بصور التطبيق الجديدة، بحيث لا تتنافى مع ما أقره الإسلام ورسول الإسلام ﷺ (أبو شقة، ١٩٩٥).

فإذا كان أول ما يقرره الإسلام ويكفله للمرأة هو قيمتها الإنسانية، فإن الاعتراف بها إنسانا يعني الاعتراف بكل الحقوق التي تقتضيها الطبيعة الإنسانية، والإسلام في تقديره لهذه القيمة، إنما أكد بما لا يدع مجالاً للشك، دور المرأة المسلمة في البناء والمشاركة الحقيقية في مجالات الحياة الإنسانية، وهو أمر بات من مقومات تقدم وتطور المجتمعات المعاصرة، فالثروة البشرية في أي مجتمع تمثل قوة الدفع الحقيقية لعملية التنمية، واستثمار الثروة البشرية يعني انخراط كل من الرجال والنساء في مجالات الحياة ليكمل بعضهم الآخر، بهدف خدمة المجتمع وتحقيق التقدم.

إلا أن الدراسات تشير إلى انخفاض الأدوار التربوية، للمرأة المسلمة في كافة مجالات الحياة، وأرجعت الدراسات ذلك إلى أسباب كثيرة، منها الفقر والجهل والأمية،

التي تعاني منها قطاعات كبيرة من النساء في العالم الإسلامي، ومنها ظلم المجتمع وعدم إتاحة الفرص للنساء، لممارسة أدوارهن المتنوعة، ومنها العادات والتقاليد الممزوجة بالأفكار الرافضة لخروج المرأة، ومشاركتها في المجالات التربوية في عالم الرجال، وحصر دورها في الجوانب التربوية داخل نطاق الأسرة(تقرير الأمم المتحدة للتنمية، ٢٠٠٥) و(أبو طاحون، ٢٠٠٠). وأيا كانت الأسباب التي أبعدت المرأة المسلمة عن أداء أدوارها التربوية بفاعلية في المجتمع، فقد بات واضحاً أن هناك تغيرات جوهرية، تؤكد أهمية قيام المرأة المسلمة بأدوارها في المجتمع المعاصر.

أبعاد الدور التربوي للمرأة المسلمة:

فيما يلي عرض لمفهوم الدور التربوي للمرأة المسلمة، وأبعاد هذا الدور التربوي الذي يتضمن أدوارها داخل وخارج الأسرة، وكذلك توضيح ضوابط الاختلاط عند ممارسة المرأة المسلمة أدوارها التربوية في المجتمع، فضلاً عن شرح مبسط لكفايات المرأة المسلمة للقيام بهذه الأدوار، وفيما يلي توضيح ذلك:

مفهوم الدور التربوي للمراة المسلمة:

يعرف الدور بأنه كل ما يقوم به الفرد، من أعمال ترتبط بوضعه أو مركزه الاجتماعي، حيث يرتبط المركز الواحد بجملة من الأدوار، أما دور المرأة فيعرف بأنه مجموعة من الحقوق التي تنالها المرأة في المجتمع، وما يترتب عليها من واجبات، متمثلة في خدمات وأنماط سلوكية تقدمها للمجتمع، فضلاً عن وعي الآخرين بهذه الحقوق والواجبات التي تتمثل في مجموعة الإتجاهات الإجتماعية الشائعة حول حقوق المرأة وواجباتها في المجتمع(علي، ١٩٨٢) و(شهاب، ١٩٨٤).

استناداً إلى ما سبق فإن الدور التربوي، للمرأة المسلمة هو مجموعة الخدمات التي تقدمها المرأة المسلمة، سواء داخل الأسرة أو خارج نطاق الأسرة، وهذه الخدمات ترتبط بحقوق المرأة وواجباتها، وتعتمد على كفايات المرأة المسلمة، وما تملكه من خبرات ومهارات ومعارف ترتبط بمركزها الاجتماعي.

الدور التربوي للمرأة المسلمة داخل الأسرة:

المرأة في الإسلام رمز الطهر والحياء والفضيلة، ومنبع الحنان والرحمة والحب، وهي الأم التي وضع الله الجنة تحت أقدامها، والزوجة التي ترعى الأسرة وتحافظ على تماسكها، والبنت التي بها تتجدد الحياة، والأخت في الأسرة وفي المجتمع، يعرف المسلم الشريف قدرها ويحفظ حرمتها، ويغار على شرفها ويصون كرامتها، ويعاملها بمنتهى الأدب والإكرام، تمر المرأة في أرض الإسلام وعليها جلال الحجاب ووقار الستر، فيغض الرجال من أبصارهم احتراما لمقامها، وتغض بصرها وتخفض صوتها وتخفي زينتها وتستقيم في مشيتها، وتصلي خلفهم إذا صلوا، ولا تختلي بأحد خلوة غير شرعية، ولا تصافح أحدا بيدها، كل ذلك لأن المرأة إنسان كريم النفس رفيع المنزلة (المدغري، ١٩٩٩).

وتعد الأسرة اللبنة الأولى في المجتمع، وهي المكان الأول الذي تتفتح فيه وعليه عين الطفل، والمرأة المسلمة بمثابة القلب النابض في هذه الأسرة، فهي مظهر الحب والحنان والصفاء وأساس السعادة، وقد حددت الشريعة الإسلامية للأسرة نسقا اجتماعيا واضح المعالم، في كل مرحلة من مراحل تكوينها، سواء في الاختيار والارتباط والزواج أو العقد ومباشرة الحياة الزوجية وآدابها، أو إنجاب الأطفال الذين يكتمل بوجودهم شكل الأسرة، والتعاون على رعايتهم وإعدادهم للحياة (الساعاتي، ١٩٩٦).

ولقد اختص الله سبحانه وتعالى المرأة دون الرجل بدور الأمومة، فكرم المرأة ورفع من شأنها، لأنها مربية الإنسانية ومحضن الأجيال، إنها أي المرأة المسلمة الأمينة على أنفس وأغلى عناصر الوجود الإنساني، وأن دورها التربوي في إعداد وتربية الأبناء هو دور لا يعدله أي دور أخر في أى مجال من مجالات الحياة، وهو يمثل المهمة الأساسية الأولى للمرأة المسلمة، يتعلق بها مستقبل الإنسان، وتحضر المجتمع، فإذا صحت تربية وإعداد الأبناء كانوا القوة الدافعة التي تسهم في تنمية المجتمع وتطوره (مرزا، ١٩٩٠).

وإذا كانت الحياة الإنسانية مسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، يسهم كل منهما بدور متميز فيها، فإن الله عز وجل هيأ الرجل للكسب والقوامة فقال سبحانه:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡض وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ...﴾[1]، كما هيأ الله عز وجل المرأة لرعاية الأبناء وتدبير شؤون الأسرة حيث يقول الرسول ﷺ: «.... والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسؤولة عنهم» (رواه البخاري ومسلم)، وهو ما يؤكد أن المرأة راعية لزوجها وأولادها ومسؤولة عنهم.

وعليه فإن الدور التربوي الأساسي للمرأة المسلمة يتمثل في رعاية الأسرة وتربية الأبناء، فالمرأة المسلمة هي أساس تماسك الأسرة، وهي القدوة والمثل الذي يحتذي، وهى المدرسة الأولى التي تعلم الأبناء، فالأم الملتزمة بدينها والصادقة في قولها والمتزنة في تصرفاتها والمحافظة على نفسها، والمحتشمة في مظهرها ومخبرها، والواعية بأحكام دينها، تستطيع أن تعلم أبنائها الفضيلة والأخلاق الحميدة، فدور المرأة المسلمة في نطاق الأسرة، هو دور عظيم ذو أبعاد متعددة، منها إعداد الأطفال للتمسك بالعقيدة الإسلامية، وصون الدين والعرض وحسن معاشرة الزوج.

ذلك أن الحارث بن عمرو ملك كندة، خطب إلى عوف بن محلم الشيباني ابنته، فلما كان يوم بنائه بها، وأرادوا أن يحملوها إليه قالت لها أمها: «أي بنية.. إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنتِ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خُلق الرجال. أي بنية.. إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت، على رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخرا. أما الأولى والثانية فالخضوع له بالقناعة وحسن الطاعة، وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله ورعاية حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له امرا، ولا تفشين له سرا، فانك إن خالفت أمره، أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحا، والترح بين يديه إذا كان فرحا،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت، والله يخير لك» (علي، ٢٠١٠)، وما أحوج فتيات اليوم لهذه النصيحة التي تبني البيت المسلم على أسس قوية من المحبة والمودة والتماسك.

ويعتمد الدور التربوي للمرأة المسلمة في الأسرة على مدى تعلم وثقافة ووعي المرأة المسلمة، وقدرتها على إدراك حاجات الأبناء المختلفة، والتنوع القائم بينهم، ومن ثم قدرتها على التعامل معهم بأسلوب تربوي يناسب قدراتهم والفروق الفردية بينهم، فتعمل على إعدادهم للحياة كل على حسب قدراته، مستخدمة أنجع الأساليب التربوية كالقدوة وحسن المعاملة وبناء العلاقات الطيبة، والتوجيه والإرشاد وغيره من الأساليب التربوية التي تحافظ على صحة الأبناء النفسية والعقلية والاجتماعية، فتعدل بينهم وتحنو عليهم وتتابعهم بيقظة، فإذا وجدت منهم انحرافا مما ينافي خلق المسلم أو يهدر وقته أو طاقته، سارعت إلى تقويم الانحراف وردهم إلى الطريق المستقيم، برفق وأناة وحزم (الهاشمي، ١٩٩٧).

ليس هذا فحسب بل تضطلع المرأة المسلمة، بدور تحفيز وتشجيع الأبناء على التسلح بالعلم، وتوجيههم إلى التعلم باعتباره خير ما يرفع من قدر الإنسان في الدنيا والآخرة، لذا يقع على المرأة المسلمة مسؤولية تهيئة بيئة تربوية جاذبة ومحببة لنفوس الأطفال داخل الأسرة، فيصبح البيت بمثابة المدرسة الحقيقية التي تعد الأبناء لمدرسة المجتمع، فتشبع حاجاتهم وتنمي قدراتهم وتستثمر مواهبهم، ولا يتم هذا إلا بوجود أسرة متماسكة ومتحابة ومتعاونة، وذلك رهن بوجود المرأة المسلمة الواعية والمتعلمة، والمنظمة لوقتها والمقدرة لوجودها ولدورها التربوي.

كما تسهم المرأة المسلمة في الأسرة بدور تربوي آخر، يتمثل في توعية الأبناء وتعويدهم على الاستقلالية والاعتماد على النفس والحرية، من خلال إتاحة الفرص لهم للتعبير عن آرائهم وتدريبهم على الحوار البناء والاستماع إليهم وتدريبهم على أدب الاختلاف، وإكسابهم مهارات التعاون والعمل بروح الفريق، وهي قيم يمكن للأم الواعية زرعها في الأطفال منذ نعومة أظافرهم، ليس هذا فحسب بل تسهم المرأة المسلمة بدور اقتصادي في نطاق الأسرة، حيث تتعاون مع زوجها في إدارة شؤون

البيت، فتنظم عملية الإنفاق حسب الأولويات اللازمة، فتقف بجانب زوجها، تثمن جهوده في تأمين دخل الأسرة، وتساعده على الإنفاق بوسطية واعتدال دون إسراف أو تقتير.

مما سبق يتبين أن هناك أدواراً تربوية عظيمة للمرأة المسلمة داخل الأسرة، وهي أدوار لا تساويها أية أدوار أخرى مهما كانت أهميتها خارج نطاق الأسرة، لأن دور المرأة المسلمة داخل الأسرة، يسهم بشكل مباشر وغير مباشر في إعداد الأجيال القادرة على المشاركة الفاعلة في المجتمع، وبالرغم من أهمية هذا الدور إلا أنه لا يمكن قصر الدور التربوي للمرأة المسلمة في نطاق الأسرة فحسب، وإنما تستطيع المرأة المسلمة أن تقوم بأدوار تربوية أخرى خارج الأسرة، تقدم من خلالها خدمات في كافة مجالات الحياة، وهي خدمات أصبحت من الأهمية بمكان لتقدم وتحضر المجتمع المسلم، وذلك بشرط التوفيق بين المسؤوليات داخل الأسرة والأدوار المتجددة خارج الأسرة.

الأدوار التربوية للمرأة المسلمة خارج الأسرة:

(١) دور المرأة المسلمة في المجال الاجتماعي:

لقد كان نصيب المرأة من التشريع الإسلامي وفيرا، فبين مكانتها ورفع من شأنها الاجتماعي، وجعل الرجل والمرأة شريكان في الحياة، كما ضمن للمرأة حقوقا كحقها في الإعتقاد وحقها في اختيار الزوج وحقها في التملك وحقها في العمل، والمشاركة الحقيقية في الحياة الاجتماعية، وهذه الحقوق والأدوار الاجتماعية التي يقررها الإسلام، جاءت في إطار من الإتزان والوقار والإلتزام بآداب الشريعة الإسلامية.

وقد شاركت المرأة في الحياة الاجتماعية، في عصر الرسالة بأدوار متنوعة، حيث شاركت في الاحتفالات بالأعياد وحفلات الزواج، وفي تيسير المسكن والمأكل للوافدين، وشاركت في أنشطة المسجد الذي كان يمثل مدرسة تربوية إسلامية هامة آنذاك، فشاركت في العبادة والصلاة والتعلم، فعن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ، إذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فنزلت هذه الآية: قال تعالى: «وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا

إليها وتركوك قائما» (رواه البخاري). كما شاركت في أنشطة ثقافية خارج المسجد، فقد نظم الرسول ﷺ لقاءات خاصة بالنساء (أبو شقة، ١٩٩٥).

كما شاركت المرأة بالأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، فضلاً عن التطوع في مجالات البر والخدمة الاجتماعية، فكانت تقدم العون للمهاجرين، حيث يندب للمراة أن تبذل من مالها إن كان لها مال، فإن لم يكن فمن مال زوجها بالمعروف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب» (رواه البخاري ومسلم)، بل وشاركت المرأة المسلمة، في الجهاد خلف خطوط القتال، في التمريض والإسعاف.

وعليه فإن المرأة في المجتمع المعاصر مدعوة للمشاركة بأدوار اجتماعية، تسهم من خلالها في تحقيق التنمية الاجتماعية التي تصب في مصلحة المجتمع المسلم، إن النساء اللواتي يملكن مواهب عالية وقدرات متنوعة ومهارات فائقة كطلاقة اللسان وما يصدر عنه من كلمات مؤثرة وحسن بيان، أو اللواتي يملكن ذكاءات متعددة تساعدهن في التعلم واستيعاب العلوم والإبداع والتجديد، إن مثل هؤلاء النساء ينبغي على المجتمع أن يوفر لهن الفرص المتنوعة للمشاركة الحقيقية في مختلف مجالات الحياة، التي تتوافق وطبيعة ومكانة المرأة، وما وصلت إليه من علم وفكر في المجتمع المعاصر، لتحقيق المصلحة المشتركة مع الرجال، وهي الارتقاء بمستوى الحياة في المجتمع المسلم.

حيث تتعدد الأدوار الاجتماعية للمرأة المسلمة في المجتمع المعاصر، فقد شاركت المرأة المسلمة في كافة مؤسسات التعليم، سواء في المدارس أو الجامعات كمعلمة وكإدارية، وشاركت في المجال الصحي كطبيبة وكممرضة، كما شاركت في الأعمال التطوعية وفي الجمعيات الأهلية، بل وشاركت في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما خاضت المرأة المعاصرة غمار الإعلام المعاصر، وأصبح لها دوراً تربوياً إعلامياً هاماً في المجتمع، بل وشاركت في المجال القانوني فعملت كمحامية، كما دخلت السلك القضائي فعملت كقاضية، ليس هذا فحسب بل ارتقت في المناصب إلى أن تولت منصب الوزيرة، وغيره من الأدوار الاجتماعية التي تؤكد أهمية مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية في هذا العصر، وما يمكن أن تحرزه من خدمات أصبح المجتمع المسلم في أشد الحاجة إليها.

(٢) دور المرأة المسلمة في المجال الدعوى:

إن دور المرأة في الدعوة ثابت في الشريعة الإسلامية، حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(١)]، وهذه الآية لم تفرق بين المرأة والرجل في إيجاب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيام المرأة بالدور التربوي المنوط بها في الدعوة، يستلزم أن تكون المرأة عارفة للخير، مميزة بينه وبين الشر، حتى تكون على بينة من أمرها، وأن تكون عليمة بأحوال من تدعوهم إلى الإسلام، وأن تكون بصيرة بالنفوس والطباع والمجتمعات، وأن تكون متمسكة بما تدعو إليه من خير، بحيث تكون المرأة قدوة في العمل والسلوك، الأمر الذي يؤكد مسؤولية المرأة المسلمة تجاه المجتمع المسلم، وكذلك حاجة المرأة للتعليم والتعلم والتثقيف وإدراك مقاصد الشريعة الإسلامية والتفقه في الدين الإسلامي.

فضلاً عن الإلمام ببعض العلوم التي تساعد المرأة في فهم طباع البشر وحاجاتهم، وطرق التواصل معهم، كل ذلك يهيئ للمرأة المسلمة إمكانية القيام بدور دعوى على مستوى المجتمع المسلم، بل يمكن أن تتجاوز المجتمع المسلم إلى دعوة النساء في كافة أنحاء المعمورة إلى خير الإسلام، وتبصير المرأة على مستوى العالم، بهدي الإسلام وما حققه الإسلام للمرأة من مكانة راقية، ومن ثم يمكن أن تسهم المرأة المسلمة بدور هام في تصحيح الأفكار الخاطئة عن الإسلام ووضع المرأة.

وقد قامت المرأة المسلمة في العهد النبوي، بدور تربوي واضح في مجال الدعوة، فكانت عائشة حاملة لواء العلم والمعرفة في عصرها، وهي من أبرع الناس في القرآن والحديث والفقه والشعر، وأحاديث العرب وأخبارهم وأيامهم وأنسابهم، قال عروة بن الزبير: ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ولا بحلال ولا بحرام ولا بحديث العرب وأنسابهم من عائشة، وكان من فقيهات النساء في المدينة ابنة زيد بن ثابت الأنصارية، ومن ربات الفقه المالكي خديجة بنت سحنون، وغيرهم كثيرات كان لهم دور بارز في الفقه وفي الدعوة، ويحفل التاريخ الإسلامي بالفقيهات اللواتي قمن بأدوار

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

في مجال الفتوى والدعوة على مر العصور (نصير،٢٠٠١).

وإذا كانت المرأة المسلمة قد كلفت شرعاً بالدعوة إلى الله تعالى، فإن ذلك التكليف مبني على عدة أسباب، أهمها أن المرأة في الغالب أقدر من الرجل في البيان والتبليغ فيما يخص النساء، كما أن مجال تأثر المرأة بالمرأة أكثر من مجال تأثر المرأة بالرجل، لأن فعل المرأة الداعية هو نفسه نوع من دعوة النساء بفعلها، على عكس الرجل حيث يكلف بأمور لا تكلف بها المرأة، فضلاً عن أن المرأة تعايش المجتمع النسائي، وتستطيع أن تطرق كل مجالات المرأة في المجال الدعوي، بل وتستطيع المرأة الداعية أن تميز بين الاولويات في قضايا النساء، كما تستطيع المرأة القيام بالدعوة الفردية مع كافة النساء، وهو ما لا يمكن للرجل القيام به (العك، ١٩٩٨).

(٣) دور المرأة المسلمة في المجال الإعلامي:

تقوم وسائل الإعلام في المجتمع المعاصر، بتحقيق وظائف تربوية وتثقيفية وترويحية، وتركز على نقل الأفكار والخبرات والمعارف وإحداث التأثير المطلوب في الجماهير، وقد كان الرسول ﷺ الإعلامي الأول بأمر من الله عز وجل، حيث يقول: ﴿...فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[1]، وقد استخدم الرسول ﷺ لإعلام الناس كل الطرق والوسائل، من خطابة وحوار وتوعية وسرد للقصص، بل وأرسل الرسل إلى الأمصار والملوك، ليبلغ بلسان القوم دعوته إلى الله عز وجل.

وقد انطلق الأمر الإعلامي الخاص بالنساء، في القرآن الكريم من بيت النبوة، قال الله تعالى: ﴿ ... وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفا﴾[2]، كما قال جل شأنه: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[3]، وفعل الأمر «قلن» و«أذكرن» هو أمر بالتبليغ والإعلام لنساء النبي خاصة وللنساء عامة من بعدهن، وقد كان للمرأة في عهد الرسول ﷺ دوراً تربوياً إعلامياً رائداً، فكانت السيدة عائشة والسيدة حفصة بنت عمر وغيرهن، من الإعلاميات اللواتي تميزن بالذكاء والفصاحة وحسن البيان (مصطفى، ٢٠٠٢).

(١) سورة الرعد، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

استناداً إلى ما سبق يصبح من حق المرأة المعاصرة، أن تشارك بفاعلية في تقديم رسالة تربوية إعلامية قوية، من خلال الوسائط الإعلامية المتعددة، ويمكن أن تسهم المرأة المسلمة بأدوار تربوية إعلامية رائدة في مجالات إسلامية متنوعة، بل ويمكن أن تصحح الصورة السلبية التي يعرضها الإعلام عن المرأة، إلا أن الواقع الإعلامي للمرأة في المجتمعات المسلمة، يشير إلى انخفاض المشاركة الحقيقية للمرأة المسلمة في المجالات الإعلامية المختلفة، الأمر الذي يؤكد أن المجتمع المسلم بحاجة إلى إعلاميات، على قدر عال من التعليم والثقافة والوعي بواقع الأمة، إعلاميات يدركن أبعاد العصر، وما يجوبه من متغيرات، ويتمسكن بثوابت الشريعة الإسلامية، فيصبحن مثل ونموذج وقدوة تحتذى في المجتمع المعاصر.

(٤) دور المرأة المسلمة في المجال الاقتصادي:

تعد القوة الاقتصادية في المجتمعات المعاصرة، من أهم العوامل التي تحدد مدى قوة وتقدم أي مجتمع، فالاقتصاد أصبح يمثل عصب الحياة، وحدوث رواج اقتصادي يؤدي إلى تقدم في جميع مجالات الحياة، وإذا كانت مصادر الثروة الطبيعية والمادية، تمثل قاعدة الانطلاق في أية عملية تنموية، إلا أن العنصر البشري يمثل قوة الدفع الحقيقية لعملية التنمية، والعنصر البشري يشمل انخراط كل طاقات المجتمع، من النساء والرجال في مجالات الحياة، حيث يؤكد التاريخ أن التقدم في أي زمان أو مكان، رهن برصيد الثروة البشرية وتكاملها، وكيفية إخراجها وتأهيلها والاستفادة منها، في دفع عجلة التقدم والتطور بالمجتمع.

لقد سوى الإسلام بين المرأة والرجل في حق العمل، فأباح للمرأة أن تضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أداءها ولا تتنافر مع طبيعتها، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبذل، وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم، فاشترط إذا كان للمرأة عمل خارج الأسرة أن تؤديه في وقار وحشمة، وألا يؤدي هذا العمل إلى ضرر اجتماعي أو خلقي، أو يعوقها عن أداء واجباتها الأخرى نحو أولادها وبيتها، أو يكلفها ما لا طاقة لها به، وأن تلتزم عند خروجها بآداب الشريعة الإسلامية في الزى والزينة، والأدلة التي تؤكد عمل المرأة في عصر الرسالة، عن جابر بن عبد الله قال: «طلقت خالتي فأرادت أن تجدً نخلها، فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي ﷺ، فقال: «بلى فجدي نخلك» (رواه مسلم)، وعن

عائشة ام المؤمنين قالت: «.... فكانت أطولنا يداً زينب بنت جحش، لأنها كانت تعمل بيدها وتصَّدق» (رواه مسلم) (أحمد، ١٩٩٥).

أما في المجتمع المعاصر، فقد ساهمت المرأة المسلمة في الحياة الاقتصادية، فخاضت غمار العمل جنبا إلى جنب مع الرجل، فشاركت في العديد من المهن كالتعليم والطب والمحاماة والهندسة، بل وشاركت في العديد من الصناعات كصناعة الدواء والمأكل والملبس والتطريز والحياكة، وصناعة اللبن والزراعة، بل وعملت بالتجارة والبيع والشراء، وعملت في البنوك وغيره من الصناعات والمهن المختلفة، الأمر الذي يؤكد أن المرأة شاركت في جميع مجالات الحياة المهنية والاقتصادية، إلا أن المؤشرات التي ترصدها الأمم المتحدة، تؤكد أن مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية المعاصرة، ما زالت ضعيفة على المستوى العالمي بشكل عام، وعلى مستوى الدول الإسلامية بشكل خاص.

حيث يشير تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة إلى تدني دور ووضع المرأة الاقتصادي في العالم الإسلامي، وانتشار الفقر والمرض والأمية بشكل أكبر بين النساء، الأمر الذي كرس البعد النوعي لعدم المساواة، خاصة فيما يتعلق بتوزيع ثمار التنمية، ويرتبط بذلك قلة فرص العمل المتاحة للنساء، وعدم توفر الظروف المناسبة لعمل المرأة، والتي توفر لها حياة كريمة، ويشير التقرير إلي وجود تباينات شديدة ومستمرة في التنمية البشرية بين الفقراء والأغنياء، وبين الرجال والنساء، وبين المناطق الريفية والمناطق الحضرية (تقرير التنمية البشرية، ٢٠٠٥).

وعلى الرغم من أن العولمة وضعت المرأة المعاصرة مسلمة أو غير مسلمة، في حالة تمكين من الحصول على عمل، والمشاركة في الحياة الاقتصادية، إلا أنها ساهمت في زيادة تكريس التمييز ضدها لصالح الرجل،إذ تعيد إنتاج العمالة في ضوء نفس المفاهيم التي تنسج حول العمالة النسائية، حيث ساهمت العولمة في تهميش المرأة، لدرجة وصف العولمة بالذكورية، وعلى الرغم مما إتاحته العولمة من فرص عمل جديدة للمرأة، إلا أنها غالبا ما تخدم نساء الصفوة، بينما تدفع بالنساء الأخريات إلى الفقر والبطالة الناجمين عن تداعيات العولمة (عبد المعطي وعلام،٢٠٠٣)

استنادا إلى ما سبق يمكن القول بأن الإسلام أعطى للمرأة حق العمل، ولكن وضع له شروطا وضوابط تراعي طبيعة المرأة، وتصون كرامتها، كما بين أن العمل ليس فرض عين على المرأة وإنما هو فرض كفاية لحفظ كيان المجتمع المسلم، لذا جعل الإسلام كفالة المرأة واجبة على الرجل، وبالرغم من ذلك فإن مشاركة المرأة المسلمة في التنمية الاقتصادية يمثل تطورا هاما في المجتمع المعاصر، وتمتد آثاره إلى مجالات الحياة الأخرى، ويجب التأكيد هنا على أن لا تنسى المرأة أن لها دوراً أساسياً في بيتها يجب الوفاء به جنبا إلى جنب مع دورها خارج الأسرة.

ضوابط الاختلاط عند أداء الأدوار التربوية:

المرأة المسلمة شريكة الرجل في تعمير الأرض، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «النساء شقائق الرجال». لذا كان لابد لها من المشاركة بجد واحتشام في مجالات الحياة، ومجالات الحياة بطبيعتها لا تخلو من وجود الرجال، ولم تحِرم الشريعة الإسلامية على المرأة أن تلقى الرجال، ويسمى لقاء النساء والرجال بآدابه الشرعية بالاختلاط المشروع وهو ظاهرة صحية، لأن المشاركة والتعاون بين الرجال والنساء من سنن الحياة الإنسانية، أي من سنن الاجتماع البشري منذ القدم، فقد خلق الله الرجال والنساء ليعمروا هذه الأرض معاً، والحياة لا تمضي في قوة ويسر إلا بإعمال هذه السنة، وقد جاءت سير الأنبياء والمرسلين لتؤكد هذه السنة، ثم جاءت سيرة النبي الخاتم ﷺ على وتيرة سيرة الأنبياء، بل أفسحت من آفاق هذه السنة لتشمل مجالات الحياة كافة، وفي الوقت نفسه وضعت الضوابط الضرورية لا لتعطيل هذه السنة، بل لتمضي في طريقها دون أية شائبة، تشوه وجه الحياة الطاهرة (أبو شقة، ١٩٩٥).

وعليه فإن خروج المرأة ومشاركتها الرجال في الحياة الاجتماعية، وخاصة في هذا العصر بات حقيقة واقعة، وله مبرراته التي تتعدى حاجة المرأة للكسب والإعالة، إلي المشاركة الحقيقية في بناء المجتمع وتحقيق التنمية، وإذا كانت الشريعة الإسلامية لم تحرم هذه المشاركة التي تنطوي على قدر من التعاون بين الرجال والنساء في المجتمع، فإن الشريعة الإسلامية تضمنت مجموعة من الضوابط التي تصون المرأة وتحميها من ناحية، وتحقق مصالح المجتمع من ناحية أخرى، وتتعدد

هذه الضوابط وفيما يلي أهمها: (أبو شقة، ١٩٩٥) و(أحمد،١٩٩٥) و(أحمد،١٩٩٧) و(على، ١٩٩٩).

١- المسؤولية والجدية في حال الاختلاط:

قال تعالى: ﴿ ... وَقُلْنَ قَوْلا مَّعْرُوفا﴾[1]، حيث تشير الآية إلى أن الحديث بين الرجال والنساء ينبغي أن يكون في حدود المعروف، ولا يتضمن منكراً أو فحشاً.

٢- التزام المرأة المسلمة بالزى المحتشم:

إن كلمة حجاب تعني شيئاً يحجز بين طرفين فلا يرى أحدهما الآخر، والحجاب الوارد في قول الله عز وجل: «فسألوهن من وراء حجاب» هو الستر الذي يكون في البيت ويرخى ليفصل بين مجلس الرجال ومجلس النساء، وهذا الحجاب أدب خاص بنساء النبي ﷺ، وهو أدب اكتمل بأمر الله عز وجل في قوله «وقرن في بيوتكن» تمهيداً لحظر النكاح على أمهات المؤمنين بعد الرسول ﷺ، أما عامة النساء المسلمات فعليهن فرض ارتداء الزى المحتشم، الذي يتصف بشروط ستر جميع البدن عدا الوجه والكفين، والتزام الاعتدال في زينة الثياب والوجه والكفين والقدمين، وأن يكون اللباس مما تعارف عليه في المجتمع المسلم .

٣- غض البصر واجتناب المصافحة.

غض البصر أدب يجب أن يلتزم به الرجل والمرأة عند الاختلاط، وهو أمر من الله فيقول عز وجل: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ(٣٠) وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ...(٣١) ﴾[2] ، وما أكده أبو هريرة عن النبي ﷺ، قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدِق ذلك أو يكذِبه» (رواه البخاري ومسلم). والحديث يؤكد هنا أن النظر بشهوة هو المحظور. وإذا كان الغض من البصر أمر واجب التنفيذ، فإن اجتناب المصافحة واللمس يكون أولى.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١.

٤- اجتناب الخلوة واجتناب مواطن الريبة:

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» (رواه البخاري)، ويخرج عن مفهوم الخلوة المحظورة، الخلوة في حضرة الناس عند الحاجة، وخلوة الرجلين والثلاثة بالمرأة عند الحاجة، وخلوة الرجل بمجموعة من النساء.

٥- اجتناب ظاهر الإثم وباطنه:

يقول عز وجل: ﴿... وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ...﴾[1] ومن ظاهر الإثم التقصير في تطبيق آداب اللقاء، ومن باطن الإثم الاستمتاع بالحرام والتطلع إلى المزيد منه.

٦- اجتناب المزاحمة بين الرجال والنساء:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيرا قبل أن يقوم. قال ابن شهاب: فأرى والله أعلم أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم. (رواه البخاري)، الأمر الذي يؤكد اجتناب المزاحمة بين الرجال والنساء، في الأماكن العامة وفي المواصلات وغيره.

كفايات المرأة المسلمة للقيام بأدوارها التربوية:

إن قيام المرأة المسلمة بأدوارها التربوية، المنوطة بها سواء على مستوى الأسرة أو على مستوى المجتمع، يتطلب توفر مجموعة من الكفايات، التي لا غنى عنها للمرأة في المجتمع المعاصر، وفيما يلي أهم هذه الكفايات:

١- التعليم والتعلم:

تعليم المرأة حق أساسي كفله الإسلام، وطالب به وليها، والعلم الذي كان متاحا للرجل في عهد النبي ﷺ، أتيح مثله للمرأة على قدم المساواة، وللمرأة الحق في تعلم كافة أنواع المعارف المفيدة لها، وذلك انطلاقاً من أهمية التعليم والتعلم للمرأة، ودوره الأساسي في الارتقاء بعقل المرأة وزيادة وعيها ومستوى أدائها سواء في تربية أبنائها، أو في أداء أدوارها التربوية في الحياة الاجتماعية(زيدان، ١٩٩٧).

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

٢- معرفة أمور الدين والوعي بالأحكام الشرعية:

لقد اهتمت المرأة المسلمة بكسب المعارف والتفقه في الدين، من خلال تواجدها في المسجد واستماعها لخطب الرسول ﷺ، فضلاً عن مطالبتها بأن يجعل لهن الرسول يوماً للوعظ والإرشاد، الأمر الذي يؤكد ضرورة إلمام المرأة المسلمة في المجتمع المعاصر، بأمور دينها وتعلم ما يجب بالضرورة، ولا يعفيها جهلها بالأحكام الشرعية، من المسؤولية الفردية المباشرة أمام الله جل شأنه. فالمرأة مسؤولة عن صلاتها وصيامها وزكاتها وحجها وسلامة عقيدتها(الصفار، ٢٠٠٣) و(نصيف، ١٩٩٢).

٣- الوعي والثقة في النفس:

يجب أن تكون المرأة المسلمة على وعي تام بذاتها، واعتزازها بأنها أنثى، وبالتالي التعامل مع جسدها وعقلها بنوع من الثقة والراحة النفسية، كذلك وعي المرأة بأدوارها التربوية في المجتمع على كافة المستويات داخل الأسرة وخارجها، وعلاقة ذلك ببناء المجتمع، فضلاً عن ضرورة إلمام المرأة المسلمة بما يدور في العالم من حولها، من تصورات وأفكار وصراعات قد تؤثر بشكل مباشر عليها(عبد الوهاب، ١٩٩٩).

٤- التحصن ضد الإغواء والإغراء:

تتعرض المرأة المسلمة وخاصة في الحياة المعاصرة لكثير من محاولات الإغراء، كما تمتلئ الأجواء العامة بوسائل الإثارة والتحريض على الشهوات والغرائز، ووقوع المرأة في براثن الإغراء يكلفها الكثير من عقيدتها وإيمانها ومستقبلها، ووضعها الاجتماعي وقيمتها وكيانها كإنسان، ونظراً لأن القوانين والأعراف الاجتماعية لم تعد كافية للوقوف أمام تأثيرات هذه الأجواء المفتوحة، فإن الوقاية الحقيقية تكمن في تربية المرأة تربية إسلامية، تقوي إيمانها بالله تعالى، وتساعدها على التحصن ضد كل محاولات الإغراء ووسائل الابتزاز.

٥- الحياء الذي يصون المرأة المسلمة:

تأخذ صفة الحياء أهمية كبيرة في حياة المرأة المسلمة، فالحياء يصونها ويبعدها عن ارتكاب كل ما نهى عنه الشرع أو العقل أو العرف، ويجعلها أكثر انضباطا ورزانة، وأبعد عن مواضع الفتنة والإثارة، والمراة بطبيعتها أكثر نزوعا إلى الحياء من الرجل، فقد وصف القرآن الكريم ابنة شعيب يقول عز وجل: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ

عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. كما جاء في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها تصف حال النساء في عصرها قالت: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن في الدين» (صحيح البخاري) (نصيف، ١٩٩٢).

٦- الكفاءة والقدرة على العمل بروح الفريق:

إن كفاءة المرأة المسلمة تستند إلى تقواها وإيمانها وعلمها، وتحملها للمسؤولية وقدرتها على حل المشكلات وتحليل أسبابها ونتائجها، وقدرتها على اتخاذ القرارات المناسبة، فضلاً عن امتلاك المرأة لمهارات العمل الجماعي، المرتبطة بالتعاون وحسن الاستماع، وأدب الاختلاف والثقة في الآخرين.

٧- الصحة الجسمية والنفسية:

تعاني المرأة المسلمة وخاصة في المجتمع المعاصر، من مشكلات صحية كثيرة مرتبطة بمنغصات كثيرة تواجه المرأة وخاصة العاملة، التي تخرج وتتعرض للزحام والتوتر الناشئ عن ظروف العمل وغيره، مما يستدعي ضرورة أن تتعلم المرأة كيفية المحافظة على صحتها الجسمية أو النفسية، والمتطلبات التي تحافظ من خلالها على صحتها وصحة أسرتها.

٨- القدرة على التفكر وتوظيف القدرات العقلية:

يعد التفكر أحد أهم خصائص العقل، التي ينظر من خلالها بعمق للمواقف والخبرات ويستخرج أسرارها وبواطنها، ويبني عليها النتائج والأحكام، وامتلاك المرأة القدرة على إعمال العقل وإمعان الفكر وإحكام التدبر، يمثل صفة مميزة للمرأة المسلمة، وكفاية هامة تساعدها على توظيف قدراتها العقلية، وتحسين أدائها وإنجاز المهام الموكلة إليها بكفاءة عالية. (الصغير، ٢٠٠٥).

ثانياً: منظمة المسجد في الإسلام:

مقدمة:

لقد جعل الله عز وجل المساجد منارة للهدى، ومكانا للدعاة العاملين، ينشرون فيها العلم النافع، لإصلاح النفوس وتهذيب القلوب، سبحانه تكرم على روادها فأضفى عليهم من رحمته، وكساهم من محبته، فقال في الحديث القدسي: «إن بيوتي

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٥.

في الأرض المساجد، وعمارها زواري، وحق على المزور أن يكرم زائره»، ولقد كان أول عمل للنبي محمد ﷺ بعد أن دخل المدينة مهاجراً أن شيد المسجد، ليكون مقرا لعبادة الله تعالى، ومدرسة تمثل مصدر إشعاع تربوي وتعليمي وحضاري، يبدد ظلام الجاهلية في شتى بقاع الأرض.

والمساجد بيوت الله في الأرض، جعلها سبحانه مثابة وفضلا ومشرقا للهداية والنور، ومهبطا للملائكة بالرحمة والسكينة، ومن المساجد يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، وفي رحابها يجتمع المؤمنون على الطاعة والعبادة، ويتعارفون فيها فيلتقون على الطاعة والمحبة والعبادة والتآلف، كما يتلقون فيها العلم النافع المفيد، ومن شرف المساجد أن الله عز وجل جعلها أحب البقاع إليه، وقال أبو الدرداء لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك فإن المساجد بيوت المتقين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يكن المسجد بيته ضمن الله تعالى له الروْح والرحمة والجَوَازَ على الصراط إلى الجنة» (الطبراني).

وبالرغم من ظهور منظمات تربوية جديدة في المجتمع المسلم، وعلى قدر أهمية هذه المظمات التربوية، إلا أن المسجد مازال يحتل المكانة الاسمى في نفوس المسلمين، ومنبره يمثل أقوى صوت يُوَجَّه للناس، لأن رسالة المسجد في مجموعها، هي رسالة الله لصالح الناس وسعادة البشرية، وإن كانت الجهود تبذل لتتعاون المنظمات التربوية معا، في تربية الإنسان المسلم، الذي يحقق الهدف الاسمى من وجوده في هذه الحياة، وفيما يلي توضيح لمصطلح المسجد، ومكانته في الإسلام، وأهم الوظائف التربوية للمسجد، وواقع المساجد في الوقت الراهن:

تعريف المسجد:

المسجد في اللغة هو كلمة مأخوذة من الفعل سَجَدَ، والمسجد هو كل موضع يتعبد فيه، وقيل: المسجد اسم جامع، حيث سجد عليه وفيه، والمسجد من الأرض موضع السجود نفسه (الفيروز أبادي، ٢٠٠٩). وعليه فإن المسجد ليس له مكان محدد، وإنما هو كل مكان يسجد فيه الإنسان من الأرض. وعندما يذكر مصطلح المسجد، فإن الذهن يتجه على الفور إلى المبنى الذي تقام فيه الصلاة، ولقد بين مؤرخوا المساجد أن أهم ما في الصلاة من أركان هو السجود، وذلك لقول النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، قال الزركشي: ولما كان السجود أشرف

أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، أشتق اسم المكان منه، فقيل: مَسْجِد ولم يقال مركع (الولي، ١٩٨٨)، وشرعا المسجد هو كل موضع من الأرض، وهذا من خصوصية أمة محمد ﷺ لقوله: «... وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً... » (رواه البخاري)، ومن ثم فإن المسجد هو أي مكان في الأرض يكون فيه السجود للصلاة، بشرط أن يكون طاهراً.

وعليه فإن المسجد ليس الجدار الضخم والمكان المبني بوسائل البناء، بل هو جميع أرض الإسلام، وهذا هو المعنى الذي يصلح مع شمولية الإسلام، ويؤخذ من حديث الرسول ﷺ، فإذا كانت الأرض كلها مساجد، والمساجد كلها مراكز للدعوة وبناء البشر، فالأرض كلها مراكز لتربية وإعداد الإنسان، ولابد للمسلم أن يرسخ قدمه على أرض الإسلام، ويجعلها صالحة لإنبات جيل صالح، مسلم متمسك بالإسلام عقيدة وسلوكا، أما إذا تقاعس المسلمون، فستكون العاقبة وخيمة وغير مرضية، وسيسألون أمام الله عز وجل وأمام الرسول ﷺ وأمام التاريخ، ويشكوهم الرسول بقوله:﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورا ﴾[١] (علي، ٢٠١٠).

نشأت المساجد:

المسجد الحرام والمسجد الأقصى:

يتفق المؤرخون على أن المسجد الحرام، أو الكعبة المشرفة أو البيت العتيق، هو أول حرم مقدس، شادته يد الإنسان لكي يكون حرما للعبادة، منذ عرفت البشرية طريقها إلى الله تعالى، مبدع الكون وما فيه من معالم الحياة والوجود، وهو ما صدقه القرآن الكريم بقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكا وَهُدى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢]، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «بعث الله جبريل ﷺ إلى آدم وحواء فقال لهما «ابنيا لي بيتا»، فخط لهما جبريل ﷺ فجعل آدم يحفر، وحواء تنقل، حتى أصابه الماء، نُودي من تحته «حسبك يا آدم» فلما بنياه، أوحى الله عز وجل اليه أن يطوف، وقيل له «أنت أول الناس، وهذا أول بيت »، ثم مرت

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.

القرون حتى حجة نوح ﷺ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم عليه السلام القواعد منه» (الزركشي، ١٣٨٥).

وعليه فإن المسجد الحرام أو البيت العتيق، كان موجودا قبل مجئ إبراهيم عليه السلام، حيث يقول الله عز وجل: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾(١)، ولقد تعرض البيت الحرام للهدم أكثر من مرة في الجاهلية وفي الإسلام، وكان ذلك بفعل السيول العارمة تارة، أو نتيجة لما دار حوله من حروب وفتن، ولكن العرب والمسلمين كانوا دائما يبادرون إلى عمارته من جديد، دون أن يتجاوز في بنائه المكان الذي وجد فيه أول مرة، وللبيت الحرام مكانة عريقة متأصلة في النفوس، وقد لازمته القدسية من حين بنائه في الأزمنه السحيقه حتى اليوم، وستبقى هذه المكانة ملازمة له إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (الولي، ١٩٨٨).

وفي الصحيحين أن أبا ذر سأل النبي ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض، قال النبي ﷺ: المسجد الحرام، قال: أبو ذر ثم أي؟ قال ﷺ: المسجد الأقصى، قال: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم جعل الأرض لك مسجداً، فحيثما أدركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه.

وعليه فإن المسجد الأقصى يلي المسجد الحرام في النشأة والأهمية، والمسجد الأقصى يقترن بالمسجد الحرام، في القرآن الكريم وفي أذهان العرب والمسلمين، يقول الله عز وجل:﴿ سُبحَٰنَ الَّذِي أَسرَىٰ بِعَبدِهِ لَيلا مِّنَ المَسجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَا الَّذِي بَٰرَكنَا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(٢)، وينسب بناء المسجد الأقصى، لنبي الله سليمان عليه السلام، وللمسجد الأقصى مكانة كبيره في نفوس المسلمين، فقد كان قبلتهم الأولى، ثم تحولوا بأمر من الله عز وجل إلى المسجد الحرام، ﴿... فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ...﴾(٣).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

مسجد قباء والمسجد النبوي:

مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام، وهو على مشارف المدينة في قباء في طريق الهجرة، حيث نزل الرسول ﷺ فأقام من يوم الاثنين إلى يوم الخميس، وأسس هذا المسجد، المعروف حتى الآن بمسجد قباء، يقول سبحانه:﴿ ... لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَال يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]، وعندما وصل ﷺ المدينة، كلما مر على دار من دور الأنصار، دعوه إلى المقام عندهم، وقالوا: «يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة»، ثم يحاولون وقف ناقته، فيقول ﷺ: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»، فلم تزل تسير به حتى بركت في المكان الذي بنى فيه مسجده النبوي (علي، ٢٠١٠).

الرسالة التربوية للمسجد في الإسلام:

تمهيد:

إن نشأت المسجد في الإسلام تبين أنها كانت بهدف العبادة، إلا أن العبادة في الإسلام أوسع من مجرد أداء الصلاة، فالعبادة تتسع إلى أن تصل إلى كل عمل يقوم به الإنسان في حياته، بشرط أن يكون خالصا لوجه الله تعالى ولا يؤذي أحدا، الأمر الذي يجعل العبادة ترتبط بكل سلوكيات وأفعال الإنسان في الحياة، ومن ثم جاءت رسالة المسجد في الإسلام لتخدم الجوانب الروحية والتعليمية والاجتماعية والمادية والنفسية والقضائية، ولا غرابة أن كان المسجد في عهد رسول الله ﷺ، بمثابة الدولة بكل مؤسساتها، وكان يقوم برسالة تربوية واجتماعية وسياسية وقضائية وعسكرية واقتصادية وحضارية، واستمر على ذلك فترة طويلة من الزمن، وفيما يلي أهم جوانب هذه الرسالة التربوية للمسجد في الإسلام: (علي، ٢٠١٠) و(الولي، ١٩٨٨) و(محجوب، ٢٠٠٦) و(الطلحي، ٢٠٠٧) و(النحلاوي، ٢٠٠٥)، و(عبيد، ١٩٩٧).

(١) رسالة المسجد باعتباره مكان للعبادة والتعليم:

المسجد هو مكان العبادة والصلاة الجماعية وذكر الله عز وجل، يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ(٣٦) رِجَال

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ (٣٧)﴾[1]، وكان للمسجد رسالة بناء الشخصية المسلمة، على صفات وخصائص حميدة، تقرب الإنسان من الله تعالى، وتجنبه المعاصي وتعينه على أن يصلح بينه وبين الناس، والصلاة في جماعة تحقق التآلف والتراحم والمساواة بين المسلمين، ومن ثم كانت رسالة المسجد ايجاد المجتمع المسلم المتحاب والمتعاون، المجتمع الذي تتعلق قلوب أفراده بالمساجد، لدرجة أن الله سبحانه جعل من بين من يظلهم بظله يوم القيامة «رجل قلبه معلق بالمساجد».

وعليه فإن أحد أهم أدوار المسجد التربوية هو أن يمارس الناس عبادة الله عز وجل، وتعليمهم أمور دينهم وعلى رأسها العبادة الصحيحة وقراءة القرآن والذكر، فالمساجد أماكن لتطهير النفوس وتزكيتها على إخلاص النية لله تعالى في العبادات كلها، الأمر الذي يتطلب تدريب الأطفال عليها وتعليمهم أداء الصلاة بشكل صحيح، وكان الأطفال يأتون المسجد على عهد رسول ﷺ، وكان النبي يرعى شؤونهم ويتلطف معهم، وكان الصحابة يهتمون باصطحاب أبنائهم معهم للصلاة في المسجد، وسئل الإمام مالك رضي الله عنه عن رجل يأتي بالصبي إلى المسجد أتستحب ذلك، قال: إن كان قد بلغ موضع الأدب ولا يعبث فلا بأس، الأمر الذي يؤكد ضرورة اصطحاب الأطفال وتعليمهم الصلاة بالتقليد والمحاكاة، بشرط أن يكون الطفل قد تعلم آداب المسجد، فلا يتبول ولا يركض ولا يزاحم.

ولقد كان للمسجد رسالة تربوية عظيمة، أثرت في هؤلاء الصغار فنشأوا في مدرسة محمد ﷺ، فكانوا قادة للأمة يقيمون العدل في الأرض ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وكانو يبدأون بتعريفهم الهدف من وجودهم في الحياة، والوعي بما أعده الله لهم في الدنيا والآخرة، وبتدريبهم على العبادة متمثلة في الصلاة وقراءة القرآن والحديث والفقه، شيئاً فشيئاً كلما تقدموا في العمر، فالمسجد كان يعلم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله تعالى، وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل، وهو إخلاص العبودية لله سبحانه، ويتم غرس هذا المعنى في الأطفال منذ نعومة أظافرهم في المساجد.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٦-٣٧.

(٢) رسالة المسجد باعتباره جامعة تربوية وتعليمية:

كان المسجد بمثابة جامعة تربوية، يقوم برسالة التربية والتعليم لرواده، فتخرج منه الفقهاء والعلماء والقادة والصالحون في شتى المجالات، حتى أن أساطين العلماء الذين يعتز بهم الفكر العالمي، ويتباهى المسلمون في الكلام عن آثارهم وتراثهم، قد بدأوا حياتهم العلمية في أروقة المساجد وعند أسوارها، ولما أصابوا حظا كافيا من المعرفة، تابعوا ارتياد المساجد التي تعلموا فيها، ليبثوا ما في صدورهم من رصيد الثقافة في العديد من الطلاب الذين كانوا بدورهم يقبلون على هؤلاء العلماء في مجالسهم وحلقاتهم بالمساجد، وكانت المساجد لا تخلوا من حلقات العلماء والطلاب جيلاً بعد جيل.

وكان يتخرج من هذه المساجد في كل عام آلاف الأساتذه الذين ينتشرون في دنيا العروبة والإسلام، وفي أيديهم مشاعل المعرفة ليسهموا مع الذين سبقوهم في متابعة المسيرة العلمية، ومن هذه المساجد «مسجد البصرة» وهو أول مسجد أنشئ خارج الجزيرة العربية بعد الفتوحات الإسلامية، وكان للحسن البصري مجلسه في هذا المسجد، يعلم الناس ويفتيهم، كما كان هذا المسجد مقرا للعالم الجليل الفراهيدي، و«مسجد الكوفة» وهو ثاني مسجد أنشئ خارج الجزيرة العربية، وكان مركزا من مراكز العلم والفقه، وجلس فيه على بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم الناس أصول الدين.

و«جامع عمرو بن العاص» في الفسطاط بمصر، وكان مركزا علميا هاما لنشر الحضارة العربية الإسلامية، كما كان مركزا للحكم في الخصومات، وكان به أكثر من أربعين حلقة دراسية، و«جامع قرطبة» بالاندلس الذي رافق ازدهار الدولة الإسلامية، وأصبح الصورة التي تقدم للعالم كله الحضارة الإسلامية، في مختلف الجوانب الأخلاقية والفنية والعلمية والتاريخية، وكان جامعة لتعليم العلوم بمختلف التخصصات، و«الجامع الأزهر» الذي يعد أكبر مرجع إسلامي، والذي تخرج من أروقته علماء أفاضل انتشروا في جميع البلاد الإسلامية، وغيره من المساجد التي كان لها رسالة تضاهي ما تقوم به جامعات اليوم، في نشر العلم والمعرفة في شتى ربوع الأرض.

(٣) رسالة المسجد باعتباره مركز إشعاع ثقافي تربوي:

لقد ارتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطاً وثيقا، فقد اختار النبي ﷺ المسجد ليكون مركز إشعاع تربوي وتعليمي وتثقيفي، حيث تبليغ الوحي وتوضيحه في خطب الجمعة ومجالس العلم، وكان محمد ﷺ يعقد مجالس العلم في المسجد النبوي، ويجلس المسلمون حوله في حلقة، وكانوا يتنافسون في القرب منه لتمام الاستفادة، عن الحارث بن عوف أن رسول الله ﷺ كان جالسا في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، أحدهما رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فأستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه» (رواه البخاري ومسلم).

وكان الصحابة من بعد رسول الله ﷺ يتدارسون القرآن في مسجده، ويتذاكرون فيه الحلال والحرام ليتفقهوا في الدين، عن أبي هريرة أنه مر ذات يوم بسوق المدينة، وقد هاله اشتغال الناس بالدنيا، فوقف عليها وقال: يا أهل المدينة ما أعجزكم، قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث لرسول الله ﷺ يقسم وأنتم ها هنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا مسرعين ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: مالكم؟ قالوا: فقد أتينا المسجد فدخلنا، ولم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا: بلى رأينا قوما يصلون، وقوما يقرأون القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام، فقال أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث رسول الله ﷺ (رواه الطبراني).

(٤) رسالة المسجد باعتباره مركزاً تربوياً اجتماعياً:

كان المسجد النبوي في صدر الإسلام، بمثابة النادي الاجتماعي الذي يلتقي فيه المسلمون، وكان يوجد في المسجد مكان يسمى الصفة، يسكن فيه بعض الصحابة الذين نزروا أنفسهم لطلب العلم من الرسول ﷺ والجهاد في سبيل الله، وكانوا فقراء وكان الرسول ﷺ يشركهم فيما يأتيه من هدايا، ويخصهم بالصدقة التي تأتيه، بل وكان المسجد مأوى لمن ضاقت نفسه في منزله، فقد جاء في قصة على بن أبي طالب، أن رسول الله ﷺ جاء إلى بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟ قالت كان بيني وبينه شيئ فغاضبني فخرج، فلم يُقِل عندي، فقال ﷺ لإنسان: أنظر

أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداءه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب».

(٥) رسالة المسجد باعتباره نادياً تربوياً سياسياً:

الإسلام نظام قائم على الإيمان بوحدانية الله عز وجل، وأن المسلمين أمة واحدة، يجمع بين أفرادها قاسم مشترك من المبادئ التي أقرها النظام الإسلامي، وكان للمسجد وظيفة تربوية بالمعنى الشامل، ذلك المعنى الذي يكاد يرادف معنى الحياة بكافة جوانبها، فكان للمسجد دور سياسي، فأصبح المسجد هو الوسيط الإعلامي الذي تذاع فيه الأخبار الهامة، التي تتعلق بالصالح العام، وكان محمد ﷺ صاحب الدعوة الإسلامية ومضئ شعلتها الأولى، أول من جعل المسجد مقرا له، وأستقبل فيه وفود العرب التي كانت تتوالى على زيارته لأغراض متنوعة كعقد معاهدة أو إعلان سلام.

وكان المسجد أشبه بقاعة الاستقبال الرسمية، وكان المسجد مفتوحاً ومهيأ لجميع الوافدين، فقد استقبل فيه النبي ﷺ وفد نصارى نجران، وترك لهم حرية التعبير عن تقاليدهم، وهكذا كان المسجد نادياً تربوياً يتم فيه استقبال الوفود، التي تطلع على أخلاق الإسلام وقيمه المتمثلة في حضرة المصطفى ﷺ. كما كان الرسول ﷺ يتخذ من المسجد مكانا للشورى بين المسلمين، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله فأثنى عليه، فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي» (رواه البخاري)، وكذا كان الخلفاء الراشدون من بعده، فلم يعرفوا مكانا للشورى يجتمعون فيه للتشاور في أمور الرعية إلا المسجد، ليس هذا فحسب بل كان المسجد هو مركز تخطيط حربي، فقد أعلن ﷺ معركة أحد يوم الجمعة في مسجده، وبدأت أحداثها يوم السبت، وتكلم ﷺ عن الشهداء في مؤته من على منبره، وكان يعيش أحداثها لحظة بلحظة.

(٦) رسالة المسجد باعتباره مركزاً للتربية الصحية والنفسية:

الإسلام هو دين النظافة والطهارة، فالصلاة التي هي عماد الدين، وأساس الإسلام لا يقبلها الله عز وجل، إلا إذا تطهر الإنسان لها بالوضوء، يقول الحق

سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ...﴾[1]، وقد رغب الشارع في الوضوء وبين أن له ثواباً، كما اشترط طهارة الثوب والبدن والمكان، ليس هذا فحسب بل مطلوب من المسلم كما يتطهر في الظاهر طهارة حسية، كذلك يطهر ويزين الباطن، بأن يطهر القلب من الحقد والحسد والغل والكراهية، والبعد عن مساوئ الأخلاق، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتجملون ويتزينون ويلبسون أجمل الثياب، ويقولون إن الله جميل يحب الجمال.

وفي المسجد وبالصلاة يشعر المسلم بالراحة النفسية، لأن روحه تلتقي بخالقها، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر أو اشتد به كرب، أو نزلت به ضائقة نادى بلال فقال له: «أرحنا بها يا بلال»، ولم يقل أرحنا منها، بل قال أرحنا بها، لأنها راحة للمؤمن، فيها يفضي المؤمن إلى ربه بذات نفسه ويشكو إليه همومه، ويستفتح بها أبواب رحمة الله تعالى، وهكذا كان المسجد مكاناً يعلم المسلمين، النظافة والطهارة الحسية والمعنوية، كما كان مكانا للصحة النفسية والرقي الروحي الذي يخفف عن الإنسان همومه، ويدخل عليه البهجة والسرور، والرضا بقضاء الله تعالى.

(٧) رسالة المسجد باعتباره مركزاً للقضاء والعدل:

كان المسجد بمثابة مجلس للقضاء والعدل بين الناس، وكان هذا المجلس في حالة انعقاد مستمر، وكان نموذجاً يحتذى في العدل والمساواة بين الأقوياء والضعفاء، والأغنياء والفقراء، ومن أشهر المحاكمات التي جرت في رحاب المساجد، قضية الأمير الغساني الذي هداه الله إلى الإيمان بعد الكفر، وقد لطم أعرابي على وجهه لأنه داس طرف عباءة الأمير، وأشتكى الأعرابي وحكم الخليفة عمر بن الخطاب، لصالح هذا الأعرابي المستضعف، على ذلك الوجيه الكبير الذي لم تشفع له مكانته الاجتماعية وثروته المالية، وأرتد هذا الأمير بعد ذلك إلى النصرانية، وكذلك الدعوى التي نظر فيها قاضي مكة المكرمة، وكانت بين أمير المؤمنين الخليفة أبي جعفر المنصور (العباسي)، وبين أحد الحمَّالين، وحكم القاضي فيها يومئذ على الخليفة لصالح ذلك الحمال، وهكذا كان المسجد بمثابة المحكمة التي تحكم بالعدل بين الناس جميعا، فكان له دوراً تربوياً اجتماعيا في استقرار المجتمع الإسلامي ورد الحقوق إلى أصحابها، حتى يسود الأمن والسلام الاجتماعي.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

استناداً إلى ما سبق يمكن القول أن المسجد كانت له رسالة تربوية عظيمة في حياة المسلمين، وهو ما يفسر أن أول عمل قام به رسول الله ﷺ عندما وصل المدينة هو بناء المسجد، ويمكن تلخيص الرسالة التربوية للمساجد، وهي رسالة شاملة لمختلف جوانب الحياة، فيما يلي:

الرسالة التعبدية: عندما يذكر المسجد تذكر معه الصلاة، التي تقام في اليوم خمس مرات، وهي أظهر شعائر الإسلام، وأقوى الدلائل على الخضوع لله والاستسلام له، وفي المسجد يتعبد المسلم بقراءة القرآن والذكر والدعاء، وهو غذاء روحي يرقى بالإنسان وسلوكه في الحياة.

الرسالة التعلمية: عرفت المساجد منذ نشأتها حتى الآن حلقات العلم، فكان المصطفى ﷺ يجلس ومن حوله الصحابة يتعلمون أمور دينهم، وظل المسجد مدرسة يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم حتى هذا العصر.

الرسالة التثقيفية: كان المسجد يقوم بدور توعوي تثقيفي منذ نشأته، من خلال الإعلان عن القضايا التي تهم المجتمع، وكذلك من خلال خطب الجمعة التي تزود المسلمين بثقافة إسلامية عامة، تتناول قضايا الدين التي تمس حياتهم اليومية.

الرسالة السياسية: كان للمسجد منذ نشأته دوراً سياسيا، يتمثل في التجهيز للدفاع عن المجتمع المسلم، وتجهيز الجيوس، والتشاور في أمور المسلمين.

الرسالة الاجتماعية: كان المسجد ومازال وسيلة هامة للتقريب بين طبقات المجتمع، وكان له دور في التعارف والتكافل الاجتماعي، وكان له دور في بناء شعور بالوحدة والمساواة بين المسلمين.

الرسالة القضائية: كان المسجد مركزا للقضاء والحكم بين الناس، وتميز القضاء في المساجد بالعدل الذي هو جزء من شريعة الإسلام، الأمر الذي جعل القضاء الإسلامي في المساجد، يضرب به المثل في العدل بين كافة فئات المجتمع.

الرسالة الصحية: المسجد هو كل موضع في الأرض بشرط أن يكون طاهراً، ومن شروط دخول المسجد للصلاة هو أن يكون المسلم طاهراً بالوضوء، ومن ثم كانت طهارة البدن والملبس والمكان من شروط الصلاة، الأمر الذي يؤكد أن للمساجد دور هام في التربية الصحية للمسلمين.

الرسالة الخلقية: كان المسجد ومازال يقوم بدور أخلاقي، يعمل من خلاله على تربية المسلمين على مكارم الأخلاق، ودعوتهم للتمسك بالفضائل، ومراقبة الله عز وجل في السر والعلن، وإخلاص العمل لله تعالى.

«يتضح من العرض السابق أن المساجد قامت بأدوار تربوية متنوعة، تعبدية وتعليمية وتثقيفية وصحية واجتماعية وسياسية وقضائية وأخلاقية ونفسية، كان لها أبلغ الأثر في تقدم وتماسك المجتمع الإسلامي، إلا أنه بمرور الزمن تضاءل دور هذه المساجد، حتى أصبح يكاد يقوم بالدور العبادي فحسب، وذلك لأسباب عديدة».

ثالثاً: منظمة المدرسة في الإسلام:

مقدمة:

تعد المدرسة منظمة اجتماعية حديثة، حيث عرفت البشرية منذ وجود الإنسان، الأسرة كمنظمة تربوية، تضطلع بتربية الأبناء وإكسابهم ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه، أما المدرسة فقد ظهرت الحاجة إليها مع مرور الزمن، وتعقد الحياة الاجتماعية، ومرور الإنسان في دروب الحضارة، حيث تراكمت خبرات الإنسان ومعارفه وتطورت وسائله للتغلب على مشكلات الحياة، ولم تعد الأسرة وحدها قادرة على إكساب الأبناء، هذه المعارف والخبرات التي تتزايد يوماً بعد يوم، الأمر الذي أوجد الحاجة الماسة لمنظمات جديدة كمنظمة المدرسة، لتقوم بدور فاعل في إكساب هذه المعارف والخبرات للأجيال الجديدة، وخاصة في المجتمع المسلم الذي يحرص على بناء الشخصية الإنسانية وفقاً لما جاء به الدين الإسلامي.

نشأت المدرسة الإسلامية:

يعتبر فتح السلاجقة للعراق ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧ هـ فاتحة لإنشاء المدارس، إذ يعتبر الوزير نظام الملك أول من قام بفتح المدارس، ومن أشهر هذه المدارس المدرسة النظامية ببغداد والتي بدأ العمل في بنائها سنة ٤٥٧ هـ، وكان بالمدرسة قاعة للدرس، وأماكن لإقامة المعلمين والطلاب، وما يتطلبه ذلك من مرافق خاصة، ثم بنى نور الدين الزنكي أول مدرسة في دمشق، عرفت باسم المدرسة النورية الكبرى سنة ٥٦٩ هـ، وكان بها قاعة كبيرة للدراسة ومسجد واستراحة للمعلمين ومساكن للطلبة المقيمين بالقسم الداخلي، والمرافق اللازمة لذلك، وبدأت الحكومات تشترك، منذ النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة إشتراكا فعليا في حركة تأسيس المدارس، فأصبحت المدرسة منظمة رسمية من منظمات الدولة، التي تخرج الموظفين في الدوائر المختلفة (القاضي، ٢٠٠٢).

وكان العلماء يفدون إلى المدارس من نيسابور وبغداد، وقرطبة وغرناطه ومراكش، ولم تنشأ هذه المدارس نشأة طبيعية، بل يمكن القول أنها نشأة معكوسة،

كمن راح يبني قمة البرج قبل أن يقيم دعائمه، حيث كانت هذه المدارس ذات مستوى عال يقترب من مستوى جامعات اليوم، ولم يكن هناك درجات تؤهل بشكل نظامي وتدريجي، الطلاب لهذه المدارس العليا، بل جاء الطلاب من الكتاب أو من حلقات المسجد أو من مجالس الأدب، وجميعها كانت خاصة ولا علاقة لها بالدولة، وكانت هذه المدارس العليا تعلم العلوم الشرعية واللسانية، وهي مدارس مجانية فضلاً عن توفير خدمات للطلاب، كالرعاية الطبية والسكن والمأكل وغيره، كما كان يُخصص للمعلمين رواتب من ريع الأوقاف الخاصة (علي، ٢٠١٠).

تنظيم المدارس الإسلامية:

يؤكد (علي، ٢٠١٠) أن تنظيم معظم المدارس الإسلامية من الناحية المعمارية، كان جدار القبلة هو العامل الرئيسي في تخطيطها، وأن حدودها الداخلية تنتظم في صورة مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار، وكان في أغلب المدارس بهو مكشوف فسيح، وكانت هذه المدارس تحتوي على بيوت للطلاب، معظمها مكون من طابقين، وقاعات للدراسة وأخرى عبارة عن خزانات للكتب، وكانت تضم هذه المدارس، مبان في جوانبها تصلح لمطبخ ومخزن وحمام، وغيره من المنافع العامة للطلاب والعاملين بهذه المدارس.

أما تمويل هذه المدارس الإسلامية، فكان من خلال الأوقاف، حيث كانت تصرف للمعلمين رواتب مقابل قيامهم بمهمة التربية والتعليم، وكانت هناك شروط يشترطها الواقف، يجب أن تتوفر في المعلم، مثل أن يكون من أهل العلم والصلاح، وأن يكون حسن الهيئة، وغيره من الشروط المرتبطة بكل مذهب، ففي حالة كان الواقف من الشافعية، لابد للمعلم أن يكون عالماً بمذهب الإمام الشافعي، أما إذا كان الواقف من الحنفية، كان من الشروط أن يكون المعلم عالماً بمذهب الحنفية وهكذا، وهناك من الواقفين من اشترط كتباً معينة للدراسة.

أما من حيث إدارة هذه المدارس الإسلامية، كان يتولى مصالح المدرسة «ناظر» يختار من بين كبار موظفي الدولة، وكان يساعده مشرف وهو كالمراقب أو المفتش المالي، وكاتب وخازن وعدد من المستخدمين، وكانت وظيفة إدارة المدرسة هي تنظيم

الشؤون الإدارية والإشراف على الطلاب، وتنظيم حياتهم في مساكنهم بالمدرسة، ولم تكن إدارة المدرسة تتدخل في شؤون هيئة التدريس، أما أقسام المدرسة فكانت في معظم الأحوال تضم بعض الأقسام الضرورية لدعم وظائف المدرسة التربوية، مثل المكتبة التي كانت تحتوي على أمهات الكتب، ومثل الأقسام الداخلية للطلاب والمعلمين، الذين يقيمون في هذه المدارس، ومثل الأقسام العلمية المتخصصة، منها قسم دراسة القرآن، وقسم دراسة المذاهب الأربعة، وقسم الطب.

الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية:

مقدمة:

تتعدد الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية، ونظراً لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، وكذلك طول الفترة الزمنية للدولة الإسلامية، التي تجاوزت الألف عام، فإن هذه الوظائف تنوعت وتعددت، وبعضها طبق في أماكن ولم يطبق في أماكن أخرى، وبعضها طبق في فترة زمنية، ولم يطبق في فترة زمنية أخرى، وفيما يلي توضيح لأهم الوظائف التربوية التي قامت بها المدرسة الإسلامية في الماضي، وما ينبغي أن تقوم به المدارس في المجتمع المسلم، وخاصة في هذا العصر، الذي يموج بمتغيرات ومثيرات العولمة، وما نتج عنها من تقدم تكنولوجي مذهل، وما تبعه من ظهور ما يسمى بمجتمع المعرفة وأخيرا الثورة الصناعية الرابعة:

الوظائف التربوية للمدرسة في الدولة الإسلامية:

اضطلعت المدرسة الإسلامية في الماضي، بمجموعة من الوظائف التربوية التي كان لها عظيم الأثر في حياة المجتمع المسلم، وفيما يلي أهم هذه الوظائف:

(١) وظيفة نقل التراث الثقافي:

يعد نقل التراث الثقافي، أحد الوظائف المحافظة للمدرسة الإسلامية، التي عملت على مدى القرون السابقة، على نقل هذا التراث الثقافي الإسلامي إلى الأجيال الجديدة، وإذا كانت الثقافة هي كل ما صنعه الإنسان بعقله ويديه مادياً كان أو معنوياً، فإن الثقافة الإسلامية تتضمن الجانب المادي كالمباني والمساجد وغيره، والجانب المعنوي المتمثل في القيم والفضائل الإسلامية وغيره، وعليه فإن الثقافة الإسلامية تتضمن كل ما أنتجه الإنسان المسلم عبر القرون المختلفة للدولة

الإسلامية، وهي ثقافة تنبع من مصادر الإسلام الرئيسة، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهما مصدران لا يتغيران عبر الزمن، لأن القرآن هو كلام الله عز وجل، والسنة النبوية الصحيحة هي كلام المصطفى ﷺ، أما التراث الثقافي الإسلامي المرتبط بهذين المصدرين، فهو متغير ومتجدد، وفقاً للزمان والمكان.

ويضرب لنا الإمام الشافعي رحمه الله، المثل في التجديد والتطوير ومراعاة المكان والزمان في الرأي والفتوى، آخذاً في اعتباره خصائص الناس وحاجاتهم، وظروف الزمان والمكان، فعندما رحل إلى مصر، رجع عن بعض فتواه وأرائه، وأعاد النظر في كتبه، لذلك يقولون: الشافعي في فقهه القديم أي في الحجاز والعراق، والشافعي في فقهه الجديد، أي في مصر، فمصر بلد يعج بالحركة والحياة، تعرَّف فيه الشافعي على طبائع جديدة ومعاملات جديدة وحاجات مختلفة، مما جعله يعيد النظر في كتبه القديمة، ويرجع عن بعض الآراء فيها، فأعاد صياغة كتابه «الرسالة» وجمع أكثر مؤلفاته في كتابه الأم (السويدان، ٢٠٠٧).

(٢) وظيفة نشر الثقافة الإسلامية:

كانت المدارس الإسلامية تفتح أبوابها لطلاب العلم كافة مسلمين وغير مسلمين، وهي بذلك عملت على نشر الثقافة الإسلامية، من خلال اتاحة الفرصة لأبناء المجتمعات الأخرى للتعرف على أبعاد الثقافة الإسلامية المختلفة، مما كان له أبلغ الأثر في الثقافات الأخرى في بلاد فارس والأندلس وغيره، كما كانت وفود طلاب العلم من الدول الأوروبية تكاد لا تنقطع، وكانوا يتعلمون من علماء المسلمين في هذه المدارس، ويعملون على اقتباس النظريات والأفكار والمعارف ومناهج البحث الإسلامية، وينقلونها إلى اللغات الأوروبية، ومن ثم كان للعرب المسلمين الفضل في تعريف أوروبا بطرائق العلم والبحث الدقيقة، الأمر الذي يؤكد أن المجتمع الأوروبي مدين بوجوده للمجتمع العربي المسلم. (لاندو، ١٩٦٢).

(٣) وظيفة الإبداع والتجديد العلمي

لقد تهيأت للمدرسة الإسلامية بيئة تربوية مفعمة بالعلم والعلماء، حيث شهدت الدولة الإسلامية كوكبة من العلماء والمفكرين المسلمين المجددين، الذين أثروا الحياة العلمية بإبداعاتهم، فكان المنهج العلمي المرتبط بالقياس هو من إبداع المسلمين الأوائل، حيث وضعوا معايير للقياس والاستنباط وربط الفروع بالأصول،

الأمر الذي يؤكد أن المدارس الإسلامية كان لها دوراً كبيراً من خلال العلماء والمفكرين الذي يعملون بها، في نمو الحركة العلمية وترقية الفكر، إذ كان التدريس في هذه المدارس يتيح فرص متنوعة للتأليف الجيد، الذي يصاغ ويدرس وينقد في أوساط تعليمية متخصصة، ففي مجال التفسير وضع العلماء منهجاً ثقافياً لمن يتصدى لتفسير كتاب الله عز وجل، وعرفت المدرسة المستنصرية أطباء مشهورين كانوا ماهرين في الطب، وكانت لهم مصنفات قيمة في مجال الطب، فضلاً عن التأليف في علم الجبر والهندسة وعلم القراءات، وغيره من العلوم الشرعية والكونية والإنسانية (علي، ٢٠١٠).

صفات المربي في الدولة الإسلامية:

بالرغم من أنه لم يكن آنذاك في الدولة الإسلامية، نظاما تربوياً لإعداد المعلمين وتخريجهم للعمل بالمدارس، وإنما كان الإعداد التربوي والعلمي، تقع مسؤوليته على الفرد نفسه، وتحدده ميوله ورغباته في هذا النظام التعليمي الحر، فإن إعداد المربي الذي يضطلع بعملية التعليم والتربية، كان يتم من خلال الإتصال المباشر بين الطالب وشيخه، وبالتدريج شيئاً فشيئا يصبح الطالب مربيا ويتولى مسؤولية التعليم، ولكن بعد أن يتخصص في المواد التي يريد أن يقوم بتدريسها للآخرين، ولابد من حصوله على ما يسمى بالإجازة العلمية، في هذا التخصص أو المجال، وغالبا ما كان يُنص على ذلك في كتاب الوقف بالمدرسة (علي،٢٠١٠)، وكان المربي المسلم، يتصف بعدة صفات، يمكن استخلاصها من بعض المواقف، لكبار العلماء، الذين كانوا يشتغلون بتعليم وتربية المسلمين، في المساجد أو المدارس، وفيما يلي أهم هذه الصفات:

(١) صفة العلم:

كان المربي المسلم لا ينتصب لهذا المنصب العلمي الخطير، إلا بعد أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذته وكبار علماء عصره أو بلدته على الأقل، وأن يتفرغ للتعليم ولا يشرك بعمله الشريف عملا آخر، إلا إذا كان ينزه نفسه عن أخذ أموال الأوقاف، فيحتاج حينئذ إلى الأموال التي يعيش منها، ومن ثم يمكن أن يعمل في أعمال شريفه، تساعده على تحصيل ما يقيم به أوده ويصلح به أهله.

(٢) صفة التعلم:

القراءة ومن ثم التعلم دعوة مستمرة في القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[١]، كما تضمنت سنة المصطفى ﷺ دعوة مستمرة للتعلم، وتطبيقا لهذه الدعوة، كان السلف الصالح في الدولة الإسلامية، يعملون ليل نهار على تحصيل العلم، وكانوا يتعلمون العلم خالصا لوجه الله عز وجل، ولا يتعلمونه للتفاخر والتباهي، وعمر بن الخطاب كان ينصح الناس بالتعلم، ووضع شروطا وضوابط لهذا التعلم، فكان رضي الله عنه يقول: «تعلموا العلم، وتعلموا مع العلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم».

فأنكب المسلمون على مدارسة العلوم الشرعية والعلوم الكونية، واعتبروا تعلم كل علم نافع من قبيل الفرض والواجب، واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم، وطبعوها بطابع الإسلام المتميز، وظل العالم قرونا طويلة يقتبس من علومهم، وما تألقت الحضارة المادية في العصر الحديث، إلا بفضل ما أخذوه من حضارة المسلمين وعلومهم، وكان المعلمون في المدارس الإسلامية، يتعلمون بشكل مستمر، بهدف إفادة طلابهم سواء في المجال الشرعي أو المجال المادي الكوني، ومن ثم الارتقاء بالدولة الإسلامية في كافة المجالات (علوان، ١٩٩٩).

(٣) صفة الأمانة:

بالرغم من اهتمام المربين بعمليات التعلم المستمر، تأسيا بما جاء في القرآن الكريم، وما حضت عليه سنة المصطفى ﷺ، إلا أنه مع تطور العلم بمختلف مجالاته في الدولة الإسلامية، وزيادة التخصصات سواء شرعية كانت أو كونية، فإن إحاطة المربي بكل العلوم بات ضرب من المستحيل، وتتجلى أمانة المربي العالم في سكوته عما لا يعلم، وهو ما حث عليه علي بن أبي طالب في قوله: «لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم»، كما أنه من الأمانة ألا يبخل المربي بعلمه، حيث يحذر المصطفى ﷺ المسلمين من كتم العلم، ويجعل من يكتم العلم مصيره النار.

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٤) صفة الإخلاص:

الإخلاص كان من بين أهم صفات المربي المسلم، بمعنى أن المربي كان يقصد بعمله وجه الله عز وجل، ويحرص ألا يشوب عمله أية شائبة فيها رياء أو سمعة أو أغراض دنيوية، وهذا هو الإمام الشافعي الذي إعتبر العلم فضيلة في ذاته والذي قال: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إلي حرف منه».

(٥) صفة التواضع والعزة:

يتصف المربي المسلم بالتواضع، تأسيا بأخلاق المصطفى ﷺ، فقد كان أكثر الناس تواضعا، ومما قاله في فضل التواضع «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» (رواه مسلم)، وعلى قدر هذا التواضع الذي كان يتصف به المربي، فإنه كان يتصف بعزة النفس، وهذا هو الإمام مالك الذي ضرب المثل في عزة المربي المسلم، الذي يربي ويعلم الناس، يقول مالك بن أنس: «دخلت على هارون الرشيد، فقال يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا، حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت أعزك الله إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، والعلم يُؤتى ولا يَأتي، فقال: صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا من سَمْع الناس» (الحازمي،٢٠٠١) و(المنصور لله، ١٩٥٨).

الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية في الوقت الحاضر:

إذا كانت هذه المدارس وجدت لخدمة المجتمع المسلم، وهذا المجتمع يتحاكم إلى شرع الله ويطبق منهج الله تعالى، فإن هذه المدارس يجب أن تكون إسلامية، وليس المقصود هنا أن تصبح هذه المدارس «دينية»، تعلم علوم الشرع فحسب، وإنما المقصود أن تربي هذه المدارس التلاميذ ليكونوا مسلمين صالحين، وتكمل المدرسة التربية الإسلامية التي بدأت في الأسرة، وتسير بها شيئاً فشيئا إلى الإمام حتى اكتمال النضج والنمو لهؤلاء التلاميذ، مع صقلهم بمختلف العلوم الكونية، وخاصة في المجال العلمي والتقني، وبما يؤهلهم لصنع التقدم والتحضر في مجتمعهم، ومن ثم تصبح المدرسة في المجتمع المسلم، منظمة تربوية تعمل على إعداد روادها من التلاميذ إعداداً كاملاً، إعداداً علمياً على أسس إيمانية وشرعية، مستمده من القرآن الكريم والسنة النبوية (علي، ٢٠١٠). وعليه فإن اضطلاع المدرسة بمهمة التربية الإسلامية في الوقت الحاضر يتطلب تحقيق الشروط التالية:

(١) توفير خبرات تربوية إسلامية:

توفير الخبرات المتنوعة لغرس وتنمية التوجهات الإسلامية في السلوك، وإتاحة الفرص أمام المتعلمين، للتعرف عليها والانفعال بها، إذ أن تربية السلوك الواعي، ليست مجرد عرض الموضوعات الإسلامية بشكل نظري، وإنما إتاحة فرص متنوعة للمتعلمين، لكي يمروا بخبرات تربوية إسلامية ذات معنى لهم، يفكرون فيها ويتحاورن بشأنها، ويقررون ويتخذون مواقف معينة تجاهها، فيكتسبون سلوكيات إسلامية من المواقف الحياتية، التي تخضع للاختبار القائم على أسس تربوية إسلامية، ومن ثم فإن مسؤولية القائمين على المدارس في المجتمعات الإسلامية عظيمة وخطيرة، لأنها الأساس في بناء إتجاهات وقيم الإنسان المسلم، الأمر الذي يتطلب الوعي بأهداف التوجه التربوي الإسلامي، وبكيفية بناء الخبرات والممارسات التربوية التي تحقق هذه الأهداف بما تحمله من توجه إسلامي.

(٢) استثمار ميول ومواهب النشء:

الاهتمام بميول وإتجاهات ومشاعر الناشئة، ودراسة مواهبهم وإستعداداتهم وقدراتهم ومداخلهم للتعلم، واستثمار ذلك في تنمية التوجه التربوي الإسلامي، الذي يوازن بين الجانب المادي العلمي، والجانب الروحي الديني، وبناء ثقافة لدي المتعلمين أو الناشئة تشعرهم باهمية هذا التوجه، لهم وللجماعة التي ينتمون إليها، وتدريبهم على الحوار البناء، وحرية الرأي وتقدير الاختلاف، والمسؤولية والاستقلال في الاختيار، ومنحهم مساحة كافية من ممارسة هذا التوجه، والوصول بأنفسهم إلى قناعات ذاتية، مع وجود قدر من المتابعة والتوضيح عند الحاجة.

(٣) بناء الهوية الإسلامية لدى النشء:

الاهتمام ببناء الهوية الإسلامية لدى المتعلمين، واتخاذ كافة الوسائل التربوية التي تحقق هذا المخرج الذي تزداد أهميته يوماً بعد يوم، وخاصة في هذا العصر الذي يشهد طوفان العولمة، وهو أخطر ما يواجهه الإنسان العربي المسلم في هذا العصر، حيث التعرض للاختراق الثقافي الذي يؤدى به إلى غربة ثقافية تسلبه ذاته وثقته بنفسه وقدراته، خاصة وأن الإنسان العربي عاش عهوداً تحت وطأة الاستعمار وما لبث أن يتحرر حتى جاءت العولمة الثقافية بكل أخطارها لتسلبه مرة أخرى حريته، مستخدمة أقسى أنواع الأسلحة ألا وهى الإعلام والإقناع بثقافة الصورة ورؤوس

الأموال، فتقدم له نموذج مختلف عن الواقع الذي يعيشه، الأمر الذي يؤدى به إلى الاضطراب والقلق والانعزال واليأس، وهو ما يهدد مقومات المواطنة والانتماء والوحدة الاجتماعية، الأمر الذي يتطلب أن تعمل المدارس على بناء الهوية العربية الإسلامية، لدى المتعلمين والناشئة بطرق ووسائل عملية ومتنوعة.

(٤) إعداد المربي المسلم للعمل في المدارس:

ضرورة إعداد وبناء مهارات المربي المسلم، الذي يمتلك أحدث مقومات العمل في هذه المدارس، المربي الذي تتوفر فيه معايير جودة الأداء، والذي يكون على درجة عالية من الفهم والوعي بالكتاب والسنة، وبالتوجه التربوي الإسلامي، والذي يعي دوره في بناء وتربية الإنسان المسلم، المعلم الممارس المهني، الذي ينطلق في عمله من المهنية العالية في المجال التربوي، والذي يتحلى بمكارم الأخلاق التي تجعله قدوة للمتعلمين، والذي يتصف بصفات المربي الرحيم تأسيا بأخلاق المصطفى ﷺ الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ...﴾[١]، كما يجب أن يتصف المربي المسلم بالعدل والصبر والتواضع والتقوى، والقدرة على قيادة وضبط المتعلمين والتأثير في سلوكهم، والذي يملك القدرة على توصيل المادة العلمية، بأساليب تربوية متنوعة ومتجددة، فضلاً عن استعداده لإقامة شراكة فاعلة، مع الأسر والمجتمع المحلي، لخدمة المتعلمين والمجتمع المدرسي.

(٥) بناء مجتمع تعلم مسلم في المدرسة:

الاهتمام بمجتمع التعلم في المدرسة، وبناء بيئة تربوية اجتماعية تتسم بالألفة والتعاون والعمل بروح الفريق، على مستوى المربين والإداريين، وكذلك على مستوى المتعلمين، وذلك بهدف تحقيق مخرجات تربوية تتسم بالصحة النفسية، والتعاون الاجتماعي، والعمل والإنتاج من خلال روح الفريق، الذي يستند إلى التعلم المشترك والعمل المشترك، والوصول إلى نتائج مشتركة، تسهم في بناء المتعلمين بشكل إيجابي، للانخراط في الحياة الاجتماعية، وفق التوجه التربوي الإسلامي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

رابعاً: منظمات الإعلام التربوي الإسلامي

مقدمة:

الإسلام دين الله الخالص وشريعته الباقية، التي ارتضاها سبحانه لخلقه، وهو يعني فيما يعنيه إسلام النفس لخالقها، وإستعمالها في طاعته عز وجل، في كل شأن من شؤون حياتها، وفق ما أراد الله تعالى، ويدخل الإنسان الإسلام بكلمات الشهادة «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله»، فالكلمة لها قيمة كبيرة وعظيمة في الإسلام، وأكد ذلك النبي ﷺ ذلك بقوله: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم» (رواه البخاري).

فالكلمة الطيبة - مسموعة أو مقروءة - قد تصلح مجتمعا بأسره، وقد تقيم دولة تملك أسباب التقدم والرقي، أما الكلمة الخبيثة قد تفسد مجتمعاً كاملاً، وتهوي بأمة إلى مهاوي الضياع والهلاك، وإصلاح المجتمعات منذ وجد الإنسان على ظهر البسيطة حتى الآن، إنما هو نتاج الكلمات الصالحة، التي تنطلق من صدور الأنبياء والمصلحين والشعوب، التي لا ترضى الظلم والقهر والفساد، والبعد عن الطريق الذي رسمه الله سبحانه للخلق، فتبصر الناس بالطريق المستقيم، وبأهمية العدل وقيمة الخير ومكانة مكارم الأخلاق، فالكلمات التي تنطلق من لسان متصل بقلب سليم وعقل يقظ، فإذا هي نغم عذب في كل أذن، وإحساس نبيل في كل شعور، ووازع ملهم في كل ضمير، وإن الكلمة لتنطلق من لسان مشدود إلى قلب مريض، وعقل فارغ ووجدان سقيم، فإذا هي أشبه بجنين يولد لغير تمام، لا يلبث حتى يصبح في عالم الأموات (أبو زيد، ١٩٩٩).

أليس القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، الذي نزل على المصطفى محمد ﷺ فغيّر وجه الأرض، وسيظل يغير فيها إلى أن تقوم الساعة. فالكلمات لها وقع عظيم وتأثير شديد على سلوك الإنسان، وخاصة إذا كانت الكلمات مصحوبة بالصوت والصورة، وعلى قدر قيمة وصدق هذه الكلمات وارتباطها بواقع الإنسان يكون التغيير، وإذا كانت الكلمات هي حجر الأساس في الإعلام، فإن هذه الكلمات هي رصيد المجتمع الحقيقي للرقى والتحضر، أو للتخلف والتردي، الأمر الذي يؤكد دور وأهمية

الإعلام بشتى صوره وأنواعه، في التربية والتوجيه والتوعية والترويج والأخبار وغيره، مما يسهم في بناء شخصية الإنسان، وإعدادها للحياة وفق منهج الله تعالى، والإنتاج والتنمية وإحراز التقدم والتطور في المجتمع، ومن ثم المشاركة الحقيقية في إعمار الكون.

الإعلام:

يعد الإعلام عملية قديمة قدم المجتمع البشري، فمنذ وجود الإنسان على الأرض، استخدم الحركات والإشارات، ثم استخدم اللغة مع الإشارات، ثم انتقل إلى التواصل مع الآخرين بطرق متنوعة، كانت بسيطة ثم تطورت إلى أن استخدم الإنسان أدوات العصر، كالسينما والمسرح والتمثيل والإذاعة والتليفزيون والكتب والنشرات والمجلات والصحف وأخيرا الإنترنت، وعموما فالإعلام مفهوم متعدد الجوانب، اختلف المنظرون في ماهيته، فمنهم من عرف الإعلام باعتباره الأخبار والدعوة.

ومنهم من عرف الإعلام بأنه تواصل تستخدم فيه أدوات متنوعة، بهدف إحاطة الآخرين بالأخبار والمعلومات، ومنهم من أضاف أن تكون هذه الأخبار والمعلومات صادقة وصحيحة، وبشكل عام فإن الإعلام هو عملية تستهدف تثقيف وإحاطة الناس، بالمعلومات والمعارف الصحيحة والصادقة، التي تخاطب عقول الأفراد وترفع من مستواهم وتدفعهم للعمل من أجل المصلحة العامة، كما تخلق مناخاً عاماً من المسؤولية والحرية التي تدفع الأفراد، للمشاركة والنقد البناء لقضايا المجتمع، وبيان ما يعترضها من مشكلات، ومن ثم العمل على إيجاد حلول مناسبة لها.

كما عرف الإعلام بأنه جانب من عملية الاتصال، التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة، في مضامين اجتماعية أو تربوية أو معنى مجرد أو واقع معين، فالاتصال يقوم على المشاركة في المعلومات والصور الذهنية والآراء، والتأثير في سلوك المستقبل هو هدف عملية الإعلام، فالرسالة الإعلامية التي لا تحظى باستجابة المستقبل، لا يمكن أن تعتبر اتصالا، والاستجابة هي إحداث تغيير على الصورة الذهنية للمستقبل، عن طريق ما تزوده به من أخبار ومعلومات وحقائق، وإدراكه لمضمونها، وهو ما يحفزه على الاستجابة لها (رشتي، ١٩٧٨).

الإعلام التربوي:

أصبح الإعلام بشتى صوره وأنواعه في الوقت الراهن، وسيطا لا غنى عنه لأي مجتمع يريد التقدم والتطور، فإذا صلح الإعلام في المجتمع كان بحق أداة للتقدم والتحضر، ويصبح الإعلام تربوياً إذا كان هدفه التربية والتثقيف والتنمية، وإحاطة أفراد المجتمع بالعلوم والمعارف والمهارات والقيم والفضائل، التي تسهم في بناء الإنسان المتوازن، والمجتمع المتماسك القوي، والإعلام التربوي يبني ولا يهدم، ويسهم في تنوير عقل الإنسان، والتأثير في سلوكه بشكل إيجابي، وهو إعلام يربي الإنسان على المسؤولية وحرية الرأي ومكارم الأخلاق، ويشجع على النقد البناء بهدف مواجهة المشكلات وحلها، وهو إعلام يروح عن الناس ويدخل البهجة والسرور إلى نفوسهم، من خلال مادة إعلامية راقية تراعي الضوابط والقيم الأخلاقية للمجتمع، ومن ثم فالإعلام التربوي يستهدف بناء الإنسان والمجتمع معاً.

وعليه فالإعلام التربوي له رسالة واضحة تجاه الفرد والمجتمع، هذه الرسالة تتمثل في تربية الأفراد، استنادا إلى المادة الإعلامية الإيجابية، التي تتضمن مواقف وقيم وخبرات، تؤثر بشكل إيجابي في المستقبلين، وتعمل على تنميتهم في الاتجاه الصحيح، في كافة المجالات النفسية والاجتماعية، والفكرية والعلمية والعقلية والصحية، وغيره من الاتجاهات الضرورية لبناء الإنسان المعاصر، الذي يشترك بفاعلية في تطوير المجتمع، فيصبح الإعلام عامل تطور وتحضر ورقي مادي وأخلاقي لجميع أبناء المجتمع.

الإعلام التربوي الإسلامي:

بدأ الإعلام التربوي منذ أن خلق الله تعالى الإنسان، فأعلم سبحانه عن نفسه ليبين للناس وحدانيته وقدرته وإستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، وكان الإعلام بشكل عملي يستشفه ويعرفه الإنسان ببصيرته ووعيه لكل ما حوله من مخلوقات، تُعلم عن الخالق سبحانه وتعالى، فالإنسان ومعجزة خلقه، والسماوات والأرض ومن فيهن، وتعاقب الليل والنهار، كل ما في هذا الوجود لسان حاله ينطق بوجود الخالق سبحانه وتعالى، أما الإعلام القولي فبدأ منذ أن خلق الله آدم وعلمه الأسماء كلها، الإعلام الذي هيأ آدم للاستخلاف في الأرض، من أجل الاستمرار والبقاء وعمارة الكون، الإعلام عن طريق الرسل والأنبياء، الذين أوحى الله إليهم، ليرشدوا الناس إلى الطريق

المستقيم، طريق التوحيد والعبودية لله وحده لا شريك له، الإعلام بالكلمات المقدسة، التي نزلت على موسى في التوراة، وعلى عيسى في الإنجيل، وعلى محمد في القرآن، عليهم أذكى الصلاة وأطيب السلام.

هذا الإعلام الرباني، الذي يستنطق قلب وعقل وروح الإنسان، ليتفكر في نفسه وفي الكون من حوله، وفي كل المخلوقات، والذي أوحى به سبحانه إلى أنبيائه ورسله الأخيار، هدفه تربية الإنسان في كل زمان ومكان، وإرشاده إلى الطريق المستقيم، وإعلامه لكي يصل إلى أكرم مقام، وهو مقام العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، ومن هذا الإعلام الرباني يشتق الإنسان المسلم الإعلام التربوي الإسلامي، الذي يتفق مع منهج الإسلام وأهدافه، وطبيعة وأهداف ومتطلبات المجتمع المسلم.

ويعرف **الإعلام التربوي الإسلامي**، بأنه الإعلام الذي يستهدف التربية والتثقيف والتوجيه والترويح والأخبار، التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر، في فكر وسلوك الإنسان، بتقديم مواد إعلامية وثقافية وأخبارية وتعليمية وتربوية واجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وصحية، يجمعها خط فكري واحد هو الالتزام بقيم ومنهج الإسلام، المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، سواء تم تقديم هذه المواد بالطرق المباشرة أو غير المباشرة، وهو إعلام واضح صريح، عفيف الأسلوب، نظيف الوسيلة، شريف القصد والغاية، عنوانه الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، وغايته الحق لا يضل ولا يضلل، وإنما يهدي إلى التي هي أقوم، ويلتزم فيه الإعلامي رجلاً كان أو إمراة، بالإسلام قولا وعملا.

أصول الإعلام التربوي الإسلامي:

الإعلام التربوي الإسلامي هو إعلام حر، بشرط ألا يؤدي إلى إيذاء الاخرين أو الاعتداء على حرياتهم، لأن الإسلام لا يقر الإساءة للآخرين حتى لو كانوا من أعداء الدين، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ...﴾[1]، كما يحافظ الإعلام التربوي الإسلامي على الآداب العامة، ويحرم الإسلام الجهر بالسوء، أو الدعوة إلى الفحش وسوء الأخلاق، ويعتمد الإعلام الإسلامي طريق الحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة الخالصة لوجه الله تعالى، ويقيد الإسلام حرية

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

التعبير بالأخلاق والآداب، وحرية القول جزء من حرية التعبير، التي تنبثق عن حرية الفرد في إعتناق الإسلام، حيث بلغت الشريعة الإسلامية غاية السمو، عندما نهت عن الإكراه في الدين، وقررت حرية العقيدة للناس عامة (إمام، ١٩٨٥).

كما أن الإعلام التربوي الإسلامي هو إعلام مسؤول، وما دام الإنسان حراً له كرامته وعزته وله شخصيته المستقلة، فإنه مسؤول عن عمله، حيث تقوم المسؤولية على أسس فردية واجتماعية وقضائية، فمن الناحية الفردية يراقب المرء نفسه ويحاسب ضميره، فالإعلامي يتقي الله في ممارسته لحرية القول والتعبير، لأنه يشعر أن الله يراه في السر والعلن، يقول عز وجل:﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ﴾[1]، وإلى جانب وازع الضمير الإنساني الذي يتكون بالتربية الإسلامية، فهناك متابعة المجتمع التي تحول دون انحراف الإعلامي عن رسالته التربوية، حيث لا يسمح المجتمع المسلم، بانتشار الفواحش والفضائح والتجني على أعراض الناس، ولا يسمح بإنتشار الكذب عبر وسائل الإعلام، كما يصبح من حق الدولة أن تحاسب الإعلاميين، الذين يصدر عنهم إساءة إستعمال للحرية الممنوحة لهم، بشرط أن يتم ذلك عن طريق القضاء العادل في المجتمع (إمام، ١٩٨٥).

أهمية الإعلام التربوي الإسلامي:

إن أهمية الإعلام التربوي الإسلامي، تنطلق من أهمية رسالة الإسلام باعتباره الدين الخاتم لهداية البشرية إلى طريق الله تعالى، ودعوة عالمية لجميع البشر على سطح المعمورة، فإذا كان الإسلام يمثل الأمانة التي حملها الإنسان، دون غيره من سائر المخلوقات، يقول عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوما جَهُولا﴾[2]، فإن أهمية الإعلام التربوي في المجتمع المسلم، هي حمل هذه الأمانة إلى الناس، حملها بإخلاص وتفاني وإيمان، بكل ما تتضمنه هذه الأمانة، من دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الله تعالى، والعمل بالمعاملات التي أقرتها قيم الشريعة الإسلامية، فضلاً عن نشر القيم والمعارف والأفكار المرتبطة بالشريعة الإسلامية، وتربية الناس وتدريبهم على أساليب

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

السلوك الراقي، لبناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، وتكوين المجتمع المسلم القوي، الذي يملك أسباب التقدم والتحضر والرقي.

وعليه فإن الإعلام التربوي الإسلامي، يهتم بترقية اهتمامات الناس، والسمو بقدراتهم العقلية والوجدانية، ونشر مبادئ الثقافة الإسلامية السامية، فضلاً عن محو الأمية الفكرية وزيادة الوعي الإسلامي، مع بث روح المحبة والمودة والألفة والتعاون والتكافل، والتآلف والانسجام بين سائر أفراد المجتمع، حيث يهتم الإعلام الإسلامي بشؤون المسلمين، ويرى أن من لا يهتم بشؤون المسلمين فليس منهم، وينظر إلى كافة الأحداث والأخبار والمعلومات والأحكام بمنظور إسلامي، وهو يتبنى قضايا المسلمين ويحللها ويعرض النماذج الناجحة منها، فضلاً عن تعرية وفضح الدعاوى الباطلة التي تتعارض مع شريعة الإسلام في المجتمع (إمام، ١٩٨٥).

كما يهتم الإعلام التربوي الإسلامي، بتحقيق أهداف الإنسان المسلم، ويتخذ منها مادة إعلامية تبين أن الإنسان المسلم لم يخلق عبثا، وإنما خلق لهدف وغاية أساسية، فالهدف الاسمى من وجوده هو عبادة الله عز وجل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، والغاية التي يرنو إليها هي رضى الله تعالى، والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، ومن ثم فإن الإعلام التربوي الإسلامي، يهتم بتلبية حاجات الناس المادية والمعنوية، التي تعينهم على تحقيق غاياتهم الأساسية، التي رسمها الإسلام لهم في هذه الحياة. وعليه فإن الإعلام التربوي الإسلامي، يهتم بتوجيه المسلمين وتكييف سلوكهم وإيجاد الرأي العام المستنير بأحكام الشرع الإسلامي، ليشق الناس طريقهم في هذه الحياة، على هدي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا تنحرف بهم الأهواء ولا تضل بهم السبل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

صور الإعلام التربوي في صدر الإسلام:

جاء الإسلام وإستحدث الكثير من الأساليب الجديدة في ميدان الإعلام والاتصال بالناس، منذ عرض عليهم هذا الدين الجديد، وبذل النبي ﷺ في سبيل هذه الغاية جهودا مضنية، وتعددت أساليب الدعوة والإعلام في صدر الإسلام، فجاء في قمتها القرآن الكريم ثم الحديث الشريف ثم الخطبة النبوية، وكذلك الآذان والغزوات لإعلام العدو بقيم وأخلاق وقوة الدين الجديد، فضلاً عن القصص التي ظهرت في القرآن الكريم، ثم على أيدي نفر ممن دخلوا دين الإسلام، وأطلق عليهم القصاصين، وكذلك مواسم الحج التي كانت بمثابة مؤتمرات كبرى للإعلام عن الدين الجديد، وأخيراً العلاقات الإنسانية (حمزة، ١٩٨٩)، وفيما يلي توضيح لأهم وسائل الإعلام التربوي الإسلامي:

(١) القرآن الكريم والإعلام التربوي:

يعد القرآن الكريم أهم وسيلة تربوية إعلامية، منذ ظهور الإسلام حتى الآن، فارتبط القرآن الكريم بالدعوة إلى الله الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...﴾(١)، كما بيّن القرآن الكريم الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الداعية بوجه عام، والتي يتحلى بها الرسول ﷺ بوجه خاص، والمتمثلة في الصبر وحسن المعاملة والحوار واللين، يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ...﴾(٢)، كما أخبر القرآن الكريم في كثير من آياته، عن أحداث وقصص حدثت في الماضي، وأخرى عن المشركين والمنافقين، وما كانوا يدبرونه من المؤامرات عند نزول الآيات، بل وأخبر عن حوادث مستقبلية، وقعت بعد نزول الآيات، فكان القرآن الكريم بمثابة صحيفة مقدسة، كان ومازال لها أبلغ الأثر على من يقرؤها وفتح الله بصيرته للإيمان، لما يتسم به القرآن الكريم من الدعوة الصادقة، التي تلامس شغاف القلوب، فتؤثر فيها وتقودها إلى الطريق المستقيم (حمزة، ١٩٨٩).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

ويعد اليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء، وما فيه من الجنة أو النار، مادة إعلامية هامة، لا يمكن لأي إعلام إسلامي أن يتغاضى عنها، لما لها من تأثير مستمر في حياة الإنسان المسلم، فأخبرنا القرآن الكريم عن الجنة وبعض أوصافها، فهي كبيرة ومتسعة «عرضها كعرض السماوات والأرض»، وأن فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيها الحور العين وولدان مخلدون وأكواب وأباريق، فيها أنهار من لبن وأنهار من عسل مصفى وفيها أشجار الفاكهة ذات القطوف الدانية وغيره من النعيم، وهذه الأوصاف جعلت أرواح المسلمين تتشوق إلى هذه الجنة، فتسابق المسلمون الأوائل بأموالهم وأولادهم وأنفسهم، طمعا في الفوز بهذا النعيم.

وعليه فإن القرآن الكريم هو أول وسيلة إعلامية، يمكن للإعلام التربوي المعاصر أن يستقي منه مادته الإعلامية، مستلهما من القرآن الكريم قصص الأنبياء، لعرضها بأسلوب يتوافق وضوابط الشرع الإسلامي، ويربي الناس من خلالها على عقيدة التوحيد، وكيف أن الرسل جاهدوا في مجتمعاتهم لإعلام الناس بهذه العقيدة، وبيان أن الحق لابد أن ينتصر في النهاية، ولابد من رجوع الإنسان إلى خالقه، فضلاً عن إمكانية تقديم القيم الأخلاقية التي يذخر بها القرآن الكريم، مثل قيم العدل والمساواة، والأمانة والإخلاص، والعمل، والشورى والرحمة، والتكافل والعطاء، والصدق والتعاون وغيره من القيم، وذلك بأسلوب عصري يعرض هذه القيم في صورة مشاهد عملية، توضح أهميتها في بناء الإنسان الصالح والمجتمع المتحضر.

(٢) السنة النبوية والإعلام التربوي:

تعد حياة المصطفى ﷺ جزء لا يتجزأ من الإعلام التربوي، ومادة إعلامية ضرورية لكل مسلم، حيث كانت حياة الرسول ﷺ نموذجاً تطبيقياً لما جاء به القرآن الكريم، وهو ما أكدته السيده عائشة رضي الله عنها، عندما قالت: «كان خلقه القرآن»، فقد اصطفاه الله تعالى لدعوة الناس وتربيتهم وهدايتهم، ومنح الله تعالى النبي محمد ﷺ أسباب الهداية، التي بها يربي الناس ويرشدهم ويؤثر في سلوكهم، فقد أوتي ﷺ جوامع الكلم وفصل الخطاب، فكان أفصح العرب، حلو المنطق عذب الحديث، وهي أدوات ضرورية للدعوة والهداية، وتربية الناس والتأثير في سلوكهم.

وأسس محمد ﷺ الدعوة والإعلام في الإسلام على أساس الصدق، باعتباره أساس عمليات التواصل، التي تؤدي إلى الإقبال ومن ثم توصيل الرسالة المطلوبة للآخرين، ويتضح ذلك من موقف المصطفى ﷺ عندما أراد أن يبدأ بالإعلام أو الدعوة، وقف بين أهله قائلا: هل سمعتموني يوماً أقول كذبا؟ قالوا: لا إننا لم نعرف عنك إلا الصدق، ثم سألهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم تصدقونني؟ قالوا نعم أنت غير متهم، ثم بدأ يُعْلِمهم بالرسالة التي بعثه الله تعالى بها، الأمر الذي يؤكد أن الإعلام التربوي السليم، هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات الصادقة، والحقائق التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب، عن القضية أو الموضوع المطروح، وكان محمد ﷺ مثلا أعلى في الصدق، وعرض دعوته على الناس بأمانة وإخلاص كما أمره الله تعالى، فمارس بحق الإعلام التربوي الإسلامي أو الدعوة الصادقة كما سميت آنذاك (حمزة، ١٩٨٩).

وتعد سنة المصطفى ﷺ في هذا العصر مادة إعلامية أساسية لتربية المسلمين، يمكن من خلالها عرض حياة محمد ﷺ، من خلال أقواله وأفعاله وما أقر وما أحب وما كره، ومن خلال عرض سيرة المصطفى ﷺ بأسلوب عصري، يبين مميزات النبي ﷺ وصفاته القيادية والأخلاقية، ومكانته ﷺ كمربي للبشرية، والتي تجعل منه النموذج والمثل الأعلى الذي يحتذى، فضلاً عن إمكانية عرض القصص النبوي، الذي يذخر بالأبعاد التربوية والقيم الأخلاقية، ومن خلال عرض غزوات الرسول ﷺ وما تضمنته من قيم تربوية، أرست للإنسانية دستورا أخلاقياً يضبط عمل الجنود في الميدان، ويوجه الجندي المسلم إلى حفظ الدين، بالمحافظة على الأخلاق والقيم وعدم الشطط، والتصرف وفقاً للأهواء الشخصية، على أن يتم ذلك بأحدث التقنيات المعاصرة، ويستخدم فيه عنصر التشويق، والكلمة الصادقة والصورة المعبرة.

(٣) الخطبة النبوية والإعلام التربوي:

عرف الإسلام قيمة الخطابة وأدرك أهميتها في نشر دعوة الإسلام، منذ أن صعد الرسول ﷺ على الصفا ليعلم قومه بما جاءه من عند ربه امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[1]، وتعد الخطبة النبوية وسيلة إعلامية هامة في عصر الرسول، وتناول محمد ﷺ في خطبه عقيدة التوحيد وأركان الإسلام والعبادات

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

والمعاملات، والجهاد والأخلاق، وأوصاف الجنة وأوصاف النار، وأهمية الإيمان والإخلاص وأهوال يوم القيامة، وكانت خطبه ﷺ إعلاما قوياً بالمبادئ والأسس التي بني عليها الإسلام، ولنأخذ مثالا من خطب الرسول ﷺ وهي خطبته التي ألقاها في حجة الوداع (الفتياني، ١٩٨٧) و(حمزة، ١٩٨٩).

والتي قال فيها ﷺ: أما بعد.. أيها الناس.. اسمعوا مني أُبين لكم.. فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.. أيها الناس.. إن دماءكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. ألا هل بلغت؟.. اللهم أشهد. ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من إئتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السقاية. أيها الناس.. إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد.

أيها الناس.. إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، واتقوا الله في النساء وأستوصوا بهن خيرا.. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد. أيها الناس.. إنما المؤمنون أخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد. فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فاني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي.. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد. أيها الناس.. إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى. ألا بلغت؟ اللهم أشهد. قال السامعون: نعم. قال رسول الله ﷺ: فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

(٤) الاتصال الشخصي أو الجمعي والإعلام التربوي:

يعد الاتصال الشخصي، أساس لجميع العمليات الإعلامية، ويعتمد هذا الإعلام على مدى ثقة الجمهور في مصدر الإعلام، واستخدم المصطفى ﷺ وسيلة الاتصال الشخصي في الإعلام والدعوة، وطفق الرسول ﷺ يستخدم هذه الوسيلة في

أول الأمر مع العامة والفقراء، ثم عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل العربية، فألتقى الرسول ﷺ عند العقبة، برجال من الخزرج في موسم من مواسم الحج، وعرض عليهم الإسلام، وكان محمد ﷺ يلتزم في الإعلام الشخصي الصدق والأمانة والمساواة، وعدم التفرقة بين الناس، كما أمره الله تعالى، واعتمد الرسول ﷺ إعتمادا كبيراً على الاتصال الشخصي، الأمر الذي يدل على حسن سياسته، وعلى عظيم حكمته في معالجة المواقف، فاستطاع بالاتصال الشخصي من خلال الحوار المباشر، والصراحة والصدق والشجاعة، أن يذيب كل حقد، وأن يمحو كل سخط (الفتياني، ١٩٨٧).

ومن النماذج التي تبين أهمية الاتصال الشخصي للرسول ﷺ، الذي ربى من خلاله الصحابة على الحب في الله والحماية لدين الله، كما ورد عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى ﷺ من فيئ هوازن لقريش وقبائل العرب، ولم يعط لأحد من الأنصار شيئا، فغضب الأنصار غضبا شديدا، وقال بعضهم إن محمدا ﷺ أعطى قريشا وحرمنا، فدخل سعد بن عباده وقال للرسول ﷺ: إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيئ، فقال ﷺ: فأين أنت من هذا يا سعد؟ فقال سعد: ما أنا إلا من قومي، فقال الرسول ﷺ فأجمع لي قومك في هذه القبة.

فلما اجتمع الأنصار.. وقف النبي ﷺ فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم، وَجِدةٌ وجَدْتُموها علي في أنفسكم، ألم آتيكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف بين قلوبكم؟ ثم قال يا معشر الأنصار ألا تجيبوني؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنة والفضل، قال الرسول ﷺ أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك. فقال الأنصار المنة لله ولرسوله، فقال ﷺ: أوجدتم يا معشر الأنصار أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحابكم؟ فو الذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت أمرءاً من الأنصار، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، «قال: فبكى القوم حتى إخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً» (هارون، ١٩٩٩).

التليفزيون والإعلام التربوي الإسلامي:

يعد التليفزيون أحد أهم أجهزة الإعلام التربوي الإسلامي، باعتباره يمتلك مقومات متعددة تؤثر بشكل مباشر في المستقبل للرسالة الإعلامية، فهو يمتلك شكلا جذابا في اللون والعرض والصورة والحركة، كما أنه متاح طوال النهار والليل خلال العام، فضلاً عن تنوع مضمون الرسالة الإعلامية، وتعدد القنوات التي يختار من بينها المشاهد، مما يوفر للمشاهد الاختيار من بين بدائل كثيرة، كما يتلقى المشاهد الرسالة الإعلامية، وهو في غاية الراحة والإقبال، وربما الشغف بما يشاهده، وكل هذا بدوره جعل أثر التليفزيون، في التربية والتعليم والتثقيف والتوجيه قد يفوق أثر المدارس، التي يذهب إليها التلاميذ وهم لا يشعرون بنفس الإحساس المريح، الذي يشعرون به وهم يشاهدون التليفزيون، بل ويرى بعض المفكرين أن التليفزيون بات تأثيره يفوق تأثير أولياء الأمور في تربية وتثقيف أبنائهم.

ويضطلع التليفزيون بدور هام وأساسي، في عمليات الإعلام التربوي الإسلامي، حيث يقدم للمشاهدين من خلال بعض القنوات، برامج متنوعة تمس جوانب حياتهم الاجتماعية، والسياسية، والفكرية والصحية والنفسية، والترويحية وغيره من الجوانب، وذلك بما يتوافق مع قيم الشريعة الإسلامية، وهذه البرامج لها أثر كبير على المشاهدين، في توضيح وشرح الكثير من الأفكار والقضايا الغامضة، بل وتقدم لهم نماذج عملية وخطوات إجرائية، لتصحيح المسار ورسم الطريق الواضح، الذي يمكن أن ينتهجه الإنسان المسلم في حياته، وتكتسب هذه البرامج أهمية كبيرة عندما تستضيف كبار العلماء والمفكرين، المشهود لهم بالإخلاص والعلم.

إلا أن هذه البرامج التي تتضمن اللقاءات، والأحاديث التي يقدمها كبار العلماء، قد لا تصل إلى درجة الجاذبية والتشويق التي تتمتع بها الأفلام والتمثيليات، الأمر الذي يتطلب ضرورة تنقية هذه الأفلام والتمثيليات من كل ما يخالف ضوابط وقيم الشريعة الإسلامية، نظراً لأن تعلم القيم يحدث من خلال أي موقف يمر به الإنسان، ومعايشة أحداث الأفلام والتمثيليات، هي مواقف يكتسب من خلالها الإنسان قيما متنوعة، فمثلا الممثل الذي يواجه أزمة أو مشكلة داخل الفيلم، لا يفكر في اللجوء إلى المسجد أو قراءة القرآن، وإنما يذهب إلى ملهى ليلي ليشرب الخمر، فهو يضرب مثلا سيئا يمكن أن يؤثر سلبا في المشاهدين، لمثل هذا الفيلم(علي،٢٠٠١).

مقومات الإعلامي المسلم:

يقصد بالإعلامي المسلم هو من يعمل في أجهزة الإعلام، ويقوم بدوره الإعلامي سواء كان رجلاً أو إمرأة، حيث إن الاضطلاع بمهمة الإعلام التربوي الإسلامي، تتطلب أن يكون الإعلامي على مستوى عال من المهنية في مجال الإعلام، ولديه مهارات وقدرات متنوعة كالفهم والادراك والتحليل والاستنتاج، كما يجب أن يتصف الإعلامي المسلم بمقومات أساسية، حتى يتمكن من توصيل الرساله التربوية الإسلامية بالأساليب الحديثة، وتتعدد هذه المقومات منها المقوم الروحي المرتبط بالعقيدة والإيمان، ومقوم المظهر المرتبط بمظهر وهيئة الإعلامي، والمقوم العلمي والمقوم الفني، وفيما يلي توضيح هذه المقومات (الفتياني، ١٩٨٧).

(١) المقوم الروحي للإعلامي المسلم:

يأتي المقوم الروحي في مقدمة المقومات، التي يجب أن يتصف بها الإعلامي المسلم، فلابد من توفر مرجعية واضحة، ينطلق منها الإعلامي المسلم في أحكامه، حتى لا تزيغ به الأهواء وتضل به السبل، والعقيدة الإسلامية هي الركيزة الأولى والمعيار الذي يحتكم إليه في نظرته للأمور كلها، وعندما تستقر العقيدة في قلب الإعلامي المسلم، يتسع تصوره لهذا الوجود، ويفهم ارتباطه به ودوره فيه، فيزداد تواضعا وإعتزازا برسالته، فيقف عند حدود الإسلام، فلا يجامل ولا يماري، وتصبح رسالته صورة صادقة، يقرأ الناس فيها كتاب الإسلام، مسطوراً في آرائه وأفكاره وأخلاقه وأحكامه وسلوكه.

إن تحلي الإعلامي المسلم بقوة الإيمان بالله تعالى، يكسبه عزة النفس وينزع من قلبه الخوف، فيصدق في تقديم الرسالة التربوية الإسلامية للجماهير، دون التأثر بالضغوط مهما كانت، لأنه يعرف أن الله هو المالك الحقيقي، وأنه سبحانه صاحب السلطة والسيادة، وهذا الإيمان يكسب الإعلامي المسلم، السكينة والطمأنينة والهدوء، الذي يبدو على أسلوبه في توصيل رسالته للجماهير، كما أن عقيدة التوحيد تجعل الإعلامي المسلم، متقيدا بمنهج الله تعالى ومحافظاً عليه، لأنه على يقين أن الله جل شأنه خبير بكل شيء، وأنه إن أتى بعمل في ظلمة الليل فإن الله سبحانه يعلمه.

إن تحلي الإعلامي المسلم بقوة الإيمان بالله تعالى، يكسبه مكارم الأخلاق، ويمنحه روح التجرد من المنافع، والتخلص من الرياء والكذب، فلا ينهى عن خلق

ويأتي مثله، ولا يمكن أن يتخذ من دعوى الأخلاق سبيلا للكسب الرخيص، واستغلال البسطاء والسذج، وإنما تقوم الأخلاق في نفسه مقام المجاهد في ميدان الشرف، ومن ثم يتحرى الإعلامي الحقيقة بانصاف وتجرد وحياد وصبر، والبحث عن كل نافع ومفيد، فلا يسمح لنفسه بتتبع الظنون الضعيفة والأوهام، ويجعلها تحل مكان العقيدة الراسخة، وأن يبعد عن كل ما يثير الشهوات والأهواء المحرمة.

(٢) مقوم المظهر للإعلامي المسلم:

إن الإعلامي المسلم هو روح وجسد، وأن الجسد معلوم وحقيقته بينه، وأن الروح من أمر ربي، وهي التي تقوم في الإنسان سمعا وبصرا وإدراكا، وبها قوام الجسم كله، وتربية الإنسان في الإسلام، هي تربية شاملة تعني بالروح والجسد معا، فالإسلام يأمر بالاعتناء بالجسد ليجعل منه أداة قوية للعمل والإنتاج والجهاد، وتتضمن تربية الجسم النظافة والطهارة، ومن الأمور ذات الأهمية في النظافة، ما عدده النبي ﷺ بقوله: «عشرة من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء والمضمضة» (رواه مسلم) .

إن الإعلامي المسلم مطالب بأن يتحلى بقيم النظافة في الإسلام، فيلبس أجود الثياب وأثمنها ما لم يكن بطرا وكبرا، ولا شك أن للنظافة والتجمل أثر كبير في دعوة الناس للإسلام، ولقد كان الرسول ﷺ من أجمل الناس وأنظفهم، حتى بلغ من نظافته أنه كان يعرف بين الناس، من شدة بياض أسنانه وإشراق وجهه ونظافة ثيابه، فالزينة من الجمال، وأن كثيراً من المقاصد إذا قدمها الإعلامي المسلم، مغلفة بالجمال والزينة، كانت أكثر إثارة وقبولاً وإقناعاً للآخرين (الفتياني، ١٩٨٧).

(٣) المقوم العلمي للإعلامي المسلم:

العلم أحد أهم مقومات الإعلامي المسلم، لمكانة الإعلامي التربوية والمؤثرة في أفراد المجتمع، ولدوره الخطير في تربية وتثقيف الناس، وتغيير أفكارهم ومعارفهم، وفضل العلم وأهله معروف، نطق به القرآن الكريم ورفع شأنه، وأكدته السنة النبوية، قال تعالى: ﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً﴾[١]، وطلب الإعلامي المسلم للعلم والسعي لتحصيله، يسهم في رقي قدراته وزيادة معارفه وعمق وعيه بقضايا المجتمع

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

ومشكلاته، الأمر الذي يزيد من قدرته على القيام برسالته الإعلامية عن قناعة وعلم وأمانة وإخلاص، فيلتزم الحق ويناصره، ويصبح أكثر نفعاً للناس، وأكثر قدرة على إقناعهم بحقيقة الإسلام.

وينبغي لمن يقوم برسالة الإعلام في المجتمع المسلم، أن يتعلم العلوم الشرعية والعلوم التربوية، والطبيعة وعلم النفس وعلم التاريخ وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم التي تؤهل الإعلامي للتأثير في الناس، وتربية أفكارهم وأذواقهم ومعارفهم، كما أن الإعلامي لا يمكن أن يؤدي رسالته على أكمل وجه، إلا إذا كان مجدا في القراءة وصديقا للكتاب بشكل عام، وهو ما يؤكده القرآن الكريم الذي جعل من الكون كتاباً مفتوحاً، يقرأ فيه الإنسان بديع صنع الله تعالى، ويدعو الإنسان إلى التفكر في آياته، وأن يستشف أسراره ويفهم نواميسه، وهو ما يفتح أمام الإنسان باب العلم، ويحرر عقله وتفكيره من أسر الجمود والجهل، ويغريه بالبحث والدراسة والتعلم المستمر.

(٤) المقوم الفني للإعلامي المسلم:

يعد المقوم الفني من بين أهم خصائص ومميزات الإعلامي المسلم، والتي تتضمن مراعاة الإعلامي لمستوى من يخاطبهم من الناس، فيخاطبهم على قدر عقولهم، ويعطيهم ما يستحقونه من العناية والاهتمام، وأن يستطلع آرائهم وعاداتهم وإتجاهاتهم، فالإعلامي كالمربي الذي يؤدي دوره في قاعة الدرس، لابد أن يكون على بينة من مستوى تلاميذه، وإتجاهاتهم وخصائصهم وما يحبونه وما يميلون إليه، ويخطئ الإعلامي كما يخطئ المربي الذي يرى أن ما يقدمه يصل بنفس الطريقة والكيفية التي يفهمها هو، وإنما الحقيقة أن ما يقدمه الإعلامي، وينطبق هذا بالطبع على المربي، يصل إلى المستمعين بطرق مختلفة، نظراً للتنوع القائم بين الناس، ونظراً لإختلاف مداخل تعلمهم المرتبطة بقدراتهم.

كما ينبغي على الإعلامي المسلم أن يهتم بالأسلوب، فلا يستعمل الأسلوب الرخيص، وإنما يستخدم الأسلوب الراقي، الذي يقدم المعاني الجديدة، ويأتي باللمحات المضيئة في رسالته، حتى تصل إلى قلب وعقل ووجدان المستقبل، الأمر الذي يتطلب معرفة اللغة العربية الفصحى، معرفة تامة ويكون مطلعا على أسرارها وأساليبها وقواعدها، إذ يتعذر استخراج اللغة الفنية من اللغة الفصحى، دون أن يكون الإعلامي ملما بها، فيسهل عليه تحريرها إلى لغة إعلامية، تصل إلى المستقْبِل

حية متحركة خلابة، تتلألأ بالمعاني والمعارف التي تأخذ الألباب وتحدث أثرها المرجو في المستَقْبِل (الفتياني،١٩٨٧).

خامساً: منظمة المجتمع المسلم:

مقدمة:

التربية الإسلامية لا تأتي ثمارها إلا في مجتمع مسلم، وكل الجهود التي تبذل في تربية الأفراد، تضيع هباء عندما لا يوجد المجتمع المسلم، أو حين يوجد مجتمع يعادي الإسلام، أو لا يطبق ضوابط وقيم وأحكام الإسلام في إفعل ولا تفعل، ويعمل على أبعاد أحكامه وتشريعاته عن حياة الناس، فإذا كان المجتمع المسلم هو الهدف النهائي من التربية الإسلامية، فإن المجتمع المسلم ذاته هو الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية، وتنشئة الأفراد عليها منذ نعومة أظافرهم، حيث يوفر المجتمع البيئة التربوية الإسلامية التي يكتسب منها النشء قيمهم وأساليب سلوكهم، ومن الطبيعي أن يبدأ بناء المجتمع المسلم، مع بناء وإعداد وتربية الأفراد.

ولقد وضع محمد ﷺ من خلال القرآن الكريم لبنات المجتمع المسلم، حيث تلقى الوحي والرسالة وامتلأت نفسه بمنهج الإسلام، وتحركت للعمل به في واقع الأرض، فراح المصطفى ﷺ يربي الناس، ويملأ نفوسهم وقلوبهم بمنهج الله عز وجل، وأخذت الدعوة دورتها لتكون المجتمع المسلم، الذي ينشئ الأفراد على منهج الإسلام بمصدرية القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ ، الذي يتوإرثه جيل عن جيل، فأخذ المجتمع المسلم مكانه في التاريخ.

المسؤوليات التربوية للمجتمع المسلم:

(١) المجتمع وتربية النشء:

إن العناية بالنشء وتربيتهم على الأصول الإسلامية الصحيحة، التي تجعل كل إنسان في المجتمع صورة واضحة للإسلام، من حيث الإيمان والسلوك والسمات والأخلاق، من أهم أسس بناء المجتمع المسلم، ولهذا فإن الإسلام لم يهتم بالنشء منذ وجوده على قيد الحياة، وإنما اهتم به قبل أن يكون جنينا في بطن أمه، حيث أمر الرسول ﷺ بضرورة اختيار الزوجة الصالحة، قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري)، كما

أحاط الإسلام الأسرة بسياج متين ورباط وثيق يشد أعضاءها، ويحملهم مسؤولية بناء أسرة قوية، تصبح لبنة في بناء مجتمع مسلم قوي، يحافظ على قيم الإسلام من خلال أفراده (الوكيل، ١٩٨٩).

وإذا كانت التربية الإسلامية هي التي تبني المجتمع المسلم، فإن المجتمع المسلم ضرورة لتربية النشء على منهج الإسلام، فالتربية الإسلامية والمجتمع المسلم وجهان لعملة واحدة، لا يثمر أحدهما بدون وجود الآخر، فالإنسان المسلم يحرص على تربية الأبناء مستوحياً هذه التربية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن معالم التربية الإسلامية التي تمتلئ بها نفسه، إلا أنه بخروج الابن إلى المجتمع يواجه الواقع وما يتضمنه من تناقضات، فالابن الذي يجد غيره من الأبناء يسبونه بألفاظ تخدش الحياء فتؤلمه، والابن الذي يجد الغش والخداع والنفاق هو العملة السارية بين الناس، فالمعلم أو المعلمة لا يعملان بضمير حي إلا إذا حضر المدير أو الموجه الحصة، ويلاحظ الابن مدى التغير الذي يطرأ فجأة على المعلم أو المعلمة، فيدرك مدى الغش والخداع الذي يمارس في المدرسة.

والابن الذي يرى حوله القوي يستعبد الضعيف، والفتاة التي تجد نساء المجتمع يتبرجن لإبراز مفاتنهن، والفتاة التي تطالع الإعلام في التليفزيون والسينما والمجلات والإنترنت وما يموج به المجتمع الإفتراضي من سلبيات، فتشاهد المواقف المثيرة والفاضحة، والابن الذي يرى قيم المجتمع معكوسة حيث يصل المنافق والمرتشي إلى أعلى الدرجات، ويكبو صاحب القيم والمبادئ ويتوارى في ذيل الصف، كل ذلك يؤكد أهمية حضور المجتمع المسلم، الذي يطبق منهج الإسلام، ولا يعارض انتشار قيم وضوابط الشرع الإسلامي، وتوفر المقومات والقيم التي تسهم في بناء المجتمع المسلم، حتى يمكن إعداد وتربية الجيل الجديد، وفق ضوابط وقيم المجتمع، التي هي نفسها ضوابط وقيم الإسلام.

(٢) المجتمع والتربية بالنقد والحرمان الاجتماعي:

يعد النقد الاجتماعي وسيلة من وسائل التربية التي تهيئ الإنسان للتراجع عن السلوك السلبي، وتبنّي سلوك إيجابي يرضى عنه المجتمع المسلم، وقد اتخذ رسول الله ﷺ المجتمع وسيلة للتأديب ونقد السلوك بهدف تغييره، روى أبو هريرة أن رجلاً

قال: يا رسول الله: «إن لي جارا يؤذيني»، فقال: «انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق»، فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه، فقالوا: «ما شأنك؟» قال: لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال لي: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق»، فجعلوا يقولون: «اللهم العنه.. اللهم خذه»، فبلغه فأتاه فقال ارجع إلى منزلك فوالله لا أوذيك «رواه البخاري»، الأمر الذي يؤكد أهمية النقد الاجتماعي، في تربية السلوك وتصحيح الأخطاء الاجتماعية، وهو ما يسهم بدوره في تماسك المجتمع المسلم.

بل ولم يقتصر منهج المصطفى ﷺ على تربية الناس من خلال النقد الاجتماعي، بل استخدم كذلك الحرمان الاجتماعي لتربية الصحابة وتعديل سلوكهم، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، اعتذر من اعتذر من المنافقين، وقبل الرسول ﷺ عذرهم، إلا هؤلاء الثلاثة وهم «كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع»، فإنهم صدقوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! ما لنا من عذر. فأمر النبي ﷺ بهجر هؤلاء الثلاثة، فهجرهم المسلمون لا يكلمونهم ولا يسلمون عليهم، وجرى لهم ما جرى، حتى أنزل الله عليهم التوبة، فتاب الله سبحانه وتعالى عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(1)]، الأمر الذي يؤكد مكانة المجتمع المسلم في نفوس أبنائه، الذين تضيق عليهم الدنيا بما رحبت عندما يهجرهم أعضاء المجتمع المسلم.

والمتأمل لهذه التربية النبوية، يجد أنها من الوسائل الناجعة في تربية الأبناء، حيث يمكن تطبيق أسلوب الحرمان، على الأبناء لتأديبهم، بهدف الإقلاع عن السلوك الخاطئ، وهو عقاب معنوي يستجيب له الأبناء الذين سبقت تربيتهم، على الأمانة والشفافية والحياء، والصدق وبر الوالدين، وتأدبوا بأدب القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، وبنيت عواطفهم على حب الله ورسوله وحب الخير للناس من حولهم، فتكفيهم الملامة عند السلوك الخاطئ، ويؤثر فيهم الحرمان أو الهجر فلا يتحملونه، ويقلعون على الفور عن السلوك الخاطئ، ويستبدلونه بسلوك إيجابي، يُرضي المربين ويتوافق وقيم المجتمع المسلم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٣) المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحد الأدوات الرئيسة لتربية الأفراد، وتقويم سلوكهم في المجتمع المسلم، فالإنسان بحكم طبيعته الاجتماعية، يعكس الكثير مما تكون عليه الجماعة التي هو جزء منها، وتربية الإنسان تتطلب تهيئة الظروف الاجتماعية التي تكفل له المناخ السليم للنمو، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أهم الطرق التي توفر بيئة اجتماعية صحية، نظراً لأن منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحتم على كل مسلم أن يكون رقيبا على كل ما يجري حوله، ووزنه بميزان الشرع الإسلامي، وهو منهج يتطلب أن يكون الناس على علم بالحلال والحرام والسنن والواجبات، ويعد نشر العلم والمعرفة وتثقيف الناس بأمور دينهم، ركنا أساسياً من منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (علي، ٢٠٠٧).

خاتمة الفصل الرابع

هكذا طوف بنا هذا الفصل في ربوع منظمات التربية الإسلامية، حيث بدأ بمنظمة الأسرة المسلمة، وتم تناول بناء الأسرة المسلمة، والتطرق لأهم الأبعاد التربوية لبناء الأسرة في الإسلام، وهي بناء الأسرة على حسن الاختيار، وعلى الطهارة والعفة، وعلى المساواة وعلى المودة والرحمة، وعلى العدالة وعلى أدب الاستئذان، وعلى التكافل الاجتماعي، ثم قدم الكاتب شرحا لأهم الوظائف التربوية للأسرة في الإسلام، وهي وظيفة إنجاب النسل الصالح، ووظيفة تربية الأبناء، وإشباع حاجاتهم للمودة والمحبة، والعدالة وعدم التفرقة بينهم، ثم تطرق الكاتب للمرأة في الأسرة المسلمة، موضحا أبعاد الدور التربوي للمرأة المسلمة، سواء داخل الأسرة أو خارج الأسرة، كما وضح أهم ضوابط الاختلاط للمرأة المسلمة عند أداء أدوارها التربوية، فضلاً عن شرح لأهم كفايات المرأة المسلمة حتى تقوم بأدوارها التربية على أكمل وجه.

وتناول هذا الفصل منظمة المسجد في الإسلام، وبدأ بتعريف المسجد وتطرق إلى نشأت المساجد في المجتمع المسلم، ثم قدم شرحاً للرسالة التربوية للمسجد في الإسلام، والتي تمثلت في دور المسجد باعتباره مكان للعبادة والتعليم، وباعتباره جامعة تربوية وتعليمية، ومركز إشعاع ثقافي وتربوي، ومركزاً تربوياً واجتماعياً، ونادياً تربوياً سياسياً، فضلاً عن كونه مركزاً للتربية الصحية والنفسية، ثم أخيراً كمركز للقضاء والعدل، ثم تناول هذا الفصل منظمة المدرسة في الإسلام، حيث تناول نشأت المدرسة الإسلامية، وتنظيم المدارس الإسلامية، ثم الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية، منها وظيفة نقل التراث الثقافي ونشر الثقافة الإسلامية، ووظيفة الإبداع والتجديد، كما تناول الكاتب صفات المربي في المدرسة الإسلامية، والتي تمثلت في العلم والتعلم والأمانة والإخلاص والتواضع والعزة، وتناول كذلك الوظائف التربوية للمدرسة الإسلامية في الحاضر، والتي تمثلت في توفير خبرات تربوية إسلامية، واستثمار ميول ومواهب النشء، وبناء الهوية الإسلامية للنشء، وإعداد المربي المسلم للعمل في المدارس، فضلاً عن بناء مجتمع تعلم مسلم في المدرسة.

كما تناول هذا الفصل منظمات الإعلام التربوي الإسلامي، حيث تضمن تعريف الإعلام والإعلام التربوي والإعلام التربوي الإسلامي، وأصول الإعلام التربوي الإسلامي، وأهمية الإعلام التربوي الإسلامي، كما تم شرح بعض صور الإعلام التربوي في صدر الإسلام، وذلك من خلال بيان وشرح الإعلام التربوي في القرآن الكريم، والإعلام التربوي في السنة النبوية الشريفة، والإعلام التربوي في الخطبة النبوية، والاتصال الشخصي والجمعي، وعلاقتهما بالإعلام التربوي، وعلاقة التليفزيون بالإعلام التربوي الإسلامي، كما كان من الضروري التطرق لمقومات الإعلامي المسلم، والتي تضمنت المقوم الروحي، ومقوم المظهر، والمقوم العلمي والمقوم الفني، ثم تناول هذا الفصل تقديم فكرة موجزة عن المجتمع المسلم كمنظمة تربوية، باعتبار أن المجتمع المسلم والتربية الإسلامية وجهان لعملة واحدة، حيث تضمن المسؤوليات التربوية للمجتمع المسلم، والتي تمثلت في تربية النشء، والتربية بالنقد والتربية بالحرمان الاجتماعي، والتربية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قائمة مراجع الفصل الرابع

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي (١٩٩٨). سنن ابن ماجة. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

أبو داود السجستاني، أبو داود بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو (٢٠٠٠). صحيح سنن أبي داود. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

أبو شقة، عبد الحليم محمد (١٩٩٥). تحرير المرأة في عصر الرسالة «حوارات مع المعارضين لمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية». الجزء الأول، ط٤، الكويت: دار القلم للنشر.

أبو شقة، عبد الحليم محمد (١٩٩٥). تحرير المرأة في عصر الرسالة «لباس المرأة المسلمة وزينتها». الجزء الرابع، ط٤، الكويت: دار القلم للنشر.

أبو شقة، عبد الحليم محمد (١٩٩٥). تحرير المرأة في عصر الرسالة «مشاركة المرأة المسلمة في الحياة الاجتماعية». الجزء الثاني، ط ٤، الكويت: دار القلم للنشر.

أبو شقة، عبد الحليم محمد (١٩٩٥). تحرير المرأة في عصر الرسالة «معالم شخصية المرأة المسلمة». الجزء الأول، ط ٤، الكويت: دار القلم للنشر.

أبو طاحون، عدلي علي (٢٠٠٠). المعوقات القيمية والمعيارية لمشاركة المرأة في الأنشطة الاجتماعية المحلية. في «حقوق المرأة دراسات دينية وسوسيولوجية». الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

أبو طاحون، عدلي علي (٢٠٠٠). التربية الدينية للمرأة وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية للأطفال. في«حقوق المرأة دراسات دينية وسوسيولوجية». الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

أبو عجوة، محمد نجيب أحمد (٢٠٠٠). المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة مدبولي.

أحمد، إبراهيم عبد الهادي (١٩٩٥). حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية. عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.

أحمد، صلاح الدين مقبول (١٩٩٧). المرأة بين هداية الإسلام وغواية الإعلام. الكويت: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع.

أمام، إبراهيم (١٩٨٥). أصول الإعلام الإسلامي. الكويت: دار الكتاب الحديث.

أيوب، حسن (١٩٩٦). السلوك الاجتماعي في الإسلام. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٩٣). صحيح البخاري. دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي (٢٠٠٠). صحيح سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

تقرير التنمية البشرية (٢٠٠٥). التعاون الدولي على مفترق طرق: المعونة والتجارة والأمن في عالم غير متساو. بيروت: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

الحازمي، خالد حامد (٢٠٠١). أصول التربية الإسلامية. المدينة المنورة: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع.

الحصري، أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني (١٩٧٠). زهرة الآداب وثمرة الألباب. شرح زكي مبارك، بيروت: دار الجيل.

حمزة، عبد اللطيف (١٩٨٩). الإعلام في صدر الإسلام. القاهرة: دار الفكر العربي.

خان، وحيد الدين (١٩٩٤). المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية. ترجمة سيد رئيس أحمد. القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع.

رشتي، جيهان أحمد (١٩٧٨). الأسس العلمية لنظريات الإعلام. القاهرة: دار الفكر العربي.

الزحيلي، وهبه (٢٠٠٠). الأسرة المسلمة في العالم المعاصر. دمشق: دار الفكر.

الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بهاور بن عبد الله التركي المصري (١٣٨٥). إعلام الساجد بأحكام المساجد. تحقيق أبو الوفاء مصطفى المراغي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الفلسطينية.

زيدان، عبد الكريم (١٩٩٧). المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية. الجزء الرابع، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الساعاتي، حسن (١٩٩٦). بحوث إسلامية في الأسرة والجريمة والمجتمع. القاهرة: دار الفكر العربي.

السويدان، طارق (٢٠٠٧). الإمام الشافعي السيرة المصورة. سلسلة الأئمة المصورة. الكويت: الإبداع الفكري.

شهاب، بهيجة أحمد (١٩٨٤). المرأة وقوى التغير في دول الخليج العربي: دراسة تحليلية. «المؤتمر الإقليمي الثالث للمرأة في الخليج والجزيرة العربية». الإمارات العربية المتحدة: أبوظبي.

الصغير، احمد حسين (٢٠٠٥). دور ممارسة التفكر في تحسين أداء المعلم: دراسة ميدانية في مدارس التعليم العام. مجلة التربية والتنمية. السنة الثالثة عشر، العدد ٣٢.

الصفار، حسن (٢٠٠٣). شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين. المغرب: المركز الثقافي العربي.

الطلحي، بركة بنت مضيف بن علي (٢٠٠٧). الوسائل الدعوية في المسجد النبوي في العصر الحاضر. السعودية: مكتبة الرشد - ناشرون.

عبد المعطي، عبد الباسط وعلام، اعتماد (٢٠٠٣). العولمة وقضايا المرأة والعمل. «الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة». القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

عبد المعطي، عبد الله محمد (٢٠٠٠). أطفالنا خطة عملية للتربية الجمالية سلوكاً وأخلاقاً. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

عبد الوهاب، ليلى (١٩٩٩). تأثير التيارات الدينية في الوعي الاجتماعي للمراة العربية. في مريم سليم وآخرون. «المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر». سلسلة كتب المستقبل العربي (١٥). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

عبيد، منصور الرفاعي (١٩٩٧). مكانة المسجد ورسالته. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.

عزت، هبة رؤوف (١٩٩٥). المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية. فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

عقلة، محمد (١٩٩٠). تربية الأولاد في الإسلام. الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة.

العك، خالد عبد الرحمن (١٩٩٨). شخصية المرأة المسلمة في ضوء القران والسنة. بيروت: دار المعرفة.

علوان، عبد الله صالح (١٩٨٩). التكافل الاجتماعي في الإسلام. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٩). تربية الأولاد في الإسلام. المجلد الأول، القاهرة: دار السلام والنشر والتوزيع.

علي، خالد سيد (١٩٩٩). المحرمات على النساء. الكويت: مكتبة التراث والإيمان.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠١). فقه التربية مدخل إلى العلوم التربوية. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٧). أصول التربية الإسلامية. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٨). التربية الإسلامية والنهوض بالامة. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠١٠). التربية العربية قبل الإسلام. موسوعة التطور الحضاري للتربية الإسلامية. الجزء الأول، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠١٠). مؤسسات التربية الإسلامية. موسوعة التطور الحضاري للتربية الإسلامية. الجزء الرابع، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

علي، سعيد إسماعيل(٢٠١٠). معاهد التعليم الإسلامي. موسوعة التطور الحضاري للتربية الإسلامية. الجزء الثالث، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

على، سهير لطفي (١٩٨٢). دراسة سوسيولوجية لدور المرأة في عملية التنمية الاجتماعية في العالم النامي «المؤتمر الإقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية»، المجلد الأول. الكويت.

علي، موسى محمد (١٩٨٥). سيد الشهداء الإمام الحسين رضي الله عنه. بيروت: عالم الكتب.

فائز، أحمد (١٩٩٤). دستور الأسرة في ظلال الإسلام. ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفتياني، تيسير محجوب الفتياني (١٩٨٧). مقومات رجل الإعلام الإسلامي. عمان: دار عمان للنشر والتوزيع.

فرنش، وندل وجونير، سيسل بيل (٢٠٠٠). تطوير المنظمات تدخلات علم السلوك لتحسين المنظمة. ترجمة وحيد بن أحمد الهندي. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب (٢٠٠٩). القاموس المحيط. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاضي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٢). أصول التربية الإسلامية. القاهرة: عالم الكتب.

لاندو، روم (١٩٦٢). الإسلام والعرب. ترجمة منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.

محمود، عباس محجوب (٢٠٠٦). أصول الفكر التربوي في الإسلام. بيروت: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

المدغري، عبد الكريم العلوي (١٩٩٩). المرأة بين أحكام الفقه والدعوة إلى التغيير. المغرب: مطبعة فضالة.

مرزا، مكية (١٩٩٠).مشكلات المرأة المسلمة المعاصرة وحلها في ضوء الكتاب والسنة. دار المجتمع للنشر.

مصطفى، نادية (٢٠٠٢).الأمة الإسلامية في عصر العولمة وقضية المرأة بين التحديات والاستجابات.في أبو يعرب المرزوقي وآخرون. «المرأة وتحولات عصر جديد». دمشق: مكتبة الأسد.

المنصور بالله، الحسين بن القاسم (١٩٥٨). آداب العلماء والمتعلمين. دمشق: دار المناهل للنشر والتوزيع.

النحلاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٥). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. دمشق: دار الفكر.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (١٩٩٥). صحيح مسلم. بيروت: دار الفكر.

نصير، أمنة محمد (٢٠٠١). المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق. القاهرة:دار الكتاب الحديث.

نصيف، فاطمة عمر (١٩٩٢). حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة. السعودية: تهامة.

النووي، أبو بكر زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (٢٠٠٠). صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

هارون، عبد السلام محمد (١٩٩٩). تهذيب سيرة ابن هشام. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الهاشمي، محمد على (١٩٩٧). شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

وطفة، على أسعد والشهاب، على جاسم (٢٠٠٤). علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الوكيل، محمد السيد (١٩٨٩). قواعد البناء في المجتمع الإسلامي. ط٢، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

الولي، طه (١٩٨٨). المساجد في الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين.

يوسف، محمد السيد (٢٠٠٢). منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

Swanson, R. (1994). Analysis For Improving performance. San Francisco: Sage publications.

٥

الفصل الخامس

أساليب التربية الإسلامية

أولاً: أسلوب التربية بالقدوة

ثانيا: أسلوب التربية بالحوار

ثالثا: أسلوب التربية بالقصة

رابعا: أسلوب التربية بالموعظة

خامسا: أسلوب التربية بالمثل

سادسا: أسلوب التربية بالثواب والعقاب

سابعا: أساليب ونماذج تربوية من حياة السلف الصالح

مقدمة:

إذا كانت التربية الإسلامية، هي عملية إعداد الإنسان المسلم، من جميع الجوانب، الروحية والعقلية، والفكرية والنفسية، والإنفعالية والجسمية والصحية، والاجتماعية والاقتصادية والجمالية، وغيره من جوانب الشخصية الإنسانية، في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والقياس والإجماع، والخبرات التربوية التي تتفق مع قيم الإسلام، فإن عملية الإعداد هذه لا تتم في فراغ، وإنما بحاجة إلى طرق ووسائل وأساليب تربوية، يمكن من خلالها بناء وإعداد الإنسان المسلم المتكامل، الذي يتطلع المجتمع المسلم إلى إعداده، ليكون لبنة صالحة، في جسم المجتمع المسلم، ونواة حقيقية، للسير قدماً في طريق التقدم والتطور والتحضر. وفيما يلي أهم هذه الأساليب التربوية:

أولاً: أسلوب التربية بالقدوة:

تعد القدوة الحسنة، واحدة من بين أهم أساليب التربية الإسلامية، لما لها من دور فاعل ومؤثر في إعداد وتربية الإنسان، وقدوة المسلمين والمثل الأعلى لهم، هو محمد ﷺ الذي اصطفاه ربه بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية والروحية، حتى يأخذ الناس عنه ويتعلموا منه ويستجيبوا له، وينهجوا نهجة في المكارم والفضائل والخلق العظيم، يقول عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، فقد وضع سبحانه وتعالى في شخص محمد ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، وكانت حياته ترجمة عملية لفضائل القرآن، ليكون قدوة للأجيال المتعاقبة، وصورة حية خالدة في الأدب ومكارم الأخلاق.

وتتعدد جوانب القدوة في رسول الله ﷺ، الذي لم يقترف إثما من آثام الجاهلية، بل عُرف بالطهر والصفاء والأمانة والصدق، فكان الناس ينادونه في الجاهلية بالصادق الأمين، وقد بلغ ﷺ الذروة في العبادة، عن المغيرة بن شعبة قال: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه، ولما قيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً» (رواه البخاري)، كما

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

كان ﷺ قدوة في حياته الزوجية والصبر على أهله وحسن توجيههن، فقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (رواه ابن حبان).

أما عن زهد المصطفى ﷺ، فيقول عبد الله بن مسعود، دخلت على الرسول ﷺ وقد نام على حصير، وقد أثر في جنبه الشريف، فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»، وكان زهده ليعلم الناس معنى البذل والعطاء، ولأنه ما أراد الدنيا ولا النعيم وإنما أراد إلتماس الأجر من الله تعالى، وكان شعاره قول الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ...﴾[1]، أما عن حلمه فكان مثلا أعلى في الحلم، روى الشيخان عن أنس قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء (علوان، ٢٠٠٥).

بل كان محمد ﷺ قدوة في مداعبة الصحابة، وكانت مداعباته كلها صادقة، تدخل السرور على النفس، فهو ﷺ لا يقول إلا حقا، فقد روى الترمذي في الشمائل أن عجوزا أتت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أدع الله أن يدخلني الجنة، فقال ﷺ: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز»، فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول:﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ (٣٥)فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا(٣٦) عُرُبًا أَتۡرَابا(٣٧)﴾[2].

أما عن مداعبته للأطفال، فقد كان عند أنس رضي الله عنه أخ صبي صغير، وكان مع الصبي عصفور صغير، يحبه ويداعبه ولا يكاد يتركه ساعة واحدة، وكان رسول الله ﷺ كلما جاء إلى بيت أنس، يسأل عن هذا الصبي، وقد كنّاه ﷺ بأبي عمير، وكان ﷺ يداعبه بقوله: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟»، والنغير هو هذا العصفور الصغير، الذي كان يلعب به الصبي، وفي أحد الأيام جاء رسول الله ﷺ إلى بيت أنس وسأل كعادته عن الصبي الصغير. فأجابه أنس رضي الله عنه، أن عصفور أبي عمير

(١) سورة هود، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٣٥-٣٧.

قد مات، وأنه حزين عليه، أقبل رسول الله ﷺ مسرعاً إلى الصبي، وأخذ يواسيه ويخفف عنه حزنه، حتى تبسم الصبي وفرح لكلام محمد ﷺ، ثم حان وقت الصلاة، فقام أنس وكنس الأرض، وفرش البساط، ووقف رسول الله ﷺ ليصلي إماماً، ووقف أنس وأهله وأبو عمير، خلف رسول الله ﷺ، وصلوا معه جماعة، والفرحة تغمر قلب أبي عمير ذلك القلب الصغير، الذي يحمل حباً كبيراً للرسول ﷺ، هذه هي القدوة المحمدية، التي ستبقى إلى قيام الساعة، معينا تربوياً لا ينضب، للناس جميعا كبارا كانوا أو صغارا.

إن محمد ﷺ كان قدوة ومربيا وهاديا بسلوكه الشخصي، وهو الذي بدأ بناء هذه الأمة التي يقول فيها سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾[1]، هذه القدوة باقية ما بقيت السماوات والأرض، إن شخصية الرسول ﷺ ليست آية عصر أو جيل أو أمة، إنها آية كونية للناس كافة، يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، فهو للعالمين كلهم وفي جميع الأجيال وفي كل الأرض، آية باقية لا تذهب ولا تزول، وإنه ﷺ لحي اليوم كما كان حيا في شبه الجزيرة العربية قبل ألف وأربعمائة عام، وطبيعي أن الذين شهدوه ﷺ، قد أخذوا الشحنة كاملة، في أرواحهم وقلوبهم وأفكارهم ومشاعرهم، فانطلقوا يصنعون أعجب أحداث التاريخ، ولكن هذه القوة الحيوية للرسول ﷺ من العظمة والقوة بحيث إذا إقتدى بها أي إنسان، يكون لها أبلغ الأثر في حياته، ومن ثم تصبح القدوة من أعظم وسائل التربية، في إعداد الأجيال الجديدة .

وإذا كان محمد ﷺ كالنجوم الساطعة والمضيئة في عنان السماء، وعلى كل مسلم أن يقتدي به ويقتبس من نوره، إلا أنه يمكن أن تتعدد القدوات التي يقتدي بها الإنسان، فالأب قد يكون قدوة، والمربي قد يكون قدوة، والعالِم قد يكون قدوة، وهكذا من حق الإنسان أن يتخذ القدوة التي تربي شخصيته، وتنمي أفكاره ووعيه وترشده إلى النهج السليم، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القدوة، قد تكون عامل إصلاح وتربية إيجابية، وقد تكون عامل إفساد وتربية سلبية، الأمر الذي يتطلب ضرورة توجيه الأبناء لاتخاذ القدوة الصالحة والإيجابية، والتي تتطابق أقوالها مع

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

أفعالها، والبعد عن أصحاب الشهرة الزائفة، الذين يمارسون نوعا من الخداع، فيقولون ما لا يفعلون، ويقول فيهم المولى عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ (٣)﴾[1]، ويصدق فيهم قول الشاعر:

يــــا أيهـــا الرجـــل المعلـــم غيـــره	هـــلا لنفســـك كـــان ذا التعلـــيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	كيمـــا يصـــح بـــه وأنـــت ســـقيم
ابـــدأ بنفســـك فأنهـــا عـــن غيهـــا	فـــإذا انتهـــت عنـــه فأنـــت حكـــيم
فهنـــاك يُقبـــل مـــا وعظـــت ويُقتـــدى	بـــالعلم منـــك وينفـــع التعلـــيم

حيث تستند القدوة كأسلوب من أهم أساليب التربية، إلى سمة فطرية جبل عليها كل مخلوق ألا وهي التقليد، فالطفل عندما يبدأ في الوعي والادراك، يجد نفسه ملزما بأن يتحدث مثل من يتحدثون حوله، ويسلك وفقاً لما يسلكون، حيث يتأمل الطفل جيدا من حوله ويحاكي سلوكهم، وبالتقليد والمحاكاة ينقل السلوك، وبالتدريج يحدث تعلم السلوك وإكتساب المهارات (علي،٢٠٠٧).

يُروى أن طاووسا كان معجبا بألوانه مزهوا بجماله، أخذ يتبختر ويتمشى أمام صغاره متمايلا، فصار أولاده يقلدونه في مشيته، وفيها من مظاهر الميوعة الشئ الكثير، فصاح بهم: لماذا هذه المشية المائعة التي لم أعهدها فيكم، فقالوا: يا أبانا رأيناك تتمايل فتمايلنا، ولو عدلت مشيتك لعدلنا، فإن الواحد منا يقلد أباه في كل تصرفاته، وينشأ على ما عوده والداه في كل شئ، وقال الشاعر:

مشـــى الطـــاووس يومـــاً باعوجـــاج	فقلـــد شـــكل مشـــيته بنـــوه
فقـــــال عـــــلام تنحرفـــــون	قـــالوا سـبقت بـه ونحـن مقلـدوه
فخـــالف ســـيرك المعـــوج واعـــدل	فإنـــا إن عـــدلت معـــدلوه
أمـــا تـــدري أبانـــا كـــل فـــرد	يجـاري في الخطـى مـن علمـوه
وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا	علـى مـا كـان عـوده أبـوه

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

وعليه فإن القدوة في التربية، تعد من أنجح الوسائل، المؤثرة في الإعداد الخلقي والنفسي والاجتماعي والروحي للأطفال، حيث يحتل المربي المثل الأعلى في نظر الأبناء، والأسوة الصالحة في عيونهم، يقلدونه سلوكيا ويحاكونه خلقيا، بل تنطبع في نفوسهم وأحاسيسهم صورته، القولية والفعلية والحسية والمعنوية، ومن ثم كانت القدوة عاملا هاما في صلاح الأبناء أو فسادهم، فإن كان المربي صادقا أمينا عفيفا، نشأ الأبناء على الصدق والأمانة والعفة، والخلق الكريم، وإن كان المربي كاذبا خائنا متحللا، نشأ الأبناء على الكذب والخيانة والتحلل والجبن، فمهما كان استعداد الأبناء للخير، ومهما كانت فطرتهم نقية سليمة، فإنهم لا يستجيبون لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة، ما لم يروا المربي، سواء كان في البيت أو المدرسة أو المجتمع، في ذروة الأخلاق وقمة المثل العليا (المصري وعمارة، ٢٠٠٧).

وتعد مرحلة الطفولة، من أهم المراحل التي يحتاج فيها الإنسان إلى القدوة، فيبدأ الطفل بتعلم الكلام من خلال المحاكاة، وبمرور الوقت يلتقط الطفل قدرا متزايدا من القيم والمبادئ، من والديه ومن البيئة المحيطة، ويكون الطفل أشد تأثراً بوالديه في سنوات عمره الأولى، فإذا لاحظ الطفل أن أمه تكذب على أبيه، أو أباه يكذب على أمه، أو أحدهما يكذب على الجيران، فإن ذلك كفيل بأن يدمر قيمة الصدق في نفس الطفل، وقد يغفر الطفل للآخرين أن يكذبوا أو يخدعوا أو يسرقوا، وقد لا يتأثر بهم كثيراً أو لا يتأثر بهم على الاطلاق، إذا كان يأوي إلى ركن ركين من القيم والمبادئ متمثلة في أبويه، وخاصة حين يبين له أبواه بوضوح أن هذه نماذج سيئة، لا ينبغي أن يحاكيها، معتمدين على النموذج الصادق، الذي يقدمانه لأبنائهم.

الآثار التربوية للقدوة:

تعد القدوة ذات آثار كبيرة على الآخرين، وهذه الآثار قد تكون مباشرة ومقصودة أو غير مباشرة وعفوية، وفيما يلي توضيح ذلك:

التأثير التربوي المباشر للقدوة:

حيث ينوي المربي مثلا بعمله إقتداء التلاميذ به، فيقرأ قراءة نموذجية ليقلده التلاميذ ويتعلمون منه، ويجود الإمام صلاته ليعلم الناس الصلاة الكاملة بشكل صحيح، وقد تعلم الصحابة أمور دينهم بطلب من رسول الله ﷺ أن يقتدوا به، فكان

يقول لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (رواه البخاري)، وكان ﷺ يأمرهم أن يقتدوا به قائلا: «خذوا عني مناسككم»، ومن المواقف التي تتجلى فيها عظمة القدوة النبوية ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب النبي ﷺ امرأة قط، ولا ضرب خادما قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله عز وجل، ولم ينل منه فانتقم من صاحبه، إلا أن تنتهك محارمه فينتقم» (النحلاوي، ٢٠٠٥).

ومن أبرز جوانب القدوة في المصطفى ﷺ أن سيرته تشجع المربي على البحث عن كل الوسائل والطرق، التي يمكن استخدامها لتوصيل رسالته، حيث استخدم محمد ﷺ كل الطرق والوسائل، لنشر الدعوة وتبليغ الأمانة، فأرسل الرسل للبلاد المجاورة، وكتب الرسائل، وعرض دعوته بنفسه على الآخرين، واستخدم أساليب متعددة لعرض دعوته، لأنه يعلم التنوع القائم بين الناس في فهم ما يقوله لهم، بل كان ﷺ يتحين الفرص المناسبة لعرض دعوته، وما تتضمنه من قيم على الآخرين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»، فكان محمد ﷺ بحق قدوة في التربية المباشرة والمقصودة، ليبني جيلاً جديداً من الرواد، يعي مقومات الرسالة وأهدافها، فيحملها إلى الآفاق ويطبقها في الواقع، فتستمر عبر تتابع الزمن وتنوع المكان.

التأثير التربوي غير المباشر للقدوة:

كما تؤثر القدوة بشكل غير مباشر وعفوي، حيث يتوقف تأثير القدوة على مدى اتصاف من يُقتدى به، بصفات تدفع الآخرين على تقليده وإنتهاج سلوكه دون قصد، فمثلا الإنسان الذي يتفوق في العلم يدفع الآخرين إلى تقليده، واتباع نهجة في تحصيل العلم، وكذلك الإنسان الذي يتفوق في الأخلاق وهكذا، وهذا يعني أن من يرجو أن يكون قدوة للآخرين، لابد له أن يعمل بجد ليتفوق في مجال من مجالات الحياة، ولابد أن يراقب سلوكه ويعدله باستمرار، ويعلم أنه مسؤول أمام الله في كل ما يتبعه الناس به، أو يقلدونه فيه، وأن يطابق قوله فعله (علي، ٢٠٠٧).

وكما أن محمداً ﷺ قدوة مؤثرة بشكل مباشر، فهو قدوة مؤثرة بشكل عفوي وغير مباشر، فعندما نستعرض مواقف حياته ﷺ نجد أنها مليئة بالامثلة والنماذج الحية، التي تغري الإنسان بالاقتداء بها في حياته، وعلى سبيل المثال أنه كان قدوة في التخطيط والأخذ بالأسباب في هجرته، بالرغم من علمه بأن الله تعالى معه، يهديه ويحميه بدليل قوله لأبي بكر في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟».

إلا أنه أحكم التخطيط للهجرة، لعلمه بأن سلوكه تشريع وسنة يقتدي بها المسلمون من بعده، فعمل على تحديد وتأمين دار الهجرة، ثم جعل خبر رحلته سرا لا يعلمه الناس، وحدد رفيق الهجرة ولم يصرح له إلا قبيل الانطلاق، وأمَّن وسيلة السفر، وأستأجر الدليل وحدد طريق الرحلة، ثم شرع في الرحلة مع صاحبه، هذا هو محمد الذي يأتيه الخبر من السماء، إلا أنه لم يواجه الأمور بعفوية، وإنما بتخطيط واع ومحكم ولم يترك شيئاً للصدفة، ثم توكل على الله وشرع في هجرته (الأسمر، ٢٠٠٤).

كما أنه ﷺ كان نموذجاً وقدوة في بيته ومع زوجاته وأولاده، فكان محمد ﷺ جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف معهم، ويوسعهم نفقة ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق السيدة عائشة، وكان في خدمة أهله ورعايتهم، وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (رواه الترمذي)، وكان محمد ﷺ يقدر مشاعر المرأة ويتفهم غيرتها وطبيعتها، وتجلى ذلك في قوله: «غارت أمكم» (رواه البخاري)، كما كان ﷺ عادلاً في بيته ومع زوجاته في إحسانه إليهن وفي رعاية حقوقهن، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها» (رواه البخاري)، وكان ﷺ يغمر بيته بالبهجة، ويغمر أبناءه بعاطفة الرحمة والحب، والحنان والرعاية والشفقة، فكانت أجواء المحبة والمودة والسعادة تنتشر في أرجاء البيت النبوي، فما أعظمها من قدوة تبني البيوت القوية المتماسكة والمتحابة والمتآلفة والهادئة المطمئنة.

ثانياً: أسلوب التربية بالحوار:

مفهوم وأشكال الحوار التربوي:

الحوار كلمة تستوعب كل أنواع وأساليب التخاطب، سواء كانت منبعثة من خلاف بين المتحاورين أو عن غير خلاف، لأنها تعني المجاوبه والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب، وهو وليد تعاطف وتجاوب، ويكون الحوار بين أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم، لذلك كان الحوار أعم من الاختلاف والجدل، وصار للحوار معنى حضاري بعيد عن الصراع، إذ الحوار كلمة تتسع لكل معاني التخاطب

والاستفسار والسؤال والجواب، ويصبح الحوار تربوياً إذا التزم فيه المتحاورون بآداب الحوار، وكان الهدف هو الوصول إلى الحقيقة (العليان، ٢٠٠٤).

ويعد البحث عن المعنى والحجة والوصول إلى الصواب، هو الذي يحث المتحاورين على استمرارية الحوار، ويستمر الحوار إذا قام على الحكمة والتفاعل مع الآخر، وليس على فرض إرادة أحد الأطراف بالقوة، ومن ثم يسعى كل موقف حواري، إلى تحييد كل ما يبعد العقل عن التفكير السليم، ويجب أن يبدأ الحوار التربوي مستندا إلى قاعدة أن كل أطراف الحوار على حق، أو على الأقل التسليم بصحة ما يقوله كل طرف، ففي الحوار لا يتم السعي إلى الإستمالة والإقناع والإعتقاد في شئ بدون دليل أو إثبات، وإنما يكون الحوار من أجل شرح وتوضيح الأشياء المحيطة بالمتحاورين، فضلاً عن حرية تبادل الرأي ووجهات النظر بين المتحاورين (أبو الفضل وعبود والخطيب، ٢٠٠٨).

وورد مصطلح الحوار في القرآن الكريم ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَر فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ أَنَا أَكۡثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرا﴾(١)، وقوله تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَاب ثُمَّ مِن نُّطۡفَة ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلا﴾(٢)، وقوله تعالى:﴿ قَد سَمِعَ اللَّهُ قَولَ الَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعُ بَصِيرٌ ﴾(٣)، وفيما يأتي عرض لبعض المصطلحات وثيقة الصلة بمصطلح الحوار:

مصطلحات لها علاقة بالحوار التربوي:

يأخذ الحوار التربوي أشكالا متعددة وفقاً لخصائص الأطراف المتحاورة، فالحوار يمثل حديث بين طرفين أو أكثر، ويصبح الحوار موعظة إذا كان بين طرفين أحدهما عالم والآخر متعلم، ويصبح الحوار مناظرة إذا كانت الأطراف على نفس المستوى من الفكر، وكل طرف يعمل على الوصول إلى الحقيقة، ويصبح الحوار جدالا إذا تمسك كل طرف برأية، محاولا إفحام صاحبه وإلزامه برأيه، والجدل في اللغة يعني المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، مأخوذ من جدلت الحبل إذا فتلته، فإن

(١) سورة الكهف ، الآية ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٣٧.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١.

كل واحد من المتجادلين يحاول أن يفتل صاحبه، ويصبح الحوار مواجهة إذا كان الطرفان يحملان فكرين مختلفين، وهم كل طرف الغلبة والنصر (العمري والعمري، ٢٠٠٦).

كما يمكن أن يأخذ الحوار صورة المناقشة، التي تهدف إلى التوضيح وشرح الأفكار الغامضة وهي تقوم على الأخذ والرد بين طرفين أو أكثر، وهي من الأساليب التي تبعث على النشاط وتبعد الملل عن المتحاورين، وتجعلهم لا يأخذون ما يلقى عليهم كمسلمات لا تقبل الإستفسار والتوضيح، قيل لابن عباس رضي الله عنه: «بم نلت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول»، وقد يأخذ الحوار صورة المناظرة، وهي التفاوض بين نظراء في علم أو فن يتجادلون في بعض مسائله، أو هي حديث بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، وكانت المناظرة علماً للتدريس وأسلوباً للتثقيف وموضوعا للتعليم، وطريقا لإظهار الحق لأنها مبنية على المناصحة والحلم ونشر العلم (الفتياني، ٢٠٠٥).

عناصر الحوار التربوي:

يتضمن الحوار التربوي مجموعة من العناصر الأساسية، التي لا يمكن أن يحقق الحوار أهدافه بدونها، وهذه العناصر هي: أطراف الحوار، وموضوع الحوار، وبيئة الحوار، وفيما يلي توضيح كل عنصر من هذه العناصر (العمري، والعمري، ٢٠٠٦):

(١) أطراف الحوار التربوي:

لابد للحوار التربوي من أطراف، تقوم بعملية الحوار، كما أن أطراف الحوار ينبغي أن تتحلى ببعض الصفات فضلاً عن التمسك بآداب الحوار، ومن هذه الصفات الشعور بالمسؤولية: التي تجعل المتحاور لا يقول إلا حقا، ويعمل جاهدا من أجل إيصال الحق إلى الناس، والأمانة العلمية: التي تجعل المتحاور أمين في عرضه للأفكار والمعلومات وينسبها لأصحابها، والثقة بالنفس: التي تجعل المحاور هادئ في توصيل أفكاره، والرفق باللآخرين: عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «أن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيئ إلا شانه» (رواه مسلم).

ووضوح اللغة والتأني في العرض: لأنه يؤثر في المستمع ويساعد بدرجة أكبر على الفهم، والإنصات وعدم مقاطعة الآخر: وهو قيمة هامة ينبغي أن يتحلى بها أطراف الحوار، والابتعاد عن الغضب: وهو قيمة أخرى للحوار الهادئ المفيد، أن يبتعد أطراف الحوار عن الغضب لأنه يفسد الحوار ويقلل من المكاسب التي تنجم عنه، وقبول الحق: وهو أدب جم يرتبط بمقومات الحوار الهادف، ويستند إلى قبول الحق وعدم رده، والتسليم بالفكره التي تحقق أهداف الحوار.

(٢) موضوع الحوار التربوي:

لابد للحوار التربوي من موضوع يتم حوله تبادل الآراء، ويساعد في طرح الأفكار ووضوح الرؤية، وينبغي على المتحاورين أن يكونوا على وعي بموضوع الحوار وأبعاده، لأن الجهل بموضوع الحوار، يمكن أن يقود الحوار إلى مراء وخصومة وشك وسباب دون جدوى في الوصول إلى فائدة تذكر، ويحذر المولى سبحانه من الخوض في محاورات دون علم، فيقول تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡم فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، حيث يأخذ القرآن على هؤلاء الذين يتصدون للحوار والمحاججة دون علم.

(٣) بيئة الحوار التربوي:

تعد بيئة الحوار التربوي من الأهمية بمكان، في تحقيق أهداف الحوار البناء، حيث الهدوء والسكينة والثقة والمودة، واللين وعدم التعصب، وهي منطلقات إيجابية للحوار البناء، والقرآن في حواره مع الخصوم، لم يعط أحكاما مسبقة، بل اعتبر الشك في الفكرة موقفا مشتركا بين الطرفين، ليصل من خلال التفكر والنظر والبحث إلى النتيجة المنطقية الصحيحة، قال تعالى: ﴿... أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰل مُّبِين﴾[2]، والملاحظ في هذه الآية أن النبي ﷺ لم يعط نفسه صفة الهدى، كما لم يعط خصمه صفة الضلال، ليترك المجال للحوار أن يسير في حرية، وفي هدوء ليصل إلى النتيجة الصحيحة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٦.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

ثمرات الحوار التربوي في الإسلام:

يعد الحوار التربوي، ضرورة للتعايش والتفاهم والتعارف بين الناس، وهو بذلك يعد ضرورة حياة لأن الإنسان بطبعه كائن إجتماعي لا يستطيع أن يعيش، بدون التعارف والتفاهم مع الآخرين، وهو ما لا يحدث بدون وجود حوار تربوي هادئ، يتسم بآداب الحوار المختلفة، وإذا كان الخالق عز وجل حاور إبليس، فإن ذلك يشرع لضرورة الحوار بين الناس، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، لما لهذا الحوار من ثمرات متنوعة تربوية وثقافية وإجتماعية وفكرية وغيره، مما يبين الحقائق ويبصر الناس بها، ويساعدهم على الاهتداء إلى الطريق المستقيم، وفيما يلي توضيح لأهم ثمرات الحوار التربوي.

(١) بناء جيل متفتح يحترم الرأي الآخر ويقدر الاختلاف:

إن التربية الحوارية تبني جيلاً متفتحاً ومثقفاً، يحترم الرأي والرأي الآخر، لديه استعداد نفسي لقبول الرأي الآخر ومناقشته، يؤمن بحرية طرح الأفكار والتدليل على صوابها، ويقبل الحق عندما تلوح بوادره من الحوار، كما يسهم الحوار في بناء جيل مفكر واعٍ، قادر على استخدام الأدلة الصحيحة، وتوظيفها لخدمة الأراء والأفكار التي تفيد المجتمع، وتخدم القضية التي يتحاور بشأنها.

ولقد أرست المدرسة المحمدية، مفاهيم عظيمة للحوار الإيجابي والتأويل المنطقي، البعيد عن الأهواء والنظرة الضيقة، حيث كان الحوار عاملاً رئيسياً في الفهم والادراك لقضايا النص ومحتواه، وكان الاختلاف بينهم في فهم النصوص أمراً طبيعياً، وهؤلاء الصحابة الكرام، معدن اللغة العربية، وفهمهم حجة فيها، اختلفوا في فهم كلام النبي ﷺ وهو سيد الفصحاء والبلغاء، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب قال: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال آخرون بل نصلي، وذكر للنبي ﷺ فلم يعنف أحدا منهم» (رواه البخاري)، الأمر الذي يؤكد أهمية التربية الحوارية التي تهيئ الأفراد لتقبل الاختلاف ووجهات النظر المتعددة (العليان، ٢٠٠٤).

(٢) بناء جيل واثق من نفسه:

تغرس التربية الحوارية الثقة في جيل بكامله، إن الحوار التربوي الهادئ اللين، يعيد الثقة للأبناء أو الشباب، فيساعدهم على عدم الهروب من المواجهة، وإنما

عرض ما لديهم من أفكار والتعبير عن أنفسهم دون خوف أو خجل، والتحاور مع الآخرين حول أفكارهم، واكتساب الثقة في أنهم قادرين على طرح أفكارهم وإقناع الآخرين بها، أو تصحيحها بعقل مفتوح، انطلاقاً من قاعدة أن الحوار طريق للتعلم والتصحيح، فضلاً عن اكتساب الشجاعة أمام الآخرين، وعرض ما لديهم دون خوف أورهبة، وإنما في حالة اعتدال وثبات وثقة في النفس (العليوات، ١٩٩٣).

وكان المصطفى ﷺ يربي الصحابة وأبنائهم على الثقة في أنفسهم، وكان يشجع ﷺ النشئ على التعبير عن أنفسهم، ويتضح ذلك من قصة الطفل الذي لم يتجاوز عمره العاشرة الذي كان على يمين النبي ﷺ وكان على شماله كبار الصحابة، «والسنة المطهرة تقتضي أن يشرب من هو على اليمين أولا»، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال له: «هل تأذن لي أن أعطي من هو أسن منك أولا»، فقال الصغير: لا يا رسول الله والله لا أرضى أن يشرب بعدك أحد قبلي، فتبسم النبي ﷺ وأعطاه الإناء ليشرب منه قبل كبار الصحابة، وهذه هي التربية المحمدية التي تحترم الطفل وتجعل من حقه أن يعبر عن رأيه، وأن يقول ما يعتقد أنه صواب (العليان، ٢٠٠٤).

(٣) بناء جيل إيجابي قادر على المشاركة:

تتيح التربية الحوارية فرص متنوعة للتفاعل والمشاركة، لجميع أفراد المجتمع، الذين يهئ لهم الحوار فرص التعبير عن أنفسهم، فيتحررون من الخوف والتردد والتوجس، من الآخرين المختلفين عنهم، مما ينمي فيهم روح المنافسة والتفاعل والأمل، وحسن التعامل مع الآخرين، كما يساعدهم على الترجيح بين الآراء والتصحيح المستمر لأفكارهم ومعتقداتهم، ومن ثم بناء جيل إيجابي متفاعل، يشارك بإيجابية في حل مشكلات المجتمع.

(٤) تربية العقول على الاستدلال وحرية التفكير:

باستقراء الحوار التربوي في القرآن الكريم، يتبين أن الله تعالى حاور منكري البعث على لسان الرسل، ليتعلم المسلم أسس الاستدلال والرد على الشبهات وضحدها، وذلك من خلال بيان أن الشبهات التي أثيرت لا تستند إلى أدله عقلية، وفي الوقت ذاته يقدم الأدلة العقلية التي تبطل هذه الشبهات، فالقاعدة الأساسية هي أن التعلم لا يكون إلا لما فهم وتم الاقتناع به، وقد يفهم الإنسان أمراً يسمعه أو يقرؤه لكن فهمه له لا يعني أنه قد اقتنع به، وإذا كان الفهم سبيلاً إلى التعلم، فإن إقترانه بالاقتناع يزيد التعلم رسوخاً.

والشرط الجوهري للاقتناع، أن يكون المتعلم حراً في تفكيره، وآيات القرآن جميعها ناطقة صراحة بأنه لا إكراه في الدين، وأن الرسول ﷺ غير مكلف بشيء سوى التبليغ المبين والتذكير بآيات الذكر الحكيم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾[١]، وهل كان للرسول الكريم أن يقوم في قومه مقام الجبارين فيقتلهم أو يحرقهم لمجرد إعراضهم عن دينه بعد أن قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [٢]، وتشير كافة الشواهد مؤكدة أن القرآن الكريم كتاب هداية وإقناع، يعلم الإنسان عن طريق المناقشة والحوار والاستدلال (علي، ٢٠٠٠).

(٥) تربية الجيل الجديد على استخدام البرهان:

يعمل الحوار التربوي على تصحيح الأخطاء وتقويم المفاهيم المغلوطة، من خلال استخدام المتحاورين، للبرهان العقلي والأدلة الواضحة، حيث تؤكد التربية الحوارية، رفض الظن والتخمين، قال تعالى: ﴿... إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٣]، كما يسهم الحوار في تربية الأفراد على تقديم الدليل والبرهان، يقول تعالى: ﴿... قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٤]، وهي تربية حوارية إسلامية تعرف حدود العقل، دون أن تنقص من قدره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [٥].

(٦) تربية الجيل الجديد على التواضع وعدم الكبر:

الكبر والعجب خلق مرزول، يستنكره الناس، ويستوجب غضب الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٦]، وما أروع هذا الحوار الرمزي بين الجنة والنار حول المتكبرين، عن

---

(١) سورة الغاشية، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٦.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٨.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «احتجَّت الجنة والنار، فقالت النار فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنةُ فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضي الله بينهما: إنَّكِ الجنة رحمتي، أرحم بكِ من أشاء، وإنَّك النار عذابي، أُعذِب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها» (رواه مسلم).

ودار حوار بين مطرف بن الشخير والمهلب الذي كان ملكا، حيث راى الشخير المهلب وهو يتبختر في جبة خز، فقال: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال له المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك، أولك نطفة مذرة اي تعافها الناس، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة أي ما في الأمعاء، فمضى المهلب وترك مشيته تلك. وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا؟ قال: «أردت أن أدفع الكبر عن نفسي» (رواه الطبراني) (أيوب،١٩٨٥). وهي دعوة مستمرة للناس للبعد عن العجب والكبر، وتربية أنفسهم على التواضع، وإذا ألم بهم الكبر يدفعونه بالإيمان.

معايير الحوار التربوي في الإسلام:

إذا كان التنوع حقيقة واقعة بين الناس، فإن الاختلاف في الدين والدنيا، وفي الأفكار والمعتقدات، والأراء والاتجاهات والميول، سيبقى قائما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، الأمر الذي يجعل الحوار ضرورة حياة أقرتها الشريعة الإسلامية، للتقريب بين الإتجاهات المختلفة وإظهار الحق، والوصول إلى ما ينفع الناس في حدود ما شرع الله تعالى، وذلك من خلال مجموعة من المعايير والمبادئ السامية للحوار، وفيما يلي أهم هذه المعايير: (طنطاوي، ١٩٩٧) و(العليان، ٢٠٠٤) و(العلواني، ١٩٩٢).

(١) الصدق وتحري الحقيقة:

يؤكد القرآن الكريم في كل الحوارات، ضرورة وأهمية الصدق وتحري الحقيقة، ويتضح ذلك على سبيل المثال، في الحوار الذي دار بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون، وبدأ الحوار بسؤال من فرعون «قال: فمن ربكما يا موسى؟ قال: ربنا الذي أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى»، أي ربنا الذي وهب الوجود لكل موجود في

الصورة التي أوجده بها وفطره عليها، ثم هدى كل شئ إلى وظيفته التي خلقه لها، وثنى فرعون بسؤال آخر، «قال: فما بال القرون الأولى»، «قال: علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى»، ويستمر الحوار « قال: أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى؟» فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى، «قال: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى»، وقبل موسى عليه السلام تحدي فرعون، وأختار الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة.

وأعد كل فريق عدته ورأى موسى عليه السلام، أن يبذل للفريق الأخر النصيحة لعلهم يثوبون للهدى، «قال لهم: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من إفترى»، فلامست كلمات الصدق قلوب السحرة «فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى»، ويستمر الحوار ومعه التحدي «قالوا: يا موسى إما أن تلقي وإما نكون أول من ألقى»، وترك لهم موسى فرصة البدء، «فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى»، والتعبير يشير إلى أنهم جاءوا بسحر عظيم أدخل الخوف في نفس موسى عليه السلام، «قلنا: لاتخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى»، فيذكره الله عز وجل بأنه متصل بالقوة الكبرى، وهم يخدمون مخلوقا طاغية جبارا، «وألقى موسى.. ووقعت المفاجأة الكبرى، ويبدو وقع المفاجأة على السحرة الذين كانوا أحرص على الفوز لصالح فرعون، إلا أن نور الحق قد لامس قلوبهم.

ويأتيهم التهديد بالعذاب الذي يعتمد عليه الطغاة، ولكن قد فات الأوان، «قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا» فهي علينا أعز وأغلى والله جل شأنه أكبر وأعلى، «فأقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا» إفعل ما تريد فما أهون الحياة الدنيا، وما تملكه لنا من عذاب أيسر من أن يخشاه قلب يتصل بالله تعالى ويأمل في الحياة الخالدة، «إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى»، وكان موسى عليه السلام في الحوار صادقا، لا يريد سوى الحق والعدل، أما فرعون فكان يكابر بدون حجة أو دليل، وانتهى الحوار بينهما بانتصار الحق على الباطل، والصدق على الكذب والخير على الشر.

(٢) التزام العدل والموضوعية:

التزام الموضوعية يعني عدم الخروج عن الموضوع من ناحية، وفصل الذات عن الموضوع من ناحية أخرى، الأمر الذي يركز الحوار على الموضوع دون التفرع في قضايا جانبية، تؤدي إلى ضياع الحقيقة والبعد عن تحقيق هدف الحوار، وأنظر إلى حوار الأنبياء مع أقوامهم، وكيف كان ينطلق جوابهم من نفس كلام المحاورين لهم، فهذا نوح عليه السلام يحاور قومه، «قال الملأ من قومه أي من قوم نوح إنا لنراك في ضلال مبين»، فكان جوابه «قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون»، وهذا هود عليه السلام يقولون له «إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين»، فيجيبهم بقوله: «قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين».

ففي ظل فقدان العدالة والموضوعية، وغياب المعايير المنضبطة تصبح النظرة الجائرة والأحكام المسبقة، هي المقياس في التعامل مع الآخر، فالإسلام يقيم صرح الحوار على أسس أصيلة من العدل والموضوعية، التي تعطي للطرف الآخر حق الدفاع عن نفسه وعن رأيه وموقفه، ويتجلى ذلك في قصة الهدهد التي أوردها القرآن الكريم، فها هو الملك النبي سليمان عليه السلام في موكبه الفخم، ها هو يتفقد الطير فلا يجد الهدهد، وهو هدهد خاص ليس كأي هدهد، فيسال سليمان عنه: «ما لي لا أري الهدهد؟ أم كان من الغائبين؟»، ويتضح أنه غائب، ومن ثم نجد سليمان الملك يتهدد الجندي الغائب: «لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه»، وسليمان ملك ونبي عادل، فتبرز سمة العدل والنبوة فيه بقوله: «أو ليأتيني بسلطان مبين» أي حجة قوية توضح سبب غيابه.

ويحضر الهدهد ومعه مفاجأة: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيد فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢) إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَة تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْء وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيم (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ(٢٤) أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ(٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ(٢٦)﴾[1]، وأي ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له: «أحطت بما لم تحط به».

والهدهد المحاور هنا يدافع عن نفسه بكل موضوعية وحرية وشجاعة، وهو صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة عرض لما لديه من أدلة، فكان يدرك أن هذه ملكة وهؤلاء رعية، وأنهم يسجدون للشمس من دون الله تعالى، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء أي المخبوء في السماوات والأرض، وأنه رب العرش العظيم، ويلاحظ من الحوار أن الملك النبي سليمان يفسح المجال للهدهد ليقدم كل الأدلة، وأن يضعها موضع التحقيق والاختبار، وهكذا يربي القرآن الكريم الإنسان على الحوار الذي يستند إلى العدل والموضوعية، فلا يُهان الصغير ولا يُظلم الكبير.

(٣) تقديم الدليل والمنطق السليم:

يعد تقديم الدليل والبرهان واستخدام المنطق السليم، من أهم معايير الحوار الجيد في الإسلام، لأنه يعطي فرص متعددة للإقناع، ويقطع الطريق على الحجج الواهية، ويحكي القرآن الكريم الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام، وبين الملك الظالم الذي كان يعيش في عصره، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ...﴾[2] إن هذا المَلِك لم يكن منكرا لوجود الله إنما كان منكرا لوحدانيته في الألوهية والربوبية، ولتدبيره لما يجري في الكون، إن هذا الملك المنكر إنما ينكر للسبب الذي كان ينبغي من أجله أن يؤمن ويشكر، هذا السبب هو «أن آتاه الله الملك»، إلا أن المُلْك يُطغي ويبطر من لا يقدِرون نعم الله تعالى، ولا يدركون مصدر الإنعام، فيكفرون بدل أن يشكروا، ويضلون بالسبب الذي كان ينبغي أن يكونوا به مهتدين.

ويقدم إبراهيم عليه السلام، الدليل والبرهان على قدرة الله تعالى وتفرده بالملك، «إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت» وهي قدرة لا يشارك الله فيها أحد، إلا أن المَلِك رأى في كونه حاكما لقومه وقادرا على إنفاذ أمره فيهم، بالحياة والموت مظهرا من مظاهر الربوبية «قال: أنا أحيي وأميت»، ولم يسترسل إبراهيم في الجدل حول حقيقة منح الحياة وسلبها، وإنما «قال إبراهيم: فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٢-٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

فأت بها من المغرب»، وهنا يقدم إبراهيم دليل يمثل حقيقة كونية، تطالع الأنظار كل يوم، «فبهت الذي كفر»، أي غُلب وقُهر وتحير، وانقطع عن حجاجه ولم يستطع أن يتكلم، لأنه فوجئ بما لا يملك دفعه، فالتحدي قائم والأمر ظاهر والدليل واضح ولا سبيل لسوء الفهم، وكان التسليم أولى والإيمان أجدر، ولكن الكبر وعدم الرغبة في الحق وعدم تلمس الهداية، يغوي الإنسان ويجعله ظالماً لنفسه، «والله لا يهدي القوم الظالمين».

(٤) التحلي بأدب الاختلاف:

لعل من أخطر ما أصيبت به الأمة الإسلامية، من أمراض هو داء الاختلاف، وجاء الإسلام ليؤكد على «كلمة التوحيد» و«توحيد الكلمة»، فالأولى تدعو إلى الإيمان بالله إيمانا نقيا خاليا من كل شائبة، والثانية انعكاس عملي تام للأولى، فمن كان ربهم واحداً، ونبيهم واحداً وكتابهم واحداً، وقبلتهم واحدة وسبب خلقهم ومعاشهم واحداً ومصيرهم واحداً، لابد أن تكون كلمتهم واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[1]، وأكد الإسلام على آداب وأخلاقيات الحوار والاختلاف، وحذر من التنازع والتناحر، قال تعالى: ﴿ ... وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾[2].

والاختلاف بالرغم من خطورته والتحذير منه، إلا أنه آية من آيات الله عز وجل، الذي خلق الناس مختلفين في الألسنة والأفكار والتصورات والأحكام والألوان والمدارك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ... (١١٩)﴾[3]، الأمر الذي يجعل الاختلاف ظاهرة طبيعية بين البشر، بشرط ألا يتجاوز حدوده، وإذا التزم المختلفين أدب الاختلاف، وصلحت النوايا، يصبح الاختلاف ظاهرة إيجابية لها فوائد متعددة منها:

- يتيح الاختلاف فرص متنوعة للتعرف على جميع الاحتمالات المطروحة.
- يوفر الاختلاف فرص لرياضة الأذهان وتلاقح الأفكار وتعدد الاراء، وفتح مجالات للتفكير والعصف الذهني، وطرح الأدلة المناسبة.
- طرح بدائل متعددة أمام المتحاورين، للاهتداء إلى الحل المناسب.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

ولقد اختلف أئمة المسلمين، في كثير من الأمور الاجتهادية، كما اختلف الصحابة والتابعون قبلهم، وهم جميعا على الهدى، ما دام الاختلاف لم ينجم عن هوى أو شهوة أو رغبة في الشقاق، فقد كان الواحد منهم يبذل جهده، ولا هدف له إلا إصابة الحق وإرضاء الله تعالى، ويتجلى أدب الاختلاف بين نبي الله داود وابنه سليمان عليهما السلام، وينتهي نسبهما إلى يعقوب عليه السلام، وكانت وفاتهما قبل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بألف عام تقريباً، وجمع الله تعالى لداود وسليمان بين الملك والنبوة، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (٧٩)﴾[1].

وذكر المفسرون لهاتين الآيتين السابقتين، أن رجلين دخلا على داود عليه السلام، أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: يا نبي الله إن غنم هذا قد نفشت في زرعي فأكلته عن آخره، وإني أريد حكمك وقضائك، فحكم داود بأن يأخذ صاحب الزرع غنم خصمه في مقابل إتلافها، وعند خروجهما إلتقيا سليمان عليه السلام، فأخبراه بحكم أبيه، فقال لهما: لو كان الأمر بيدي لحكمت بغير ذلك، ثم دخل بهما على أبيه فقال له: يا نبي الله هل قضيت لهذين بكذا وكذا، فقال له: نعم، فقال لو كان الأمر بيدي لقضيت بغير هذا، فقال له أبوه داود عليهما السلام: بماذا تقضي في هذه المسألة يا سليمان؟.

فقال سليمان: أقضي بأن أعطي الغنم لصاحب الزرع لينتفع بها، وآمر صاحب الغنم أن يعيد زراعة ما أفسدته غنمه، فإذا عاد الزرع كما كان، سلمته لصاحبه وسلمت الغنم لصاحبها، فقال داود: القضاء هو ما قضيت يا سليمان، وهذه هي عظمة الأنبياء التي تفيض نفوسهم ذكاء ونورا، فعندما تبين لداود عليه السلام الحق، على الفور رضي بقضاء ابنه سليمان، ورجع عن حكمه لحكم ابنه، حيث إطمأن إلى سلامة حكم ابنه، وأشار القرآن إلى هذا بقول الله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾، ويلاحظ أن حكم داود عليه السلام إتجه إلى تعويض صاحب الحرث وهذا عدل، أما سليمان عليه السلام فقد إتجه إلى العدل والبناء والتعمير معا، وجعل العدل دافعاً للبناء والتعمير، وكلاهما لم

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨-٧٩.

يخطئ بدليل قول الله عز وجل: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡما وَعِلۡماۚ﴾، وفي هذا الحوار التربوي الأبوي السابق، يتجلى أدب الاختلاف والبحث عن الأصلح للإنسان، والتنازل عن الرأي ما دام يخدم الحق وفي صالح العدل.

وهذه صورة أخرى مشرقة، من أدب الاختلاف بين صحابة رسول الله ﷺ، دخل «ضرار الصدائي» على «معاوية بن أبي سفيان» رضي الله عنه فقال له: يا ضرار صف لي عليا بن أبي طالب، قال ضرار: اعفني يا أمير المؤمنين، قال معاوية: لتصفنه، قال ضرار: أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة أي الدمعة، طويل الفكرة، يُعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خشِن، وكان فينا كأحدنا، يُجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له.

كان يُعظم أهل الدين ويُقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم أي الملدوغ، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري..إليَّ تعرضت أم إليّ تشوقت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير.. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق، فبكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حُزنك عليه يا ضرار؟ قال ضرار: حزن من ذُبح ولدها وهو في حجرها، ما أروع صحابة رسول الله ﷺ فيما اتفقوا فيه وفيما اختلفوا فيه.

آداب الحوار التربوي الإسلامي:

يستند الحوار التربوي إلى آداب متنوعة، لابد من مراعاتها بين المتحاورين، من أجل سلامة الحوار ونجاحه، وللوصول منه إلى الغاية التربوية المنشودة التي ينتظرها الجميع، ومن أسباب فشل الحوار عدم التقيد بآدابه ومضامينه أسلوبا وممارسة، وذلك نتيجة للنقص في فهم موضوع الإختلاف، ومشروعيته الثابته في القرآن الكريم والسنة بالنسبة للمسلمين إلى جانب سوء الظن بالاخر، والأفكار المسبقة عند كل

طرف من أطراف الحوار، وفيما يلي توضيح لأهم آداب الحوار التربوي في الإسلام: (العليان، ٢٠٠٤) و(المويل، ٢٠٠٠) و(أبو لحية، ٢٠٠٦).

(١) الهدوء والبعد عن الانفعال:

يعد الهدوء وعدم الانفعال أحد أهم آداب الحوار التربوي الإسلامي، فالحق يبلغ ويصل إلى العقول كالنسيم العليل لا كالريح العاصف، وتجلى هذا الهدوء في دعوة الأنبياء وحوارهم مع أبنائهم أو آبائهم أو أقوامهم، فهذا نبي الله نوح عليه السلام، ينادي ابنه في هدوء ويقول له: ﴿...يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[١]، وهذا نبي الله إبراهيم يحاور أباه في هدوء تام، قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (٤٣)﴾[٢].

(٢) حسن الخطاب واحترام الرأي الآخر:

احترام الرأي الآخر مهما كان، وعدم التقليل منه، والتزام القول الحسن وتجنب تحقير الرأي الآخر، لأنه يفسد الحوار، وإنما استخدام اللين وحسن الخطاب، وهو ما أكده القرآن الكريم في كثير من الآيات، إن هذا الأدب في الحوار هو الذي يرقي بالحوار إلى أن يكون حوارا تربويا، له أثره في بلورة معطيات وأسس ناجعة، لحوار يتسم بالانفتاح والقبول لدى جميع الأطراف المتحاورة، ويتضح أسلوب اللين وحسن الخطاب، أثناء الحوار في الصبر والحلم والتودد، والنصح والهدوء والعدل والرفق، في غير غلو ولا عناد، ولا تعصب ولا تشدد، ولا تكبر ولا تطاول.

ويعرض القرآن الكريم نماذج تبين هذا الأدب في الحوار التربوي، الذي دار بين نبي الله إبراهيم عليه السلام وبين أبيه، يقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا (٤١) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (٤٣)

(١) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٤٢-٤٣.

يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

انظر لهذا الحوار التربوي الوارد في الآيات السابقة، وما فيه من أدب ولطف ولين وتودد من إبراهيم عليه السلام لأبيه، وهو يحاول أن يهديه إلى عبادة الله عز وجل، إلا أن هذا الحوار الرقيق وهذه الدعوة الحانية، لم تصل إلى قلب أبيه، الذي قابله بالاستنكار والتهديد والوعيد، ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾[2]، بهذه القسوة قابل الأب إبنه، ولم يغضب إبراهيم الحليم ولم يفقد بره وأدبه وعطفه مع أبيه، بل ودع أبيه بسلام مقرون بالاستغفار: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[3]، واعتزل إبراهيم أباه وقومه وعبادتهم وآلهتهم وهجر أهله ودياره، ولم يتركه الله وحيداً، بل وهب له ذرية وعوضه خيرا، ويضرب إبراهيم عليه السلام في هذا الحوار، المثل والقدوة في حسن الخطاب واللين والأدب الجم، واحترام الرأي الآخر ولو كان خاطئاً.

(٣) احترام وتقدير الآخر نفسه:

ياتي من بين آداب الحوار بالإضافة إلى احترام الرأي الآخر، احترام الآخر نفسه وتقديره، فإن مراعاة الخصم وعدم إسقاطه أو تجاهله أو الاستعلاء عليه، أو التحقير من شأنه، سوف يعزز مفاهيم الحوار، ويرتبط بهذا تقبل الاختلاف مع الآخر، على أساس أن الاختلاف من منظور الإسلام، هو آية من آيات الله الدالة على قدرته وحكمته، التي قضت وجود هذا الاختلاف والتباين والتنوع بين البشر، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾[4].

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١-٤٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٤٧-٤٨.

(٤) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٤) الإلتزام بوقت الحوار:

يعد الإلتزام بالوقت من أهم آداب الحوار التربوي، حتى تتاح الفرصة لجميع المتحاورين بقدر متساو في عرض آرائهم وأفكارهم، أما عدم احترام الوقت فيخل بآداب الحوار، حيث يستأثر بعض المحاورين بالوقت لنفسه لأسباب منها إعجابه بنفسه وقدراته، فيتوسع في الشرح معدداً مناقبه وخبراته، أو لأنه يحب الشهرة والثناء، ويترصد نظرات الحضور وملامحهم لعله يجد التقدير والثناء، أو لأنه يعتقد أنه يأتي بجديد لم يطلع عليه الحضور، فيزداد نشوة في التحدث، وفي الإستئثار بوقت الآخرين، وعدم الالتزام بالوقت المحدد من المحاور، سلبية تفسد الحوار وتقلل من آثاره التربوية، وفيه عدم مراعاة لمن يحاورهم ويجلس معهم، وربما كانوا أعلم منه وأكثر قدرة على الحديث والبيان منه، الأمر الذي يؤكد ضرورة التزام المتحاورين بأدب احترام الوقت.

(٥) حسن الإنصات وعدم المقاطعة:

إن حسن الاستماع والإنصات للآخر، ضرورة لإثراء الحوار التربوي، فمن أدب الحوار عندما يتحدث طرف، أن يستمع الطرف الآخر بإنصات وتركيز وعدم انشغال، ويستمر في الإنصات حتى يفرغ الآخر من حديثه، بمعنى ألا يقاطعه وإنما يعطيه الفرصة كاملة لعرض وجهة نظره، فالقدرة على الاستماع والإنصات الواعي، هي الأداة الرئيسة للوصول إلى تفاهم وتواصل مثمر بين المتحاورين.

أساليب الحوار التربوي في الإسلام:

يشكل الحوار التربوي في الإسلام، محوراً أساسياً في أبنيته ومضامينه، وممارساته نظريا وعمليا، حيث اهتم الإسلام بالحوار التربوي اهتماماً كبيراً، وكانت بداية الدعوة للحوار من القرآن الكريم، في توجيه من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ في آيات كثيرة، تضمنت حوارات الخالق سبحانه مع خلقه، ومع أنبيائه، وحوارات الأنبياء مع أقوامهم، بالحكمة وألين العبارات في الدعوة، كقول الله تعالى: ﴿ ... تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ...﴾[١]، وكان الحوار النبوي يستند إلى العدل والانصاف والقبول بالاختلاف، لذلك كان الإسلام له السبق في الحوار مع الآخر والانفتاح عليه،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

ولم يكن هذا الحوار إطراريا أو برجماتيا، وإنما مشروعيته ثابته بنصوص القرآن الكريم، وأحاديث المصطفى ﷺ. (العليان، ٢٠٠٤).

أسلوب الحوار التربوي في القرآن الكريم:

جاء الحوار في القرآن الكريم مع كل المخلوقات، فلم يقتصر على مجموعة دون أخرى أو على مخلوق دون آخر، حيث جرت حوارات بين الله عز وجل وبين الملائكة، وبين الله عز وجل وبين السماوات والأرض، بل وبين الله تعالى وبين إبليس، كما جرت حوارات بين الأنبياء وأقوامهم، بهدف معرفة الحقيقة وإظهار الحق، واستندت هذه الحوارات على المنهج الواقعي، الذي يبين كافة شؤون العقيدة بالحجة والبرهان، وفيما يلي عرض لبعض نماذج الحوار التي جاءت في القرآن الكريم (العليان، ٢٠٠٤):

(١) حوار الله عز وجل مع إبليس:

يؤكد القرآن الكريم أهمية الحوار حتى مع الأعداء، وعلى الرغم من علم الله عز وجل بمعصية إبليس قبل أن يقوم بها، إلا أن حكمة الله عز وجل في الاختبار والاختيار في أن يسلك الخلق بحريتهم، ويحاورهم فيما ساروا عليه سواء كان صوابا أو خطأ، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، وهذا هو عدل الله في خلقه ورحمته التي وسعت كل شئ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴿٣١﴾﴾[1]، وإبليس خلق آخر غير الملائكة، فهو من نار وهم من نور، وهنا يفسح المولى عز وجل، لإبليس المجال لكي يتكلم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [2].

وهذا يبين قيمة وأهمية الحوار، وضرورة إعطاء الطرف الآخر الفرصة الكاملة لإبداء وجهة نظره، «قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون»، وهنا تظهر طبيعة الغرور والعصيان في إبليس، وهنا يأتي الرد من الله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴿٣٥﴾﴾[3]، وعندئذ تتبدي طبيعة الشر في إبليس، لينتقم من آدم وزريته، فيربط لعنة الله له بآدم، ولا يربطها

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٨-٣١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤-٣٥.

بعصيانه لله تعالى، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ(٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ(٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ(٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ(٤١) إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ(٤٢)﴾[١].

(٢) حوار شعيب عليه السلام مع قومه:

كان نبي الله شعيب عليه السلام، أحد الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وترك عبادة الشجرة التي عبدوها من دون الله عز وجل، ومع الدعوة إلى عقيدة التوحيد قضية أخرى هي قضية الأمانة والعدالة في التعامل بين الناس، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٨٥) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦)﴾[٢]، ويدور الحوار هنا حول قضية أساسية ترتبط أشد الارتباط بالعقيدة ألا وهي المعاملات.

فقد كان أهل مدين وبلادهم تقع في الطريق بين الحجاز والشام، ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس أشياءهم، مما يشيع في نفوس الناس مشاعر الألم والحقد واليأس، وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد كما تمس المروءة والشرف، كما كانوا بحكم موقعهم يقطعون الطريق على القوافل ويفرضون عليها ما يشاءون من المعاملات الجائرة، ثم يخلِي شعيب عليه السلام بينهم وبين الله تعالى، ويقول لهم: «وما أنا عليكم بحفيظ»، وهو أسلوب يشعر المتحاورين بخطورة الأمر، إلا أنهم لم يتعظوا، بل ردوا عليه بالتهكم والسخرية: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[٣].

ويعرض شعيب عليه السلام عن هذه السخرية، ويتلطف ويتودد ويذكرهم بأواصر القرابة، ويوضح لهم أنه على ثقة مما يقول وأنه لا يبغي كسب شخصي، وإنما

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٣٦-٤٢.

(٢) سورة هود، الآيات: ٨٤-٨٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٧.

هي دعوة الإصلاح العامة، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [(١)]، ويزيد معهم في التلطف واللين ويذكرهم بمصارع قوم نوح وهود وصالح ولوط، ويقول عليه السلام لقومه، لا يحملنكم العناد على أن تستمروا في الكذب، حتى لا يصيبكم ما أصاب الأقوام السابقة، وهي ليست عنكم ببعيد، ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾[(٢)].

وهم في مواجهة العذاب والهلاك يفتح لهم شعيب عليه السلام باب المغفرة والرحمة،﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾[(٣)]، وهكذا يطوف بهم شعيب عليه السلام من خلال الحوار الهادئ في مجالات العظة والتذكرة والخوف والطمع لعل قلوبهم تلين، لكنهم كانوا ضيقو الصدور بالحق،﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ (٩١) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ (٩٢)﴾[(٤)].

وهنا تبدو صورة النفوس الخالية من العقيدة والقيم الرفيعة، التي تنحاز إلى مصالحها القريبة والقيم الوضيعة، فلا ترى حرمة لعقيدة ولا لدعوة ولا لحق، ولا تتحرج عن البطش بالداعي إلا أن تكون له عصبة تحميه، وهنا يخلي شعيب عليه السلام بينهم وبين الله تعالى وينذرهم العذاب الذي ينتظرهم، ﴿وَيَٰقَومِ اعمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُم إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوفَ تَعلَمُونَ مَن يَأتِيهِ عَذَاب يُخزِيهِ وَمَن هُوَ كَٰذِبٞۖ وَارتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُم رَقِيب وَلَمَّا جَاءَ أَمرُنَا نَجَّينَا شُعَيبا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحمَة مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ فَأَصبَحُوا فِي دِيَٰرِهِم جَٰثِمِينَ كَأَن لَّم يَغنَوا فِيهَآۗ أَلَا بُعدا لِّمَديَنَ كَمَا بَعِدَت ثَمُودُ﴾[(٥)].

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٩.

(٣) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٤) سورة هود، الآيتان: ٩١-٩٢.

(٥) سورة هود، الآيات: ٩٣-٩٥.

أسلوب الحوار التربوي في السنة النبوية:

لقد استقت السنة النبوية، مشروعية الحوار وآدابه من القرآن الكريم، الذي أنزله الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ، فكان القرآن الكريم هو المرجع والمعين لكل ما جاءت به السنة المطهرة، وهناك الكثير من الآيات التي خاطبت الرسول ﷺ، وأمرته بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن مع أهل الكتاب وغيرهم من المشركين، قال تعالى: ﴿... وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ...﴾(١)، وفيما يلي عرض لبعض النماذج التربوية من الحوار النبوي:

(١) حوار مع رجل من أهل الجنة:

روى البخاري أن الرسول ﷺ جلس في أحد الأيام في مسجده بالمدينة، وكان معه الصحابة رضوان الله عليهم، فأتاه رجل من البادية يقال له ثعلبة، فقال وهو يتخطى الصفوف: أين ابن عبد المطلب «يعني رسول الله»، فقالوا: هو ذاك الأمهق الأبيض، فقال: يا ابن عبد المطلب، قال: ﷺ أجبتك، قال: إني أسألك فمشدد عليك في المسألة، قال ﷺ: سل ما بدا لك، قال: يا رسول الله من رفع السماء؟، قال ﷺ: الله، قال: من بسط الأرض؟، قال ﷺ: الله، قال من نصب الجبال؟، قال ﷺ: الله تعالى.

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أرسلك لنا رسولا؟، فتربع ﷺ وقال: اللهم نعم، قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك بأن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟، قال ﷺ: اللهم نعم، قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك أن تأخذ صدقة من أغنيائنا فتردها على فقرائنا؟، قال ﷺ: اللهم نعم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص، فقال ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» (القرني، ٢٠٠٠).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) حوار حول تكاليف الإسلام:

دار حوار بين النبي ﷺ وأحد أعضاء وفد ثقيف بعد إسلامهم، يسمى كنانة بن عبد ليل فقال للرسول ﷺ: أفرأيت الزنى فإنا قوم نغترب ولابد لنا منه قال ﷺ: هو عليكم حرام فإن الله يقول: ﴿ وَلَا تَقرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَة وَسَاءَ سَبِيلا ﴾[١]، قال: أفرأيت الربا، فإنه أموالنا كلها، قال ﷺ: لكم رؤوس أموالكم إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٢]، قال: أفرأيت الخمر إنه عصير أرضنا لابد لنا منها، قال ﷺ: إن الله قد حرمها فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡس مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٣].

قال ابن إسحاق: وسألوه أيضا أن يضع عنهم الصلاة، فقال ﷺ: لا خير في دين بلا صلاة، فخلا بعضهم إلى بعض يتشاورون في الأمر، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ وخضعوا لذلك كله، ولكنهم سألوه أن يدع لهم وثنهم الذي كانوا يعبدونه (اللات) ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى رسول الله ﷺ ذلك، فما برحوا يسألونه سنة فأبى، حتى سألوه شهرا فأبى أن يدعها إلى أي أجل، قال ابن إسحاق: وإنما أرادوا بذلك أن يتخلصوا من أذى سفهائهم، وكراهية منهم أن يردعوا قومهم بهدمها حتى يدخل الإسلام قلوبهم، فقالوا لرسول الله ﷺ فتول أنت إذا هدمها، فأما نحن لا نهدمها أبدا، فقال ﷺ لهم: فسأبعث لكم من يكفيكم ذلك، ثم إستأذنوا رسول الله ﷺ فأذن لهم وأكرمهم وحياهم، وأمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص، لما رأى من حرصه على الإسلام (البوطي، ١٩٨٠).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

ثالثاً: أسلوب التربية بالقصة:

مقدمة:

تتميز القصة بسحر خلاب يأخذ الألباب ويؤثر النفوس، فالقصة مقروءة أو مسموعة أو مشاهدة، تأخذ الإنسان بصورها وأحداثها وشخصياتها ونتائجها، فيتفاعل معها ويعيش مواقفها، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة، فيتأثر بالقصة من خلال المشاركة الوجدانية، حيث يضفي الفن القصصي على أشخاص القصة، حياة وحركة فيصبحون أحياء ويشاركهم وجدانياً، في الأحداث والانفعالات، فيفرح لهم أو يحزن ويحنق عليهم أو يتشفى فيهم، كما يتأثر بالقصة بدون وعي كامل منه، حيث يضع قارئ القصة أو سامعها نفسه، في موضع أشخاص القصة، ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينه وبينهم، فإن كانوا في موقف البطولة والرفعة والتميز، تمنى لو كان مكانهم ويصنع مثل صنيعهم، وإن كانوا في موقف يثير الازدراء والكراهية حمد لنفسه أنه ليس كذلك، ومن ثم يحدث تأثر ذاتي إلى جانب المشاركة الوجدانية، وهذا الميل والاندماج والمشاركة في أحداث القصة، هو ميل إنساني فطري إلى القصة، يجعل للقصة سحر على القلوب، وتأثير على الأفكار والسلوك، الأمر الذي يجعل من القصة أحد أهم أساليب التربية الإسلامية.

وكانت القصة القرآنية، واحدة من الأساليب التربوية المضيئة، التي سلكها هذا الكتاب الكريم في إيصال الدين القيم إلى النفوس، لتنعكس آثار الاستمساك به على الحياة بكل ميادينها، وأخذت القصة دورها البارز في التمهيد لبناء الإنسان على الوجه المرضِ، والحجم الذي أخذه القصص القرآني في الكتاب الكريم، دليل عظمة الهدف الذي كانت من أجله هذه القصص، حيث الدروس والعظات والحِكَم الغاليات، وحيث المقارنة والمقايسة، والعبر التي لا يستغني عنها رواد الحقيقة، فضلاً عن تثبيت فؤاد النبي في مواجهة الصعاب، حيث عملت هذه القصص، على نقل وبدقة تجارب الأمم وحصاد القرون، والآثار التي ترتبت على الإيمان أو الكفر، برسالات الرسل عليهم السلام، وما كان من سنن الله تعالى، التي لا تتبدل في الثواب لمن أحسن، والجزاء العادل لمن أساء (البطايحة، ٢٠٠٠).

ويدرك الإسلام أهمية القصة، وميل الإنسان الفطري لها، فاستخدم كل أنواع القصة، كالقصة التاريخية الواقعية المقصودة بأشخاصها وحوادثها، وتتمثل في كل

قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسالات، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج، مثل قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ(٢٧) لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِط يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ(٢٨) إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ(٢٩) فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ(٣٠)﴾[1].

والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وفي أية عصر، مثل قصة صاحب الجنتين، قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰب وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡل وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعا(٣٢) كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرا(٣٣) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَر فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرا(٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِم لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدا(٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَة وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرا مِّنۡهَا مُنقَلَبا(٣٦) قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَاب ثُمَّ مِن نُّطۡفَة ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلا(٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدا(٣٨)﴾[2].

ويأتي القصص النبوي مكملا وشارحا للقصص القرآني، فقد أُمر محمد ﷺ بأن يقص على الناس من القصص، لعلهم يتفكرون فيتأسوا بالصالحين ويبتعدوا عن الفاسقين، قال تعالى: ﴿... فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وعليه فإن الإسلام استخدم الأسلوب القصصي سواء في القرآن الكريم، أو في السنة النبوية الشريفة، بهدف التربية وبناء الإنسان المسلم، من خلال رؤية الحوادث ومعايشتها والتأثر بما فيها من ترغيب أو ترهيب، والتفكر في نتائجها، حتى يسلك وفق منهج الله عز وجل، وهي الغاية التي أنزل الله تعالى من أجلها القرآن الكريم، وأرسل من أجلها الرسل وخاتمهم المصطفى ﷺ.

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٢-٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

معنى القصة في الإسلام:

ورد في مختار الصحاح «قص» بمعنى «تتبع» قصا أو قصصا، يقال فلان يقص أثر فلان أي يتبعه، فأطلق على الكلام الذي يتبع بعضه بعضا (الرازي،١٩٩٧)، ومنه قول الله تعالى: ﴿... فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصا﴾[١]، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر بمعنى يتتبعانه، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[٢]، والأمر هنا لأخت موسى عليه السلام أن تتبع أثر أخيها موسى، بعد أن قذفته في التابوت في النهر.

القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

إن القصص في القرآن الكريم وصحيح الحديث، صدق كله وحق كله، فهو يحكي أخبار وقعت بالفعل، ليس فيها نقص ولا زيادة، يقول تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ ...﴾[٣]، وقال جل شانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ...﴾[٤]، ولا يكون القصص حقاً إلا إذا قصه القاص كما وقع، وعندما يدرك الإنسان أن ما يتلى عليه من قصص القرآن أو من القصص النبوي، كله حق وصدق، فسيكون له أثر عظيم في تربيتهم، وتقويم نفوسهم وتهذيب طباعهم (الأشقر، ١٩٩٩).

ويقدم القصص القرآني صورة تربوية حية لأحداث تاريخية واقعية، تبين سير الأنبياء والصالحين، وصبر المجاهدين الذين قدموا نماذج واقعية بسلوكهم الإيماني، الذي تمثل في البذل والتضحية بأموالهم وأنفسهم، من أجل هداية الناس ودعوتهم إلى الله عز وجل، كما يقدم القصص القرآني القدوة والمثل والنموذج الذي يحتذى، في واقعية بشرية تربي النفوس على الإيمان والاستقامة، وترجمة مبادئ الإسلام وشرائعة إلى واقع حياتي، يعيشه الإنسان بعمله وسلوكه، فضلاً عن تقديم صورة شاملة لمتطلبات تربية النفوس وتزكيتها، من إعداد ومتابعة وجهود وتدرج وصبر وعلاج، وتمثل ذلك في قصص القرآن الكريم، التي بينت مدى الصبر والمجاهدة والمعاناة، التي تحملها الأنبياء والرسل والصالحين في بناء النفوس، القادرة على حمل

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ١١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

رسالة السماء والنهوض بتكاليفها، لإقامة المجتمع الإنساني على شرع الله عز وجل.

كما جاء القصص في القرآن الكريم، ليعرض على الإنسان في كل مكان، صورة تربوية حية لعناية الله تعالى بالمؤمنين، وتربيتهم على الشعور الحي بوجود الله تعالى، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿...وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [1]، تحت عين فرعون وفي متناول يده ولكنه لا يمتد إليك بشر، لأني ألقيت عليك محبة مني، ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني، فكانت رعاية الله تعالى عبرة وأعجوبه، من أعاجيب تقدير الله وحمايته لعباده المؤمنين المصطفين الأخيار (النحلاوي، ٢٠٠٦).

كما تقدم القصة في القرآن الكريم، للإنسان صورة تربوية حية نظيفة صادقة عن الحياة، لا تقف عند واقعية الشخصيات الإنسانية التي تحفل بها القصص فحسب، وإنما تتجلى كذلك في واقعية الأحداث، والسرد والعرض والزمان والمكان، فكل حركة وكل خالجة وكل كلمة في القصة، تجئ في أوانها وفي مكانها لتصف الأحداث بشكل واقعي ولتعبر عن معاني القصة المطلوب إيصالها للناس ليأخذوا منها العبرة وليتأسوا بها في حياتهم.

الأبعاد التربوية للقصة في القرآن الكريم:

يستخدم القرآن الكريم القصة للتربية الشاملة والمتكاملة للإنسان، من جميع الجوانب الروحية والنفسية والعقلية والجسمية والاجتماعية والأخلاقية والجمالية والإنفعالية، مستخدما كل أنواع التعبير الفني، من حوار وسرد وتنغيم موسيقي وشخصيات، ودقة في رسم الملامح، واختيار الوقت المناسب والفرصة المواتية في القصة، لتقديم القيمة وتوجيه القلب للعبرة والموعظة، وهكذا تلتقي مطالب الفن القصصي ومطالب التصور الإيماني، دون تعارض ولا نزاع، ويستفيد الإسلام بالقصة في التربية دون أن يخرج عن أهدافه الأصيلة أو يجانب الحق أو يحول الفن إلى خطب وعظية سطحية التأثير.

وتتضمن القصة في القرآن الكريم أبعاداً تربوية متعددة، فالقصة أسلوب من أساليب القرآن في التربية والتوجيه، والدعوة إلى منهج الله عز وجل، وفيما يلي توضيح لأهم الأبعاد التربوية للقصة في القرآن الكريم:

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.

(١) التربية العقدية في القصة القرآنية:

تعد القصة أسلوباً تربوياً من أساليب القرآن الكريم، فجاء الأدب القصصي في القرآن الكريم، متبنياً قضية العقيدة وتوحيد الله عز وجل، كأحد الأبعاد التربوية لبناء الإنسان المسلم، انطلاقاً من أن عقيدة التوحيد، تمثل القضية الأهم في القصص القرآني، ومن ثم استخدمت القصة في القرآن الكريم، استخداماً واسعاً لتعميق العقيدة في النفوس وتبصير العقول بها، وانتهج القرآن الكريم لتوصيل هذه العقيدة بأسسها الكبرى، الألوهية والرسالة واليوم الآخر، أحسن الطرق إمتاعا للعاطفة وإقناعا لِلعقل، حيث ركزت القصة القرآنية في مقام الألوهية على وحدانية الله تعالى، وعدله وقدرته وحكمته ورحمته، فضلاً عن تأكيد قيمة الإيمان بالله عز وجل، وتأكيد حاكميته سبحانه، يستوي في ذلك قصص الأنبياء، وقصص المؤمنين الذين ابتلوا فصبروا حتى جاءهم النصر، أو قدموا أنفسهم شهداء للحق.

ومن هذه القصص التي تربي الإنسان على عقيدة التوحيد، قصة نوح عليه السلام، وهو أول رسول يحذر من الشرك، وعبادة غير الله عز وجل، فكانت أمته أول الأمم المشركة على وجه الأرض، حيث مكث البشر بعد آدم عليه السلام، قروناً طويلة على الهدى، وكان يوجد في قوم نوح أناس صالحون، وبعد موتهم حزنوا عليهم حزناً شديداً، فجاءهم الشيطان وأمرهم أن يصوروا تماثيلهم، ليتذكروا بها أحوالهم ويقربوهم من الله تعالى، وبمرور الزمن جاء أناس يجهلون حقيقة هذه الأصنام، فقال لهم الشيطان إن هؤلاء الأصنام ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، قد كان الناس من قبلكم يدعونهم ويستشفون بهم، وبهم يسقون الغيث وتزول الأمراض، فلم يزل الشيطان بهم حتى جعلهم يعبدونها من دون الله، وهنا بعث الله تعالى، نوح عليه السلام إلى قومه، ليخلصهم من عبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِير مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيم (٢٦)﴾[(١)].

(٢) التربية الأخلاقية في القصة القرآنية:

لقد جاءت القصة في القرآن الكريم، نابضة بالحياة والحركة ومعبرة عن أخلاق المؤمن، وهي تحث بشكل مباشر أو غير مباشر الإنسان، على الاقتداء بمكارم

(١) سورة هود، الآيتان: ٢٥-٢٦.

الأخلاق والابتعاد عن الرذائل والفساد، حيث يعرض القرآن الكريم من خلال القصص المتنوعة، ضرورة تبني الصدق والأمانة والإخلاص والعدل والتواضع والرحمة، ويحذر من الفواحش بأنواعها، ومن القصص التي تربي الناس على مكارم الأخلاق، قصة لوط عليه السلام، الذي جاء ليخرج قومه من درك الفاحشة، ويعلمهم العفة والفضيلة ومكارم الأخلاق.

ونبي الله لوط عليه السلام، هو لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو أول من صدق بإبراهيم لما جعلت النار عليه بردا وسلاماً، حيث كان أهل مدينة سدوم بالأردن من أفجر الناس وأكفرهم، وكانوا ذوي أخلاق فاسدة ونوايا سيئة، لا يتعففون عن معصية ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانوا يقطعون الطريق ويخونون الرفيق، وكانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء، وجاء لوط عليه السلام يدعو قومه إلى الإيمان، وخوفهم عذاب الله عز وجل، وحثهم على ترك ما هم عليه من المعاصي والمنكرات، قال تعالى:﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٢٦)وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(١٢٧)﴾ [1]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)﴾ [2]، ومرت السنون ولوط عليه السلام يدعوهم إلى الله تعالى، وإلى مكارم الأخلاق، وتأبى قلوبهم ونفوسهم إلا أن تظل على الفواحش (جاب الله، ٢٠٠٦).

كما جاءت قصة يوسف عليه السلام، لتربية الإنسان على الأخلاق الفاضلة، حيث تدعو القصة من خلال مواقف واقعية، إلى ضرورة الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، فمن أجزاء القصة تواجد يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز في موقف قلما ينجو منه إنسان إلا من عصم الله تعالى، موقف يشير إلى الصراع القائم بين الخير والشر وبين الأمانة والخيانة، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ(٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ(٢٤)﴾[3]، وهذه الآيات تحكي قصة النفس

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٥-١٢٧.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٦٥-١٦٦.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٢٣-٢٤.

البشرية حين يسيطر عليها الهوى، وتمثل ذلك في شخصية امرأة العزيز، والنفس البشرية عندما تستعين بالله عز وجل، وتمثل ذلك في شخصية يوسف الذي قال «معاذ الله» (عبد العال، ١٩٩٦).

(٣) التربية الاجتماعية في القصة القرآنية:

استخدم القرآن الكريم القصة، ليؤكد التربية الاجتماعية التي تقود إلى الإصلاح الاجتماعي، وهو من أهم المجالات، التي اهتم بها القرآن الكريم، بشكل عام والقصة القرآنية بشكل خاص، وتتسع مجالات التربية الاجتماعية التي تبني المجتمع المسلم وتحقق الإصلاح الاجتماعي، لتتضمن مجالات العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ النفس والحرية والعدالة والمساواة، كما تتضمن رعاية الأبناء في الأسرة بطرق تربوية صحيحة.

كما يربي الإسلام المجتمع المسلم، على القيم والمبادئ الثابتة، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم تنمو الحياة الاجتماعية وتتغير بمرور الزمن، مع التطور والتقدم الذي يحرزه الإنسان، وفق هذه القيم وتلك المبادئ، فيحدث الاختلاف بين الأجيال في المجتمع المسلم، ولكن لا يحدث الصراع، بمعنى أن صورة الحياة الاجتماعية قد تتغير من الجمل إلى السيارة إلى الصاروخ، ومن الاقتصاد الرعوي إلى الزراعي إلى الصناعي، ومن الفتاة الأمية إلى الفتاة التي تقرأ وتكتب إلى الفتاة الجامعية، ومن الخيمة إلى الكوخ الصغير إلى العمارة الشاهقة، أو من ضوء الشموع إلى الكهرباء وأحدث التقنيات المعاصرة، ولكن يلتقي راكب الجمل وراكب السيارة وراكب الصاروخ والراعي والمزارع والصانع والأمي والمتعلم وساكن الخيمة وساكن الكوخ وساكن العمارة، يلتقون كلهم على المبدأ الثابت: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان، وأداء الزكاة وحج البيت لمن إستطاع، واحترام وتوقير الآخرين، والتزام الآداب بأنواعها، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء.

وجاء القصص القرآني ليؤكد هذه المبادئ الثابته، التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وهذا نبي الله هود عليه السلام الذي راح يدعوا قومه للإيمان بالله والإيمان بالبعث والحساب، إلا أنهم بقوا على عنادهم، وقال بعضهم: يا هود أتدعي أننا بعد أن نموت ونصير عظاما وتراباً إننا لمبعوثون، قال لهم: هود نعم أنتم وآباؤكم الأولون، فأنفجرت الأفواه بالضحك وتعالت الصيحات بالاستغراب، وانهالت السخريات، وقالوا مسكين هذا الرجل مسه الجنون، وقالوا لبعضهم: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ

وَكُنتُمۡ تُرَابا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ(٣٥) هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ(٣٦) إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ(٣٧)﴾[1]، ووقف هود عليه السلام يدافع عن الحقيقة التي بُعث من أجلها، مؤكداً يوم البعث والجزاء.

وجاءت قصة شعيب عليه السلام، وفيها تربية صريحة وتوجيه مباشر للإصلاح الاجتماعي، ومنع الفساد في الأرض، والقيام بحق الأمانة في التعامل وعدم الغش، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [2].

كما تضمن القصص القرآني، توجيهات تربوية لأولياء الأمور في المجتمع المسلم، تحضهم على التربية الصحيحة، التي تقوم على المساواة والعدالة بين الأبناء، وعدم التفرقة بينهم، ويتضح ذلك من قصة يوسف عليه السلام، حيث كاد له إخوته وألقوه في غياهب الجب، لما رأوه من معاملة أبيهم وتفضيله يوسف عليهم، وهي من القضايا التربوية الهامة، التي تستشف من هذه الصورة، والتي تبين أن التفرقة بين الأبناء تزرع في نفوسهم الحقد والكراهية.

وهو ما أكد عليه المصطفى ﷺ، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: «أن أباه وهبه بستاناً، وأن أمه أعجبها أن يشهد الرسول ﷺ على ذلك، فأخذه أبوه وقال: يا رسول الله إني نحلت ابني هذا بستانا، وإن أمه أعجبها أن تشهدك على ذلك، فقال الرسول ﷺ: ألك غيره؟ قال نعم، قال ﷺ: ءاعطيتهم كلهم مثل ما أعطيته؟ قال: لا، قال ﷺ: أرجعه أي «أرجع ما أعطيته له»، فإني لا أشهد على جور، ثم يقول ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» (عباس، ١٩٩٢)، وهذه التربية المحمدية، هي التي تبني المجتمع المسلم، الذي يسوده الحب والتعاون، وتطهر القلوب من البغض والكراهية.

(٤) التربية النفسية في القصة القرآنية:

يعرض القصص القرآني، قصة الإنسان الذي كرمه الله تعالى، ومنحه خلافة الأرض على أن يكون سيداً لنفسه، وعبداً لله وحده لا شريك له، حيث تظهر القصة

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٣٥-٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

في القرآن، لحظات ضعف النفس الإنسانية ولحظات القوة والإرادة، وتبين مدى خضوع الإنسان لدوافع النفس الفطرية، حيث تقدم القصة في القرآن الكريم بواقعية تامة، موقف النفس البشرية المترفعة النظيفة الشفيفة التي تصلح للقدوة، كما تعرض النفس البشرية في موقف الضعف والانحراف، والتي تصلح للتنفير والاعتبار، والقصة القرآنية عندما تعرض لحظة الضعف الإنساني، فهي تعرضها بواقعية تامة، وتفتح للإنسان باباً واسعاً للتوبة والندم والرجوع إلى الله تعالى.

وتأتي قصة آدم عليه السلام، لتقدم نموذجاً واقعيا للإنسان المسلم، الذي يوحد الله عز وجل، ويعمل وفق منهج الله تعالى، إلا أنه في لحظة من اللحظات، يضعف أمام شهوة من شهوات النفس، كشهوة الجنس أو شهوة المال، أو شهوة الملك أو شهوة الخلد، أو غيره من الشهوات، فيسلم زمامه للشهوة فيستذله الشيطان، وينسى مهمته في تعمير الأرض وفي وصل الأرض بالسماء، فينحصر في عالم ضيق صغير محدود، وفي وسط هذا الضيق تبدو رحمة الله عز وجل، الذي يقبل التوبة كما قبلها من آدم وحواء عندما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [1]، وجاء الرد من الله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه».

وتتعدد القصص في القرآن الكريم، التي تعرض هذه المواقف لتبين ضعف النفس البشرية أو قوتها، الأمر الذي يمكن أن يؤثر في تربية النفس الإنسانية، من خلال القدوة أو العبرة، فقد ورد قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ(٢٤) .... ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِين (٣٥)﴾[2]، وورد قول الله تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ(٢١)إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡض فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ(٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡع وَتِسۡعُونَ نَعۡجَة وَلِيَ نَعۡجَة وَ حِدَة فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ(٢٣) قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيل مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعا وَأَنَابَ ۩(٢٤) فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔاب (٢٥)﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٢٤-٣٣.

(٣) سورة ص، الآيات: ٢١-٢٥.

(٥) تربية التثبيت والصبر في القصة القرآنية:

أنزل الله تعالى بعض القصص القرآني، ليثبت به قلوب الأنبياء والرسل والمؤمنين، في مواجهة المنحرفين عن الحق والمتمسكين بالباطل، قال تعالى: ﴿وَكُلّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَة وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، كما يأمر الله عز وجل، عباده المؤمنين بالصبر مبينا لهم مصير الفاسقين، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٢]، الأمر الذي يؤكد أن طريق الدعوة إلى الله تعالى شاق ومرير، تحتاج معه نفوس الدعاة من الأنبياء والصالحين، إلى التوجيه التربوي الرباني، بالصبر حتى هلاك المفسدين (النحلاوي، ٢٠٠٦).

ولا تقتصر تربية المسلم في القصص القرآني، على الصبر في مواجهة أعداء الدين فحسب، وإنما تربي المسلم كذلك على الصبر على الابتلاءات، وهذا هو نبي الله أيوب عليه السلام، الذي أثنى الله تعالى على صبره، فقال: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِراًۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّاب﴾[٣]، وكان أيوب عليه السلام عظيم التقوى رحيماً بالمساكين، يكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف وكان يدعو قومه لعبادة الله تعالى، وقد أنعم الله سبحانه على أيوب عليه السلام بالمال الكثير، ومنحه الله نعمة الصحة والقوة، ووهبه زوجة صالحة حسنة الخُلق والخَلق، ثم ابتلاه الله عز وجل، فتبدلت أوضاعه، فزال منه الثراء الكبير، وهاجمه الفقر والمرض، ولم يبق منه عضو سليم، سوى قلبه ولسانه يذكر الله تعالى بهما، ومع ذلك كان عليه السلام صابراً محتسباً، ذاكراً لله في ليله ونهاره، وانقطع الناس عنه إلا زوجته التي كانت ترعاه، ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبراً وتسليماً لأمر الله تعالى، وهو نموذج تربوي يتعلم منه المسلم الصبر على الابتلاءات، وحسن الظن بالله تعالى، وبأنه سبحانه مع الصالحين.

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٣) سورة ص، الآية: ٤٤.

(٦) تربية المرأة في القصة القرآنية:

يتناول القصص القرآني المرأة باعتبارها شريك الرجل في الحياة، وهي نسيج متلاحم من التركيب الطبيعي للحياة الإنسانية، ويتناول القرآن الكريم واقع المرأة كإنسان مكرم ويمكن أن تمر بلحظات ضعف، فتهتدي وتضل وتستقيم وتنحرف، وهي في جميع أحوالها أنثى تناظر الرجل وتقاسمه الحياة، فالمرأة والرجل متماثلان ومتغايران في نفس الوقت، حيث يسوي القرآن بينهما حين يكون الحكم متعلقاً بشأن إنساني، يقوم على أصل الفطرة في الإنسان، ويفرق بينهما حين يكون الأمر شأنا خاصاً بالرجل أو أمراً خاصاً بالمرأة.

والمرأة في القصص القرآني ليست مجالاً لإثارة الغريزة وتهييج المشاعر، وإنما يعرض القرآن مواقف المرأة المتنوعة، وهو عرض مفعم بالأدب الجم الذي يليق بعفة ومكانة المرأة في الإسلام، فكل امرأة جاء ذكرها في القصص القرآني، سواء ذكرت باسمها، كمريم ابنة عمران أو بصفتها كامرأة نوح ولوط وأبي لهب وفرعون، كل امرأة من هؤلاء كان لها مكانتها ودورها في الحياة، وصورتها في القصة القرآنية هي صورة مصغرة لها تحمل أبرز ملامحها، فهذه امرأة نوح التي أعرضت عن دعوة الإيمان وكانت تقول للناس أن زوجها نوح عليه السلام مجنون يتحدث بكلام لا يفهمه، وهذه امرأة لوط التي كانت تفشي سر زوجها وتعاديه في دينه وتدل قومه على ضيوفه بطريقة لئيمة، وهذه امرأة العزيز التي تراود فتاها عن نفسه، وهذه امرأة فرعون التي آمنت بالله عز وجل وخالفت زوجها، والتي قالت: ﴿... رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وهذه الطاهرة مريم التي قال فيها المولى عز وجل: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[2].

خلاصة:

❖ جاء الأدب القصصي في القرآن الكريم، متبنياً قضية العقيدة وتوحيد الله عز وجل، كأحد الأبعاد التربوية لبناء الإنسان المسلم.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١٢.

- تضمن القصص القرآني، توجهات تربوية لأولياء الأمور لتحقيق الإصلاح في المجتمع المسلم، من خلال التربية الصحيحة للأجيال، التي تقوم على مكارم الأخلاق، والتكافل الاجتماعي والمساواة والعدالة وعدم التفرقة بين الأبناء.
- إثبات أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى على محمد ﷺ، لما يحمله القصص القرآني من أخبار لأقوام عاشت في فترات زمنية موغلة في القِدم، لم يعرفها محمد من قبل، كما لم يعرفها سكان الجزيرة العربية، قبل بعثة المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[1]، الأمر الذي يؤكد نبوة محمد الأمي ﷺ.
- توعية الإنسان بأنه مخلوق مكرم تعتريه لحظات ضعف بشرية، ويحيط به أعدا كالشيطان والنفس والهوى، وتعمل القصة في القرآن على توعية الإنسان للأخطار التي يمكن أن يواجهها في الحياة، الأمر الذي يتطلب منه الحذر والاستعانة بالله عز وجل.
- بيان قدرة الله عز وجل، من خلال المعجزات التي جاءت في عديد من القصص القرآني، مثل قصة سليمان عليه السلام وحواره مع الهدهد، وقصة إبراهيم والطير الذي آب سعيا، وغيره مما يشير إلى عظمة الخالق وقدرته تعالى.
- تأكيد نصر الله للأنبياء والرسل والصالحين على مر الزمن، حيث تشير نهايات القصص القرآني، إلى أن الله دائما يقف بجوار رسله وأنبيائه والصالحين من الناس، فوقف مع موسى وكانت له الغلبة على فرعون وجنوده، ووقف مع نوح وكان له الفوز والنجاة بالسفينة، وغرق المشركين من قومه، وهكذا في سائر القصص القرآني.
- تثبيت الرسل والأنبياء والصالحين، والوقوف بجانبهم في الكروب وتجنيبهم الأخطار، كما في قصة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى

(١) سورة يوسف، الآية: ٣.

بَرۡدا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ(٦٩) وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ(٧٠)﴾[١]، كما جاءت القصص لتثبيت قلب الرسول محمد ﷺ قال جل شأنه: ﴿وَكُلّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ...﴾[٢].

- ❖ المرأة لها دورها ومكانها في الحياة مع الرجل، ونشاطها مكمل لنشاط الرجل، وهي إنسانة تعتريها لحظات الضعف، ولكن تملك الارادة والاختيار، وهي ليست مجالاً للإثارة والإغراء، وإنما تعرض القصة مواقف المرأة المختلفة، لتربية المرأة والفتاة بشكل مباشر أحياناً وغير مباشر أحياناً أخرى، على العفة والطهارة والاستقامة في الحياة.

الأهمية التربوية للقصص النبوي:

يأتي القصص النبوي في المرتبة الثانية، بعد قصص القرآن الكريم، من حيث الأهمية التربوية، حيث انتهج المصطفى ﷺ نهج القرآن الكريم في توظيف القصة، من أجل الدعوة للإسلام وما يتضمنه من عقيدة وعبادات ومعاملات، ومن أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، كما اتخذ ﷺ من القصة أسلوبا لتربية الصحابة وسائر المسلمين، على الإيمان بأركان الإسلام المختلفة فكرا، ومساعدتهم على تطبيقها في حياتهم اليومية سلوكا.

وقص محمد ﷺ عددا كبيراً من القصص، اعتمد فيها على التشويق والإثارة وهدف من خلالها إلى تربية المسلمين، وإشباع خيالهم وبناء أفكارهم ومعارفهم، وكان ﷺ يكرر القصة الواحدة، أكثر من مرة في أكثر من مجلس، بهدف تربية وتعليم الصحابة، وحثهم على التفكر فيها، وغرس القيم الأخلاقية في نفوسهم، فضلاً عن توضيح وبيان ما جاء من القصص في القرآن الكريم، وفيما يلي نماذج من القصص النبوي المربي: (البخاري، ١٩٩٣) و(عثمان، ٢٠٠٨) و(الأشقر، ١٩٩٩).

(١) التربية النبوية في قصة القاتل التائب:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٩-٧٠.

(٢) سورة هود، الآية: ١٢٠.

فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فأعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة» (أخرجه البخاري).

وتبدو الأهمية التربوية واضحة جلية في هذه القصة، التي أراد الرسول ﷺ من خلالها، أن يفتح للناس كافة، باب الأمل والرحمة، المتمثل في الرجوع إلى الله عز وجل، مهما بلغت ذنوب العبد، فإن باباً واسعاً مفتوحاً ليدخل منه الإنسان، بعد الإستغفار والندم والعزم على عدم العودة للذنب، هو باب التوبة التي يتقرب بها العبد من ربه، فيقبله الله عز وجل ويعفو عنه، ويقول صاحب الظلال إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، وإنها الدعوة للأوبة والعودة، دعوة العاصين في تيه الضلال، إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله تعالى، بعد أن يسرف الإنسان في الذنب، ويحسب أنه قد طرد من رحمة الله عز وجل، في لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندي اللطيف، الذي يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

(٢) التربية النبوية في قصة فضل الصدقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة» أي أرض بها حجارة كثيرة»، فإذا شرجة أي «مسيل الماء» من تلك الشراج، قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الرجل الماء فإذا رجل قائم في حديقته يُحول الماء بمساحته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان وهو الاسم الذي سمعه في السحابه، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتا في

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه» (أخرجه مسلم).

وتبدو القيمة التربوية لهذه القصة، في تأكيد الرسول ﷺ على التصدق بالمال، ومراعاة حق الله تعالى فيه، وذلك انطلاقاً من قاعدة أن المال مال الله تعالى، والإنسان مستخلف فيه، فضلاً عن أهمية إنفاق المال وعدم كنزه، على أن يكون الإنفاق بدون تبذير أو إسراف وكذلك بدون تقتير أو بُخل، وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1]، والعبرة هنا ليست بكثرة أو قلة الإنفاق، وإنما في موضع الإنفاق، فلو أنفق العبد ماله كله في الحق لم يكن مبذرا، ولو أنفق مُدًا في غير حق كان مبذرا، وهذه الآية على قدر ما تهتم بالإنفاق، إلا أنها تبين بوضوح أهمية التوازن في الإنفاق، وهو ما تشير إليه القصة النبوية، التي قسم فيها الرجل دخله إلى ثلاث أجزاء، جزء له ولعياله، وجزء للصدقة لوجه الله تعالى، وجزء يعود إلى أرضه لتنميتها وزراعتها.

(٣) التربية النبوية في قصة الأبرص والأقرع والأعمى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص أي بياض يظهر في ظاهر البدن، وأقرع وأعمى، فأراد الله تعالى أن يبتليهم «يختبرهم»، فبعث إليهم مَلَكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك، قال الإبل، قال فأعطي ناقة عشراء، فقال بارك الله لك فيها، ثم أتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك، قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك، قال: البقر فأعطي بقرة حاملا، وقال: بارك الله لك فيها، ثم أتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟، قال: أن يرد الله إلي بصري، قال فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟، قال الغنم فأعطي شاة والدا أي معها ولدها، فأنتج هذا وولّد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

ثم أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال: بعيرا أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. ثم أتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك أي لا أشق عليك اليوم شيئاً أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رُضي عنك وسُخط على صاحبيك(أخرجه البخاري).

إن المتأمل لهذه القصة النبوية يستشف منها، التوجيه التربوي للمصطفى ﷺ، الذي يحث فيه الناس على شكر النعمة، حيث يعرض نماذج بشرية ابتلاها الله تعالى أي اختبرها بالمال والغنى، ومنها من رسب في الاختبار ومنها من نجح في الاختبار، وهو أسلوب تربوي عملي لا يقف عند حدود هذه القصة، وإنما يمتد إلى الإنسان في كل مكان، يخاطب نفسه وشهوته وحبه للمال، ومدى التزامه بمنهج الله عز وجل، ومدى حرصه على إخراج حق الله في المال، ومدى تطبيقه لمنهج افعل ولا تفعل، ومدى اعتراف الإنسان بفضل الله تعالى الذي منحه كل هذه النعم.

ولكي تكون القصص مؤثرة لابد من اتباع منهج المصطفى ﷺ في رواية القصص، بحيث تتصف بالوضوح وبساطة العرض وسهولة اللغة والوصول للمعنى بأقل عدد ممكن من المفردات، ولا بأس من التكرار فقد كان الرسول ﷺ يكرر القصص لأصحابه، بهدف التذكرة والعبرة، وكذلك تأكيد أحداث القصة في غير ملل ولا تكلف، واستخدام أسلوب المفاجأة، وعنصر التشويق والإثارة والتنوع في التعبير، لأنها تساعد في نجاح الفكرة وضمان وصولها للأخرين، ويجب البعد عن المبالغة في سرد قصص الخرافات والأساطير، (المصري وعمارة،٢٠٠٧)، وإنما رواية القصص التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفه، لما تتصف به من صدق وواقعية، ولما تتضمنه من قيم تربوية، يمكن أن يكون لها أبلغ الأثر على سلوك الأفراد في المجتمع.

رابعاً: أسلوب التربية بالموعظة:

مقدمة:

تعد الموعظة من أهم أساليب التربية المؤثرة في النفس الإنسانية، التي تكون في حاجة ماسة ومستمرة للموعظة، وتقوم الموعظة على التذكير والنصح بالخير والحق، على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل والسلوك، وتحتاج الموعظة إلى الوسط المربي والقدوة الصالحة التي تشجع على التأسي بها، فالقدوة الصالحة تجعل الموعظة ذات أثر بالغ في النفس، وتصبح دافعاً قوياً للسلوك الإيجابي، كما أن في النفس الإنسانية دوافع فطرية في حاجة ماسة للتوجيه والإرشاد والتهذيب، فقد لا تكفي القدوة بمفردها وإنما تحتاج النفس إلى الموعظة التي تذكرها، وتثير فيها مكامن الخير، فضلاً عن ضرورة مخاطبة الناس على قدر عقولهم بالموعظة والنصيحة حتى تفتح لها القلوب وحتى تكون أدعى للقبول.

ويمتلئ القرآن الكريم بالآيات التي تتخذ أسلوب الوعظ والإرشاد أساساً للتربية والدعوة، وطريقا لإصلاح الأفراد وهداية الجماعات، ويأتي الوعظ في القرآن الكريم مرة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالتنويه بالتذكرة، وثالثة بالتعبير بالموعظة، ورابعة بالحض على النصح، وخامسة باتباع سبيل الرشاد، وسادسة بالإغراء بالترغيب وسابعة باستخدام أسلوب التهديد، وهكذا يأتي الوعظ في القرآن الكريم بأساليب متعددة، لها أهمية بالغة في تربية النفوس على الخير وحملها على الحق (علوان، ٢٠٠٥).

المداخل التربوية للموعظة في الإسلام:

تتعدد المداخل التربوية للموعظة في الإسلام، وفيما يلي أهم هذه المداخل: (النحلاوي، ٢٠٠٥) و(علوان، ٢٠٠٥) و(الباشا، ١٩٩٢) و(علي، ٢٠٠٠).

(١) الموعظة من خلال التذكير:

حيث يذخر القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وحياة السلف الصالح، بالمواقف المربية، التي تذكر الإنسان وتعظه بالموت وسكراته، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاطب نفسه قائلا: كفى بالموت واعظاً يا عمر، وكان الخوف من الموت والحساب بين يدي الله تعالى جعل دموع الخليفة عمر تترك أثراً واضحاً في خديه، قال

تعالى: ﴿...ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[1]، وهذا عبد الله بن مسعود، لما مرض، مرض الموت جاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه عائدا، فقال له: ما تشتكي؟، قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟، قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بعطائك الذي امتنعت عن أخذه منذ سنين؟، قال: لا حاجة لي به، ولما أقبل الليل لحق عبد الله بن مسعود بالرفيق الأعلى ولسانه رطب بذكر الله تعالى.

كما تتأثر النفس الإنسانية بالموعظة، التي تذكر الإنسان بالمرض، فالإنسان معرض للمرض في أي وقت، بل معرض لأن تسلب منه نعم الله تعالى واحدة تلو الأخرى، وفي القرآن الكريم مواقف متعددة تبين نعم الله على الإنسان، وفي الوقت ذاته ابتلاء الله عز وجل للإنسان وإختباره بهذه النعم، وهذا نبي الله أيوب الذي أنعم الله عليه بكل النعم، فرزقه نعمة الصحة والقوة والزوجة الصالحة والثراء الكبير، ثم شاء الله أن يبتليه بالمرض الأليم حتى انقطع الناس عنه، وهذه هي الموعظة التربوية التي ينبغي أن يتعظ بها الإنسان، أن كل نعم الإنسان هي من عند الله عز وجل، وشكر النعمة واجب وسبب في بقائها، وإذا إبتلى الله تعالى الإنسان، فعليه أن يصبر ويتذرع بالدعاء كما فعل أيوب عليه السلام، الذي رد الله له صحته بعد مرضه بفضل الدعاء.

(٢) الموعظة من خلال النداء الحاني المؤثر:

استخدم القرآن الكريم أسلوب النداء، لما له من تأثير على المشاعر والقلوب، وهو أسلوب استعطافي واضح في مخاطبة القرآن الكريم للناس على اختلاف أجناسهم وأشكالهم وألوانهم وقدراتهم، لتقع الموعظة في قلوبهم فيسلكون وفقاً لها، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وعلى لسان نوح عليه السلام: ﴿ ... يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [4].

(١) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (1)، وقال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾(2)، وهكذا يربي القرآن عواطف الناس، بأسلوب تربوي رقيق يستند إلى الموعظة الحانية والكلمة الرقيقة التي تأخذ مكانها في قلب المستمع، فتوجهه إلى السلوك الإيجابي.

(٣) الموعظة من خلال القصة المعبرة:

القصة نوع من الأدب له جمال وفيه متعه، ويشغف بها الكبار والصغار، وهي مدخل هام لأصحاب الرسالات والدعوات والقادة والمصلحين، إلى عقول الناس وقلوبهم ليقدموا لهم ما يريدونهم عليه من معتقدات وآراء واتجاهات، وفي كل نوع من أنواع القصة، وفي كل موقف من مواقفها موعظة تربوية، تبني شخصية الإنسان المسلم، منها ترسيخ عقيدة التوحيد لدي الأفراد، أو تربيتهم على مكارم الأخلاق، أو بيان أركان الإيمان أو إصلاح وتنمية المجتمع، وغيره من القصص التي تربي الإنسان بطرق مختلفة ومحببة إلى النفس.

وقد تنوعت القصص التي يأخذ منها الإنسان العبرة والموعظة، منها ما يربط بين العقيدة والمعاملات، ويبين علاقة الإيمان بالسلوك المادي في الأسواق، ومنها ما يؤصل المبادئ الخلقية ويؤكد على العفة والأمانة، ويدعو إلى العزة النفسية والكرامة الإنسانية، ومنها ما يسوق الأدلة على البعث وعلى قدرة الله تعالى، ومنها ما يبين نعم الله على عباده، ويوجه إلى شكر النعمة، ومنها ما ينبه الإنسان إلى غواية الشيطان، ويوجه إلى الحذر من هواجس النفس الإنسانية التي تدعو إلى الشر، ومنها ما يشرح العلاقة بين العمل الصالح وعاقبتة للإنسان، والعمل الفاسد والعصيان وعاقبتة للإنسان، وهكذا تتم الموعظة من مواقف متعددة، بهدف تربية الإنسان وتوجيه سلوكه للأصلح والأفضل في الحياة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٤) الموعظة من خلال الحوار الراقي:

هناك من يرى أن الحوار عادة يكون بين طرفين في مستويين مختلفين من حيث المعرفة والعلم بالموضوع الذي يدور حوله الحوار، ويتطلب الحوار وجود أجواء هادئة للتفكير والتأمل، وأورد القرآن الكريم أنواع كثيرة من الحوار، بهدف الموعظة وأخذ العبرة، فمثلا الحوار الذي دار بين أهل الجنة وأهل النار، والذي يقول فيه تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)]، وهو حوار يبين أن المؤمنين على ثقة من تحقيق وعيد الله كثقتهم من تحقق وعده، ولكنهم يسألون ويجيء الجواب في كلمة واحدة «نعم»، ويُقطع الحوار، لتتضح الصورة التي تؤثر في الإنسان من خلال الإحساس بالموقف، والاعتبار بالمصير الذي يلقاه الإنسان يوم الحساب، يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت.

ودار حوار بين الله عز وجل وبين أهل النار، يقول تعالى: ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ(١٠٤) أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ(١٠٥)﴾[(٢)]، ويُفسر هذا الحوار بأن مشهد لفح النار للوجوه حتى تكلح مشهد أليم، وهذا العذاب الحسي على فظاعته أهون من التأنيب والخزي الذي يصاحبه، ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، وكأنما خيل إليهم أنه قد سمح لهم بالكلام، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾[(٣)]، وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة، ولكنهم كأنهم تجاوزوا حدهم وأساءوا أدبهم، فلم يكن مأذونا لهم في غير الإجابة على قدر السؤال.

﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[(٤)]، اخرسوا واسكتوا سكوت الأذلاء المهينين، فإنكم لتستحقون ما أنتم فيه من العذاب الأليم والشقاء المهين، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٤-١٠٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩) فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)﴾[١]، فلم يكن جرمكم أنكم كفرتم فحسب وهو جرم عظيم، وإنما بلغ بكم السفه أن تسخروا ممن ءامنوا، وهو حوار تؤخذ منه العظة والعبرة بشكل غير مباشر، ويربي الإنسان على الخوف من الله تعالى، وخشيته والرهبة من عذابه، ومحبته والتقرب منه سبحانه، للفوز بلقائه وبجناته ونعيمه.

وقد اهتم الرسول ﷺ بالنصيحة والوعظ والإرشاد، عن تميم بن أوس الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...»، وهكذا يؤكد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الدور التربوي للموعظة ودعوة الناس إلى الله تعالى، وتوجيه الناس إلى خيري الدنيا والآخرة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

خامساً: أسلوب التربية بالمثل:

مقدمة:

يعد المثل أحد أساليب التربية الهامة، ذات الانتشار الواسع، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالموعظة والعبرة، حيث يربط المثل بين المعاني المجردة أو الجديدة التي لا خبرة للسامع بها، وبين أحداث تقع في خبرة السامع، والمثل يلخص موقف أو خبرة أو حدث بكلمات موجزه، لا يملك السامع معارضتها فهي تجيء في معظم الأحيان مقرونة بالحجة والبرهان، معبرة عن حكمة الشعب عبر الزمان كله، وغالباً المثل غير معروف المصدر، ويعرف المثل بأنه «إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه جمالا، وتجعله أكثر إمتاعاً، ويجري مجرى الحكم التي يتناقلها الناس فيما بينهم، على سبيل النصح أو الموعظة أو التندر» (إسماعيل، ١٩٨٦).

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٩-١١٠.

التربية بالأمثال في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم المثل كي يقرب المعاني، ويشير إلى أمور حسية لشرح أفكار مجردة، لأنه يخاطب الناس جميعا من مختلف المستويات، بما فيهم من مثقف وغير مثقف، ومتعلم وغير متعلم، فكان لابد من تقريب الصورة إلى الأذهان، والمرور بمرحلة الادراك الحسي ثم التدرج رويدا إلى المجردات، حيث يكتسب ضرب المثل في القرآن الكريم صورة البلاغة وقوة التبليغ، الأمر الذي يخلق في نفس السامع والقارئ، صورة بيانية معبرة وجميلة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق أهداف متنوعة، مثل تربية النفس والعقل والفكر والحس لدى الإنسان (علي، ٢٠٠٠).

أهداف التربية بالمثل في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم المثل، لتحقيق أهداف تربوية متعددة منها (العامر، ١٩٩٠) و(علي، ٢٠٠٠) و(إسماعيل، ١٩٨٦) و(الشريف، ١٩٦٥) :

(١) تقريب صورة الممثَّل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المَثَل، كأن يكون المخاطب جاهلا بحقيقة الشيء الممثل له، أو كان غامضا عليه مع علمه به على وجه الاجمال، فيأتي المثل القرآني لازالة هذا الغموض، والفصل في القضية فصلا يقره العقل، فلا يقع المخاطب بعد فهم المثل المضروب تحت الشك أو الخيال المفرط.

ويقدم القرآن الكريم صورة واضحة عن الجنة، مستخدما التشبيه والمثل الذي يقرب الصورة، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ... ﴾[1]، كما قال جل شأنه: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[2]، حيث ترسم الآيات السابقة صورة محسوسة للجنة، وما فيها من أنهار، لتجعل المستمع أو القارئ وكأنه يشاهد الجنة بعينية، والهدف هو تقريب الصورة، وبناء عواطف الإنسان المسلم وتشويقه للجنة وما بها من نعيم.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٢) الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وهي الحجة الملزمة التي تفيد اليقين، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وهي حجة إقناعية ظنية تفيد الظن الراجح، أو على مجرد لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ (٧٨) قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ (٨١) ﴾[١]، وضرب المثل في هذه الآية يهدف إلى الإقناع، حيث يعقد مشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته، في صورة معبرة وواضحة، كما ساق القرآن الكريم مثلا لهؤلاء الذين أنكروا إنسانية عيسى عليه السلام، متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية، فيرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢]، حيث يوضح المثل ويقرب الصورة لمن غمض عليه الموقف، بأنه إذا كان عيسى قد خلق من غير أب، فإن آدم عليه السلام خلق من غير أب وأم.

(٣) الترغيب بالتزيين والتحسين، أو الترهيب بكشف جوانب القبح، فالترغيب يكون بتزيين الممثل له وإبراز جوانب حسنه، عن طريق تمثيله بما هو محبوب للنفوس ومرغوب لديها، والترهيب يكون بابراز جوانب القبح، عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ (٢٤) تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ (٢٦) يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧) ﴾[٣]، حيث ترسم الآيات السابقة صورة واضحة

(١) سورة يس، الآيتان: ٧٨-٨١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤-٢٧.

للصراع بين الخير والشر، وبين الخبيث والطيب، فالكلمة الطيبة سواء كانت دعوة أو حركة أو عمل، كالشجرة الطيبة الثابتة التي لا تعصف بها رياح الباطل، وهي مثمرة لا ينقطع ثمرها لأن بذورها تنبت في النفوس، أما الكلمة الخبيثة فهي كالشجرة الخبيثة التي تبدو للناس أنها أضخم وأقوى من الشجرة الطيبة، ولكنها تظل هشة، ما تلبث إلا وتقتلع من جذورها، وهذه الآيات فيها الترغيب في الخير، وفيها الترهيب من الشر، وهي تؤكد أن الخير لا يموت مهما زاحمه الشر، وأن الشر يتهالك ويتهشم مهما تضخم واستطال.

(٤) إثارة محور الطمع والرغبة أو محور الخوف والحذر لدى المخاطب، ففي إثارة محور الطمع يتجه الإنسان بمحرض ذاتي إلى ما يراد توجيهه له، وفي إثارة محور الخوف والحذر، يبتعد الإنسان بمحرض ذاتي عما يراد أبعاده عنه، الأمر الذي يربي الإنسان من خلال الترغيب والترهيب.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١)، حيث ترسم هذه الآية بوضوح ما يعود على المسلم من طمأنينة وسرور لا يعتريه حزن يوم الكرب العظيم، كما يبين سبحانه الوجه الآخر للإنفاق بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَاب فَأَصَابَهُۥ وَابِل فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْء مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢)، حيث ترسم الآية صورة واضحة للرياء وقسوة القلوب، وفيها توجيه للمخاطب للبعد عن هذا السلوك، لأنه سرعان ما يُكتشف فضلاً عن عدم قبوله عند الله عز وجل، ويقدم المولى سبحانه الصورة التي يريد المسلم عليها بقوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِل فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِل فَطَلّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٥) شحذ ذهن المخاطب، وتحريك طاقاته الفكرية، واستثارة ذكائه، للتفكر والتأمل والوصول إلى إدراك المراد منه. قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، وتعبر الآيةعن صورة حقيقية تبين أن للقرآن سلطاناً وأثراً مزلزلاً لا يثبت له شيء يتلقاه بحقيقته، وهذا عمر بن الخطاب الذي سمع قول الله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ(١) وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ(٢) فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ(٣) وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ(٤) وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ(٥) وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ(٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ(٧)﴾[٢]، فأرتكن إلى الجدار ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهراً مما ألم به، فعندما يصبح ذهن الإنسان مستعداً ويقظاً لتلقي شيئاً من حقيقة القرآن يتزلزل كيانه ويهتز ويرتجف، والله تعالى خالق الجبال ومنزل القرآن، يؤكد أثر القرآن في الصخر الجامد لو تنزَّل عليه، ثم يقول: ﴿ ... وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] وهي دعوة للتفكر والتأمل في مراد القرآن ومنهجه للإنسان.

أهداف التربية بالأمثال في السنة النبوية:

استخدم الرسول ﷺ الأمثال لتربية الصحابة وتقريب المعاني لهم، حيث تمتلئ سنة المصطفى ﷺ بالأحاديث والمواقف التي قامت على ضرب المثل، وفيما يلي نماذج من هذه الأحاديث والمواقف، التي تبين أهداف التربية بالأمثال في السنة النبوية: (علي، ٢٠٠٢) و(المصري وعمارة، ٢٠٠٧).

(١) استخدام المثل لتقريب الصورة:

روى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترُجه (ثمر له منافع كثيرة) ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك، إن لم يصبك منه شيء أصابك ريحه، ومثل جليس السوء كصاحب الكير إن لم يصبك سواده أصابك من دخانه» (صحيح البخاري)، ويرسم الحديث صورة

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الطور، الآيات: ١-٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢١.

واضحة لأقسام الناس، وهم أهل الإيمان والقرآن وأهل إيمان بدون القرآن وأهل النفاق فهم يقرأون القرآن بلا إيمان والفئة الأخيرة لا هي مؤمنة ولا هي تقرأ القرآن، وهو تشبيه بليغ يرغب في الخير والإيمان وقراءة القرآن ومصاحبة العلماء، ويحذر من الشر ومصاحبة الفاسقين.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: «أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن فجعل القوم يذكرون شجرا من شجر البوادي، قال ابن عمر: وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة فجعلت أريد أن أقولها، فإذا أسنان القوم، فأهاب أن أتكلم، فلما سكتوا، قال رسول الله ﷺ: هي النخلة»، وهو تشبيه بليغ يقرب الصورة للصحابة، ويبين لهم صفات المؤمن الذي لا ينقطع خيره، والذي يحمل قلباً صافياً ونفساً هادئة مطمئنة، وكلما طال عمره حسن عمله، مصداقا لقول الرسول ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله».

(٢) استخدام المثل للتذكير بأوامر الله ونواهيه:

استخدم الرسول ﷺ المثل ليؤكد الالتزام بأوامر الله عز وجل ونواهيه، قال ﷺ: « ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سور فيه أبواب مفتحة، وعلى تلك الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط، ومن فوق الصراط داع ينادي، فمن أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط هو الإسلام، والستور هي حدود الله، والأبواب المفتحة هي محارم الله، والداعي هو القرآن، والداعي من فوق هو واعظ الله تعالى» (رواه الترمذي).

(٣) استخدام المثل لنشر الحب في الله تعالى:

إن المتأمل للمجتمع المعاصر، المتشابك الأطراف، يجد نفسه يعيش في عالم غريب فيشعر بالغربة في ذاته، لأن المادة وأمور الدنيا المقطوعة من الآخرة، باتت هي المسيطرة على معظم سلوكيات الناس، فأصبحوا يلهثون وراء الدنيا وأعتبروها غاية وليست وسيلة للوصول إلى الآخرة، فيكرسون جل وقتهم لجمع المال وإشباع الشهوات، وانقطعت الأرحام وانتشرت الضغينة والحقد والغش والخداع والوصولية والفساد والتكسب الرخيص، وضاعت الفضيلة وباتت معظم علاقات الناس تحكمها المصلحة والمصلحة فقط، وفي خضم هذه الجاهلية المعاصرة، يفتح الرسول محمد

ﷺ باب الأمل ليربي الناس على التراحم والتزاور والتقارب في الله عز وجل، بعيدا عن المصالح الدنيوية.

قال الرسول ﷺ: «إن رجلاً زار أخا في قرية فأرصد الله تعالى على مدرجته (أي طريقه) ملكا، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟، قال: أريد أخا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟، قال: لا.. غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه (رواه مسلم)، وهي بشرى للمتحابين في الله عز وجل.

(٤) استخدام المثل لتصنيف اتباع الدعوة:

إن النبي محمد ﷺ لا ينطق عن الهوى، وهو أحرص على المسلمين من أنفسهم، يكثر من دعوتهم إلى اتباع منهج الإسلام، سواء بالموعظة أو بالقصة أو بالمثل أو غيره من الوسائل التربوية، روى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (رواه البخاري).

والمتأمل للحديث الذي جاء في صورة المثل، يتبين أن محمد ﷺ قد ضرب لما جاء به مثلا بالغيث العام، الذي يأتي الناس وهم في أشد الحاجة إليه، وكذا حال الناس قبل مبعثه ﷺ، فكما أن الغيث يحيى الأرض بعد موتها، فإن منهج المصطفى ﷺ يحيى القلوب بعد موتها، ثم شبه الذين يستمعون له ﷺ بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث: فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة التي تشرب فتنتفع وتثمر فتنفع غيرها، ومنهم الجامع للعلم غير أنه لم يتفقه فيما جمع، إلا أنه أداه لغيره، وهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله إلى غيره، فهو بمنزلة الأرض الملساء التي لا تقبل الماء.

(٥) استخدام المثل لبيان العلاقة بين الأنبياء:

يؤكد المصطفى ﷺ أن الرسالات السماوية جاءت جميعها من مشكاة واحدة، وكان الرسول ﷺ يؤكد الترابط بين رسالة الإسلام وما سبقها من رسالات سماوية، وذلك من خلال التصوير الرائع والمثل الذي ضربه ليوضح به هذه الحقيقة، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة، قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء» (رواه مسلم).

وهو يؤكد من خلال ضرب الأمثال أن دين الله واحد، وأن دعوة الأنبياء واحدة، وأن دينهم واحد هو الإسلام، الذي يقوم على عبادة الله وحده لا شريك له، وإسلام الوجه لله تعالى، وهي تربية غير مباشرة للناس جميعاً، لفهم الرسالات السماوية التي تقوم على التوحيد وعبادة الله تعالى والتسليم له سبحانه، وإدراك أن الله عز وجل هو الخالق، الذي في الجنة رحمته وفي النار عذابه، وأن المآل إليه وبرحمته يدخل الناس الجنة.

سادساً: أسلوب التربية بالثواب والعقاب

مقدمة:

الثواب جزاء العمل، قال تعالى: ﴿... لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[1]، أعطاه الله ثوابه ومثوبته أي جزاء ما عمل، وأثابه الله أي أعطاه إياها، ويقال أثابه يثيبه والاسم الثواب يكون في الخير والشر إلا أنه بالخير أخص وأكثر استعمالا، والعقاب والمعاقبة أن يجزى المرء بما فعل سوء، والاسم العقوبة، وعاقبه بذنبه معاقبة وعقابا أخذه به، وتعقبت الرجل إذا أخذته بذنب كان منه، وأعقبه على ما صنع أي جازاه، والعقبى جزاء الأمر (ابن منظور، ١٩٩٢).

إن الملاحظ لواقع الحياة في دنيا الناس، يتبين أنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات الإنسانية، من تقرير مبدأ الثواب والعقاب، فمن السنن البديهية في الحياة أن يكافأ فاعل الخير على عمله، وأن يجازى فاعل الشر بما كسبت يداه، وأصل الثواب والعقاب في منهج الإسلام، أن يكون في الآخرة، ولكن مقتضيات الحياة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٣.

وضرورة استقرار المجتمع، وضمان حقوق الناس وكفالة حرياتهم وتحقيق العدالة بينهم، كل ذلك اقتضى أن يكون مع الجزاء الأخروي جزاء دنيوي، ونطاق الجزاء في الإسلام واسع، بحيث يشمل جميع جوانب الحياة، مع إدراك أن الجزاء الدنيوي لا يمنع الجزاء الأخروي، إلا إذا تحققت التوبة (يوسف، ٢٠٠٢).

ويعد الثواب والعقاب أحد أساليب التربية الهامة في الإسلام، لأنه يثير دافعية الناس ويشجعهم على العمل الحسن، وينفرهم من العمل السيء، وهو أسلوب تربوي يتوافق والطبيعة البشرية التي تنجذب إلى كل ما يُدخل السرور على النفس الإنسانية، وتبعد عن كل ما يسبب لها العقوبة والألم العضوي أو النفسي، ويشير الثواب إلى كسب مادي أو معنوي عاجل أو آجل، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن سلوك ضار، أما العقاب فهو تهديد بعقوبة، تترتب على سلوك ضار، أو إقتراف ذنب نهى عنه الله سبحانه وتعالى.

ويستند أسلوب الثواب والعقاب في الإسلام على مبدأ الحرية ومبدأ المسؤولية، فالإنسان حر في اختيار السلوك الذي يرتضيه لنفسه، بل هو حر في اختيار الدين، يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ...﴾[1]، ويقول جل شأنه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ...﴾[2]، وهو مبدأ يتجلى فيه تكريم الله عز وجل للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله، ومن ثم فهو مسؤول، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ (٨)﴾[3]، وهو ما أكد عليه المصطفى ﷺ بقوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ما فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟» (رواه الترمذي).

التربية بالثواب:

لقد أوضح القرآن الكريم منهج الاستقامة للإنسان في الحياة، وكفل له الحرية في الاختيار، وأوضح له الثواب الذي يتبع هذا الاختيار، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.

وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقا﴾[1]، حيث كان صحابة رسول الله ﷺ يتشوقون إلى الجزاء الأوفي وهو صحبة الرسول ﷺ في الجنة، وكان فيهم من يبلغ به الوجد ألا يمسك نفسه عن تصور فراقه. قال ابن جبير: «جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ يا فلان مالي أراك محزونا؟ فقال يا نبي الله شيئ فكرت فيه، فقال ما هو؟، قال: نحن نغدو عليك ونروح، ننظر إلى وجهك ونجالسك، وغدا تُرفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً فأتاه جبريل بهذه الآية: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ...﴾ وما بها من بشرى وثواب، وهو أسلوب تربوي يشجع الأفراد على التزام منهج الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، طمعا في الثواب الذي يفضي بهم إلى جنات النعيم.

ويؤكد القرآن الكريم التربية بالثواب، من خلال ترغيب الناس في نيل الثواب في الدنيا والآخرة، ونيل رضا الله ورحمته تعالى، إما بشكل عام كما بين سبحانه بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدخِلُهُم جَنَّٰت تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَداۖ لَّهُم فِيهَا أَزوَٰج مُّطَهَّرَةۖ وَنُدخِلُهُم ظِلّا ظَلِيلًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡناۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔاۚ ...﴾[3]، أو بشكل خاص كالترغيب في الإيمان والجهاد في سبيله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَة تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيم (١٠) تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَموَٰلِكُم وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُم خَير لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ (١١)﴾[4]، أو كالترغيب في الشهادة وبيان ثواب ومكانة الشهيد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَاۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ(١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ (١٧٠)﴾[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٧.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ١٠-١١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩-١٧٠.

وإذا كان القرآن الكريم، تضمن عددا كبيرا، من الآيات التي تشجع المسلم على اتباع منهج الله عز وأجل، وبيان الثواب الذي يترتب على هذا الاتباع، فإن سنة المصطفى ﷺ تضمنت أحاديث كثيرة ترغب في عمل الخير، وفي اتباع منهج الله تعالى، كما بينت الثواب الذي يعود على المسلم، نتيجة اتباعه شرع الله عز وجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويتجنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة، فقيل له: أدخل بسلام» (أخرجه النسائي)، وهو يربي المسلم على أداء العبادات والانصراف عن الكبائر، ويبشره بأن الثواب الذي ينتظره هو الجنة التي يدخلها بسلام.

التربية بالعقاب:

يتبع الإسلام جميع أساليب التربية لبناء الإنسان المؤمن، فيستخدم القدوة والقصة والحوار والموعظة والثواب، كما يستخدم كذلك العقاب والتخويف بجميع درجاته حتى تعتدل النفس وتستقيم، خوفا من العقاب الذي ينتظرها، حيث يهدد سبحانه بعدم رضاء الله وهو أيسر التخويف، وإن كان له فعله الشديد في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ...﴾[1]، ومرة يهدد بغضب الله تعالى في حادثة الإفك، فيقول: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)﴾[2]، ومرة يهدد بحرب الله ورسوله وهو عقاب شديد، فيقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ...(٢٧٩)﴾[3].

ويهدد القرآن الكريم بالعقاب في الدنيا، فيقول تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا...﴾ [4]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٢) سورة النور، الآيتان: ١٤-١٥.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٩.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾ (1)، بل ويستخدم القرآن الكريم العقاب بشكل تنفيذي، فيقول جل شأنه:﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ ... ﴾(2) ، ويقول تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ... ﴾(3)، كما يهدد القرآن الكريم بالعقاب في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا(٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا(٦٩)﴾(4)، وهكذا يربي القرآن الكريم الإنسان بطرق متفاوته وفق درجات الناس ووفق طبائعهم، فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عن الانحراف، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم من يحتاج إلى أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقي.

الأبعاد التربوية في عقوبات الحدود الإسلامية:

خلق الله الإنسان وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وتعهده بالرسالات التي تبين له طريق الهدى، وكانت رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات السماوية، بما تحمله من تشريع رباني، قام على جلب المصالح ودرء المفاسد، وجاء بما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد، فهو يدعو إلى نشر الفضائل، ويحث على ترك الرذائل، ويهتم بتقويم الفرد وإصلاح المجتمع، ويعمل على استتباب الأمن والأمان بين الناس أجمعين، وقد راعى التشريع الإسلامي مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في توازن دقيق ومقدر، وشرع من الأحكام ما يكفل رعاية الدعائم الأساسية للمجتمع من حفظ الدين والعرض والنفس والعقل والمال.

ولقد عملت الشريعة الإسلامية على تطهير المجتمع من أسباب الجريمة، وتربية الأفراد على حياة الاستقامة، ولكنها مع هذا لم تكتف بالوازع الأخلاقي، وان حرصت عليه كل الحرص، ولم تقتصر على التربية وحدها، وان كانت تراها فريضة وضرورة

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة النور، الآية: ٢.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٤) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨-٦٩.

دينية واجتماعية، ولكن من الناس من لا يرتدع إلا بعقوبة زاجرة، ولا تكفيه الموعظة الحسنة ولا التوجيه الرشيد، ولهذا كان لابد من العقوبة المادية وصوت القانون بجوار صوت القرآن، حتى جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

ويعد القرآن حجة قاطعة على كل مسلم ومسلمة، وأحكامه واجبة التسليم والاتباع، ونصوصه قطعية الثبوت، ودلالته على المعاني قد تكون قطعية وقد تكون ظنية، وبيانه للأحكام الشرعية قد يكون بياناً كلياً وقد يكون بياناً تفصيلياً، ومن ذلك أحكام الحدود التي بينها القرآن بشكل تفصيلي، منها حد الزنا وحد السرقة وحد الحرابة وحد القذف وحد الردة وحد البغي، كما أورد القرآن الكريم أكثر المعاصي في مواضع النهي عنها فقال تعالى: ﴿ ... وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾[1] (البعلي،١٩٩٣).

وقد شُرعت الحدود لتقويم السلوك الإنساني، وحماية المجتمع من الجرائم التي تهدد الأعراض والأموال والأرواح والعقول، فحارب الإسلام هذه الجرائم ووضع لها القوانين الرادعة، والعقوبات التي حددها الإسلام لا تخلو من الحرص على خير المجتمع وإحقاق الحق وإقامة العدل، وهي قيم تربوية عليا تعمل الشريعة الإسلامية على إقرارها، كما أن العقاب في الفكر الإسلامي، لا يدخل في اطار معالجة الأخطاء إلا من باب الوقاية منها، حيث قيد الشارع العقوبات بشروط أساسية، كالإثبات ودرء الحدود بالشبهات، وعلانية الجريمة المعاقب عليها، أما إذا وقعت الجريمة وبلغت القاضي، وثبتت على المتهم كان الحكم بهذه العقوبة، ولا تقبل الإسقاط، لأنها مقررة لصالح الجماعة، ولا يجوز الشفاعة فيها.

ويمتلك النظام الجنائي الإسلامي وخاصة ما يتعلق منه بالحدود، منهجاً تربوياً فريدا، لإصلاح كل من الفرد والمجتمع، منهج يستند إلى إصلاح الفرد من خلال اجتثاث دوافع الجريمة من نفسه، ومن خلال إقرار أعلى درجات الردع والزجر، وإصلاح المجتمع من خلال اجتثاث العوامل الخارجية المفضية للجريمة، ويبدو المضمون التربوي في هذا المنهج من خلال الجمع بين أعلى درجات الردع والزجر، كما في حد الزنا وفي حد السرقة، وبين تقليل من تنالهم هذه العقوبات إلى أعلى درجة،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

حتى يندر من تُطبق عليهم هذه العقوبات، وذلك من خلال درء الحدود بالشبهات، وتشريع مبدأ قبول الرجوع عن الإقرار الصحيح في الحدود، وبشكل عام تشديد الشروط الواجبة لتطبيق العقوبة، وإيجاد مخارج لإسقاط معظم هذه العقوبات، فضلاً عن وقاية الأفراد في المجتمع من الوقوع في براثن الجريمة، من خلال توعيتهم بالعقوبات الحدية في الشريعة الإسلامية.

أما سنة المصطفى ﷺ فورد فيها التحذير من عقاب الله عز وجل، روى مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان، يغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا»، كما روى مسلم عن سُمرة بن جُندُب أن نبي الله ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حُجْزَته، ومنهم من تأخذه إلى تَرْقُوته» (الزحيلي، ٢٠٠٢).

التطبيق التربوي للثواب والعقاب:

وفق التأصيل السابق لأسلوب الثواب والعقاب في الإسلام، والتأكيد على أنه أحد أساليب التربية الإسلامية الهامة، التي عني بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لإقامة منهج الله عز وجل في نفوس المؤمنين، وتشجيعهم بالثواب وتخويفهم بالعقاب، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨٢)﴾[1]، فإن تطبيق هذا الأسلوب على الأبناء من الأهمية بمكان، لتقويم سلوكهم ووضعهم على الطريق المستقيم وأبعادهم عن الذلل والانحراف.

حيث يحتاج سلوك الأبناء إلى تقويم مستمر من قبل الكبار أو الأباء، ولعل أكثر ما يعاني منه الأبناء هو التركيز على العقاب، وإهمال الثواب، والتربية المتوازنة تتطلب تقويم دقيق للسلوك الذي يبدر عن الأبناء، فإن كان سلوك إيجابي، لابد من إثابة الابن سواء بمكافأة مادية أو معنوية، والمربي هو الذي يقدر نوع المكافأة، على أن

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٨١-٨٢.

يشجع المربي السلوك الإيجابي بطريقة لا تعود الطفل على إنتظار الثواب في كل مرة، جزاء ما يقوم به من أفعال وسلوكيات إيجابية، وإنما يربيه على أن عمل الخير والسلوك الصحيح ضرورة حض عليها منهج الله تعالى، وأن الجزاء الأوفى يكون في الآخرة.

أما إذا كان السلوك سلبياً، فينبغي تقدير مدى جسامة السلوك، وهل الخطأ في السلوك متعمد أم بدون قصد، وهل كان لأول مرة أم متكرر، وما هي أسبابه، فإذا كان السلوك الخاطئ بدون قصد أو أنه أول مرة، فيفضل توجيه الابن وبيان أن هذا السلوك خاطئ، وتقديم صورة للسلوك الإيجابي، الذي عليه أن يقوم به بدلاً من هذا السلوك الخاطئ، على أن يتم ذلك بدون توبيخ، وإنما يستخدم فيه المربي النصيحة والموعظة، التي تناسب المرحلة العمرية للابن.

وإذا كان السلوك الخاطئ متكرر أو متعمد، وسبق وأن تم توجيه الابن للإقلاع عن هذا السلوك، ولكنه أصر على القيام به، فإن العقاب يصبح ضرورياً بشرط أن يكون العقاب على قدر فداحة السلوك الخاطئ، ويفضل العقاب المعنوي، الذي يسبقه التحذير والوعيد، ولا أوصي بالضرب أو العقاب البدني، وإنما يمكن دراسة أسباب السلوك السلبي، ووضع الحلول المناسبة الكفيلة بتغيير سلوك الابن، كما يمكن استخدام الحرمان والمقاطعة والتأنيب والتعنيف بالقول، حتى يعود الابن إلى السلوك الإيجابي الذي يتوافق مع قيم المجتمع المسلم.

سابعاً: أساليب ونماذج تربوية من حياة السلف الصالح

مقدمة:

لقد آثرت أن أختم هذا الجزء المرتبط بأساليب التربية الإسلامية، بعرض نماذج تبين أساليب تربية النبي ﷺ للسلف الصالح، ومواقف معبرة من حياتهم، بهدف استخلاص العبرة والموعظة من هذه النماذج، والعمل على تربية الجيل الجديد في المجتمع المسلم، من خلال الاقتداء بهذه النماذج الناصعة من حياة السلف الصالح، وفيما يلي عرض لبعض هذه النماذج (سويد، ١٩٩٤) و(رضا، ٢٠٠٦):

(١) أساليب ونماذج من التربية العقدية للأبناء:

اهتم السلف الصالح بالتربية العقدية للأبناء، فكانوا يتعهدون أبنائهم منذ نعومة أظافرهم، بحفظ القرآن الكريم، ويغرسون فيهم حب الرسول ﷺ، وهذه قصة مما رواه ابن ظفر المكي، قال: بلغني أن أبا سليمان داود بن نصير الطائي رحمه الله تعالى، لما بلغ من العمر خمس سنوات، أسلمه أبوه إلى المؤدب، فابتدأ بتلقين القرآن وكان لَقِنا فلما تعلم سورة «الإنسان» وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلا على الحائط مفكرا يشير بيده، فخافت على عقله فنادته قم يا داود فألعب مع الصبيان، فلم يجبها فضمته إليها ودعت بالويل، فقال مالك يا أماه أبك بأس؟ قالت: أين عقلك؟ قال: مع عباد الله، قالت: أين هم؟ قال: في الجنة، قالت: ما يصنعون؟ قال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسا وَلَا زَمْهَرِيرا﴾[1]، ثم قال: يا أماه ما كان سعيهم؟ فلم تدر ما تجيبه، فقال لها قومي عني حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامت وأرسلت إلى أبيه فأعلمته شأن ولده، فقال له أبوه: يا داود كان سعيهم أن قالوا «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فكان داود يقولها في أكثر أوقاته.

وكان المصطفى ﷺ يهتم كثيراً بتربية الاطفال، لأنه يعي تماماً أن مستقبل المجتمع المسلم سيبنى على كواهلهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (أخرجه الترمذي).

كما اهتم السلف الصالح بتربية الأبناء على سيرة النبي ﷺ، فكانوا يقرأونها مع تعليمهم القرآن الكريم، لأنهم يدركون أهمية السنة النبوية باعتبارها، ترجمة وتفسير لما جاء مجملاً في القرآن الكريم، لما تتضمنه من إثارة العاطفة ومشاهد من الواقع الإسلامي، ولما للسنة النبوية من تأثير في النفس الإنسانية، ولما تحمل في طياتها من معاني الحب والجهاد، ولأنها مكملة لرسالة الإسلام التي تخرج الناس من الضلال إلى الهدى، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وكان السلف والصحابة يعلِمون أطفالهم، سيرة المصطفى ﷺ ومغازي الرسول، ويقولون لهم إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ١٣.

(٢) أساليب ونماذج من التربية العبادية للأبناء:

اهتم السلف الصالح بتربية الأبناء على العبادة منذ نعومة أظافرهم، فكانوا يبدأون بتعليم أبنائهم الوضوء ويأمرونهم بالصلاة وهم في سن السابعة، وكانو يضربوهم عليها في سن العاشرة، كما أمرهم الرسول ﷺ، وكانوا يصطحبون الأبناء إلى المساجد.

كما كانوا يحرصون على تدريب أبنائهم على الصيام، طاعة للحبيب محمد ﷺ، روت الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح صائما فليتم صومه، ومن أصبح مفطراً فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم باللعبة من العهن أي الصوف، فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار» (أخرجه البخاري)، ومع أن الأطفال غير مكلفين إلا أن تدريبهم على الصيام مشروع، وكان الصحابة والسلف الصالح يجمعون أطفالهم لحظة الإفطار، ويدعون الله تعالى، ويؤمِن الأبناء على دعاء الآباء، رجاء أن يستجيب لهم المولى عز وجل.

(٣) أساليب ونماذج من التربية الاجتماعية للأبناء:

كان صحابة الرسول ﷺ والسلف الصالح، يهتمون بالتربية الاجتماعية للأبناء، فكانوا يصطحبونهم إلى مجالس الكبار، وكانوا يعودٍونهم سنة السلام وهي تحية الإسلام، وكانوا يدربون الأطفال على قضاء بعض الحاجات، ويعلمونهم اللطف في قضائها، فضلاً عن تبصيرهم بحسن اختيار الأصدقاء واللعب معهم، وكان الرسول ﷺ يسلم على الأطفال وهم يلعبون، وذلك لحرصه على تنشئتهم في جو إجتماعي صحي بعيدا عن الانزواء والعزلة.

وكان السلف الصالح يغرسون في الأبناء بعض العادات الاجتماعية، من خلال قيامهم بها أمام الأبناء، فعندما يمرض الابن يأتي الكبار يعودونه، الأمر الذي يساعد على بناء العلاقات الاجتماعية، كما يتعود الأبناء هذه العادة الحسنة، التي تخفف عنهم آلام المرض، وكان المصطفى ﷺ قدوة للصحابة والسلف الصالح من بعدهم، حيث عاد بنفسه الغلام اليهودي، عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار (أخرجه البخاري).

(٤) أساليب ونماذج من التربية الأخلاقية للأبناء:

لقد حرص الصحابة ومن بعدهم السلف الصالح، على تربية الأبناء على مكارم الأخلاق، لأنهم تربوا في المدرسة المحمدية، وتعلموا الأساليب التربوية في أدب الأبناء، فكانوا يعلمونهم أدب التحدث إلى الوالدين وأدب النظر إليهم وأدب السير خلفهم، وكانوا ينهونهم عن مناداة الأب أو المعلم أو الشيخ باسمه، وأن يلتزم الأبناء الأدب في حضرة العلماء، وهذا هو أدب الطفل الصغير، سعيد بن جندب في حضرة المصطفى ﷺ، عن أبي سعيد سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاما فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول، إلا أن ههنا رجالاً هم أسن مني (أخرجه البخاري).

وكان من تربية الرسول ﷺ للصحابة وأبنائهم، أن أدبهم بخلق سلامة الصدر من الأحقاد، فهو يطلق قوة الخير في النفس البشرية إلى أعلى درجاتها، حيث وجه النبي ﷺ نداء للطفل أنس بن مالك أن يغسل أدران نفسه صباحا ومساء، فيسامح من أساء إليه، ويفرغ قلبه من وساوس الشيطان، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فأفعل، ثم قال: يا بني ذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة» (أخرجه الترمذي)، فالجنة والصحبة مع رسول الله ﷺ لمن استطاع أن يكون قلبه سليماً من الغش والحقد والحسد، وفرغ قلبه من وساوس الشيطان، وإمتلأ قلبه بحب الخير للناس.

(٥) أساليب ونماذج من التربية العاطفية للأبناء:

اهتمت المدرسة المحمدية بالعاطفة التي تشكل مساحة واسعة في نفوس الأبناء، وهي جزء أساسي من بناء الشخصية الإنسانية، وعلم المصطفى ﷺ الدنيا بأسرها كيف تكون محبة الأبناء والعطف عليهم وضرب للناس المثل الأعلى بطريقة عملية، عندما قبل الحسن بن على، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل النبيﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال الأقرع بن حابس التميمي: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم» (أخرجه البخاري). ويؤسس المصطفى ﷺ لإدخال المحبة والمودة على الأبناء، وهو ما يؤثر بشكل إيجابي على صحتهم النفسية.

وإذا كان العلم الحديث توصل إلى أن إدخال السرور على نفوس الأبناء بالملاعبة والملاطفة والمناغاة، يعد أحد أهم عوامل الصحة النفسية للأبناء، بل توصل العلم المعاصر إلى أن هذه الملاعبة والملاطفة، أسهمت في التكيف الاجتماعي، وعلاج بعض الأمراض العضوية، فإن سيرة المصطفى ﷺ تبين مدى حرصه على ملاعبة الأطفال، وإدخال السرور والبهجة إلى نفوسهم، عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، وكان إذا جاءنا قال: «يا أبا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به» (أخرجه البخاري).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده فجعل يفرها هنا وهناك فيضاحكه رسول الله ﷺ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين راسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبه» (رواه البخاري)، وهذه دعوة من المدرسة المحمدية للناس جميعاً، إلى مداعبة وملاعبة وإضحاك أبنائهم، وإدخال السرور إلى نفوسهم، لما له من نتائج متنوعة.

خاتمة الفصل الخامس

هكذا جاء هذا الفصل، ليختم به الكاتب فصول هذا الكتاب، وليطلع القارئ الكريم على بعض أساليب التربية الإسلامية الهامة، حيث بدأ بأسلوب التربية بالقدوة، وهو أحد أهم أساليب التربية الإسلامية، وتضمن الآثار التربوية للقدوة، مباشرة كانت أو غير مباشرة، ثم تناول أسلوب التربية بالحوار، الذي تضمن مفهوم وأشكال الحوار التربوي، والمصطلحات ذات العلاقة بالحوار، وعناصر الحوار التربوي، ثم ثمرات الحوار التربوي، وأهم معايير وآداب الحوار التربوي، وكذلك أهم أساليب الحوار التربوي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

كما تناول الكاتب أسلوب التربية بالقصة، وهو من الأساليب التي تستهوى الإنسان عموما، والأطفال خصوصاً، لما تتميز به القصة من إثارة، وتشويق وصور وأحداث، حيث عرض شرحا مختصرا لمعنى القصة في الإسلام، مع توضيح أهم الأبعاد التربوية للقصص القرآني، والتي تضمنت التربية العقدية والتربية الأخلاقية والتربية الاجتماعية والتربية النفسية وتربية التثبيت والصبر، وتربية المرأة، كما تناول الكاتب الأهمية التربوية للقصص النبوي، حيث تم اختيار بعض القصص النبوية وبيان أهميتها التربوية، ثم تطرق الكاتب لأسلوب التربية بالموعظة، موضحا المداخل التربوية للموعظة في الإسلام، والمتمثلة في التذكير، والنداء الحاني المؤثر، والقصة المعبرة والحوار الراقي.

وكذلك تضمن هذا الفصل شرحا لأسلوب التربية بالأمثال، حيث تضمن شرحا لأهداف التربية بالأمثال في القرآن الكريم، ولأهداف التربية بالأمثال في السنة النبوية، ثم تناول أسلوب التربية بالثواب والعقاب، موضحا أهم الأبعاد التربوية في عقوبات الحدود الإسلامية، وأهم التطبيقات التربوية لأسلوب الثواب والعقاب، وأخيراً فضل الكاتب أن يختم هذا الفصل بمجموعة مختارة من الأساليب والنماذج التربوية، من حياة الصحابة والسلف الصالح، وهي تتناول بشكل أساسي مواقف ونماذج في تربية الأبناء، حتى يستفيد القارئ الكريم من هذه المواقف والنماذج، ويستنبط منها العبرة والمثل والقدوة التي تفيد في مجال تربية الأبناء.

قائمة مراجع الفصل الخامس

ابن بلبان، علاء الدين بن بلبان عبد الله الفارسي (١٩٩٧). صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (١٩٩٢). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو الفضل، منى وعبود، أميمة والخطيب، سليمان (٢٠٠٨). الحوار مع الغرب آلياته – أهدافه – دوافعه. دمشق: دار الفكر.

أبو شريخ، شاهر ذيب (٢٠٠٥). المبادئ التربوية والأسس النفسية في القصص القرآني. الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.

أبو لحية، نور الدين (٢٠٠٦). منهاج المسلم في تربية الأبناء والبنات. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

إسماعيل، محمد بكر (١٩٨٦). الأمثال القرآنية. القاهرة: مطبعة الأمانة.

الأسمر، أحمد رجب (٢٠٠٤). القدوة في السيرة النبوية. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

الأشقر، عمر سليمان عبد الله (١٩٩٩). صحيح القصص النبوي. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الباشا، عبد الرحمن رأفت (١٩٩٢). صور من حياة الصحابة. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٩٧). الأدب المفرد. بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر.

البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٩٣). صحيح البخاري. خرج أحاديثه مصطفى ديب البغا. دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

البطايحة، عمر صالح (٢٠٠٠). منهج الدعوة في القصة القرآنية. اربد: دار الكتاب الثقافي.

البعلي، عبد الحميد محمود (١٩٩٣). التشريعات العقابية ومكافحة الجريمة: خصائصها وأصولها وتفسيرها مع وسائل مكافحة الجريمة «دراسة مقارنة وموازنة». القاهرة: مكتبة وهبة.

البوطي، محمد سعيد رمضان (١٩٨٠). فقه السيرة. دمشق: دار الفكر.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي (٢٠٠٠). صحيح سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

جاب الله، محمد أحمد يونس (٢٠٠٦). صور من حياة الأنبياء عليهم السلام. الاسكندرية: دار الإيمان للنشر والتوزيع.

الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر عبد القادر (١٩٩٧). مختار الصحاح. بيروت: دار الفكر العربي.

رضا، محمد (٢٠٠٦). محمد ﷺ. لبنان: المكتبة العصرية.

الزحيلي، وهبة (٢٠٠٢). أخلاق المسلم علاقته بالخالق. دمشق: دار الفكر.

سويد، محمد نور بن عبد الحفيظ (١٩٩٤). منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح. ط٥، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر.

الشريف، محمود (١٩٦٥). الأمثال في القرآن الكريم. سلسلة إقرأ (٢٦٥). القاهرة: دار المعارف.

طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٧). أدب الحوار في الإسلام. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

العامر، نجيب خالد (١٩٩٠). من أساليب الرسول ﷺ في التربية دراسة تحليلية وبيان ما يستفاد منها في وقتنا الحاضر. الكويت: مكتبة البشرى الإسلامية.

عباس، فضل حسن (١٩٩٢). القصص القرآني ايحاؤه ونفحاته. السلسلة القرآنية من أنوار التنزيل(١). الأردن: دار الفرقان للطباعة والنشر.

عبد العال، محمد قطب (١٩٩٦). القصة في القرآن. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

عثمان، أشرف أحمد (٢٠٠٨). اتحاف المسلم بقصص صحيحة من البخاري ومسلم. إسكندرية: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع.

علوان، عبد الله ناصح (٢٠٠٥). تربية الأولاد في الإسلام. المجلد الثاني، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

علوان، عبد الله ناصح (٢٠٠٥). تربية الأولاد في الإسلام. المجلد الأول، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

العلواني، طه جابر (١٩٩٢). أدب الاختلاف في الإسلام. سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (٢)، ط٥، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٠). القرآن الكريم رؤية تربوية. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٢). السنة النبوية رؤية تربوية. القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، سعيد إسماعيل (٢٠٠٧). أصول التربية الإسلامية. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

العليان، عبد الله علي (٢٠٠٤). حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين رؤية إسلامية للحوار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

العليوات، محمد (١٩٩٣). المجتمع والتحدي الثقافي. بيروت: دار الصفوة.

العمري، أحمد حسن يوسف والعمري، صالح محمد أحمد (٢٠٠٦). الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة. الأردن: دار الكتاب الثقافي.

الفتياني، تيسير محجوب (٢٠٠٥). كيف نحاور الآخرين. الأردن: بيت الأفكار الدولية.

القرني، عائض بن عبد الله (٢٠٠٠). مجتمع المثل. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

المصري، رضا وعمارة، فاتن (٢٠٠٧). زاد الآباء في تربية الأبناء. موسوعة تربية الأبناء (٣). البيان للترجمة والتوزيع.

المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم (١٩٨٧). الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. بيروت: دار الحديث.

المويل، محمد كمال (٢٠٠٠). الحوار في القرآن الكريم. دمشق: دار الفارابي للمعارف.

النحلاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٥). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. ط ٢٣، دمشق: دار الفكر.

النحلاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٦). التربية بالقصة. دمشق: دار الفكر.

النووي، أبو بكر زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (٢٠٠٠). صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

وأيوب، حسن (١٩٨٥).السلوك الاجتماعي في الإسلام.ط ٤، الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع.

يوسف، محمد السيد (٢٠٠٢). منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

نبذه عن المؤلف

المؤهلات العلمية:

١.بكالوريوس العلوم والتربية، جامعة أسيوط فرع سوهاج، مصر، بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف، ١٩٨٥م
٢.دبلوم خاص في التربية تخصص أصول التربية، جامعة جنوب الوادي فرع سوهاج، مصر، بتقدير جيد جدا، ١٩٨٩م
٣.ماجستير في أصول التربية، جامعة جنوب الوادي فرع سوهاج، مصر، بتقدير ممتاز، ١٩٩١م.
٤.دكتوراه الفلسفة في التربية تخصص "أصول التربية الاسلامية والاجتماعية" من جامعة بتسبيرج بالولايات المتحدة الأمريكية، وجامعة جنوب الوادي، مصر، عام ١٩٩٧م.

الخبرات المهنية:

١.معيد بقسم أصول التربية – كلية التربية بسوهاج – جامعة أسيوط – اعتبارا من ١٩٨٦/١/١٩م
٢.مدرس مساعد بقسم أصول التربية- كلية التربية بسوهاج – جامعة جنوب الوادي -اعتبارا من ١٩٩١/١٠/٢٧م.
٣.مدرس بقسم أصول التربية– كلية التربية بسوهاج – جامعة جنوب الوادي – اعتبارا من ١٩٩٧/٩/٢٢م.
٤.استاد مساعد بقسم أصول التربية – كلية التربية – جامعة الإمارات - اعتبارا من٢٥/٨/ ٢٠٠٠م.

٥.أستاذ مساعد بقسم أصول التربية–كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادي- مصر- اعتبارا من ٢٠٠٥/١٠/٢٤م.

٦.أستاذ مشارك بقسم التربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة الشارقة ، من ٢٠٠٦/٩/١م.

٧.أستاذ أصول التربية – كلية التربية بسوهاج ، جامعة سوهاج -مصر- اعتبارا من ٢٠١٢/٩/٢٦م.

٨.رئيس قسم التربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة الشارقة ابتداء من سبتمبر ٢٠٠٨ حتى ٢٠١٢م.

٩.أستاذ أصول التربية – قسم التربية ، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة- الإمارات - اعتبارا من ٢٠١٥/٦/١٤.

١٠. نائب عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية – جامعة الشارقة - ابتداء من سبتمبر ٢٠١٦م .

١١. رئيس قسم أصول التربية-كلية التربية-جامعة سوهاج - مصر- بداية من نوفمبر ٢٦ نوفمبر ٢٠١٧م حتى يناير ٢٠٢١م.

١٢. نائب عميد وحدة ضمان الجودة بكلية التربية – جامعة سوهاج- مصر- بداية من ١٧ يناير ٢٠١٧م حتى الآن.

الجوائز الحاصل عليها:

- ❖ جائزة أفضل كتاب مؤلف في مجال العلوم التربوية والانسانية لعام ٢٠٠٩م.
- ❖ جائزة المكافأة التشجيعية لأعضاء هيئة التدريس في مجال البحث العلمي لعام ٢٠١٢/٢٠١١م

- ❖ جائزة المكافأة التشجيعية لأعضاء هيئة التدريس في مجال خدمة المجتمع لعام ٢٠١٢/٢٠١٣م
- ❖ جائزة المكافأة التشجيعية لأعضاء هيئة التدريس في مجال التدريس لعام ٢٠١٣/٢٠١٤م
- ❖ جائزة المكافأة التشجيعية لأعضاء هيئة التدريس في مجال البحث العلمي لعام ٢٠١٤/٢٠١٥م.
- ❖ جائزة التميز العلمي لجامعة سوهاج في مجال البحث العلمي لعام ٢٠١٨/٢٠١٩م
- ❖ جائزة كلية التربية للإبتكار في مجال البحث العلمي لعام ٢٠١٩/٢٠٢٠م.

<u>عضوية المجالس والجمعيات العلمية:</u>

- ❖ عضو المجلس الاستشاري على مستوى جامعة الشارقة بدولة الامارات العربية المتحدة سابقا.
- ❖ عضو بالجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية بجمهورية مصر العربية.
- ❖ عضو بالمجلس العلمي لليونسكو بدولة الإمارات العربية المتحدة سابقا.